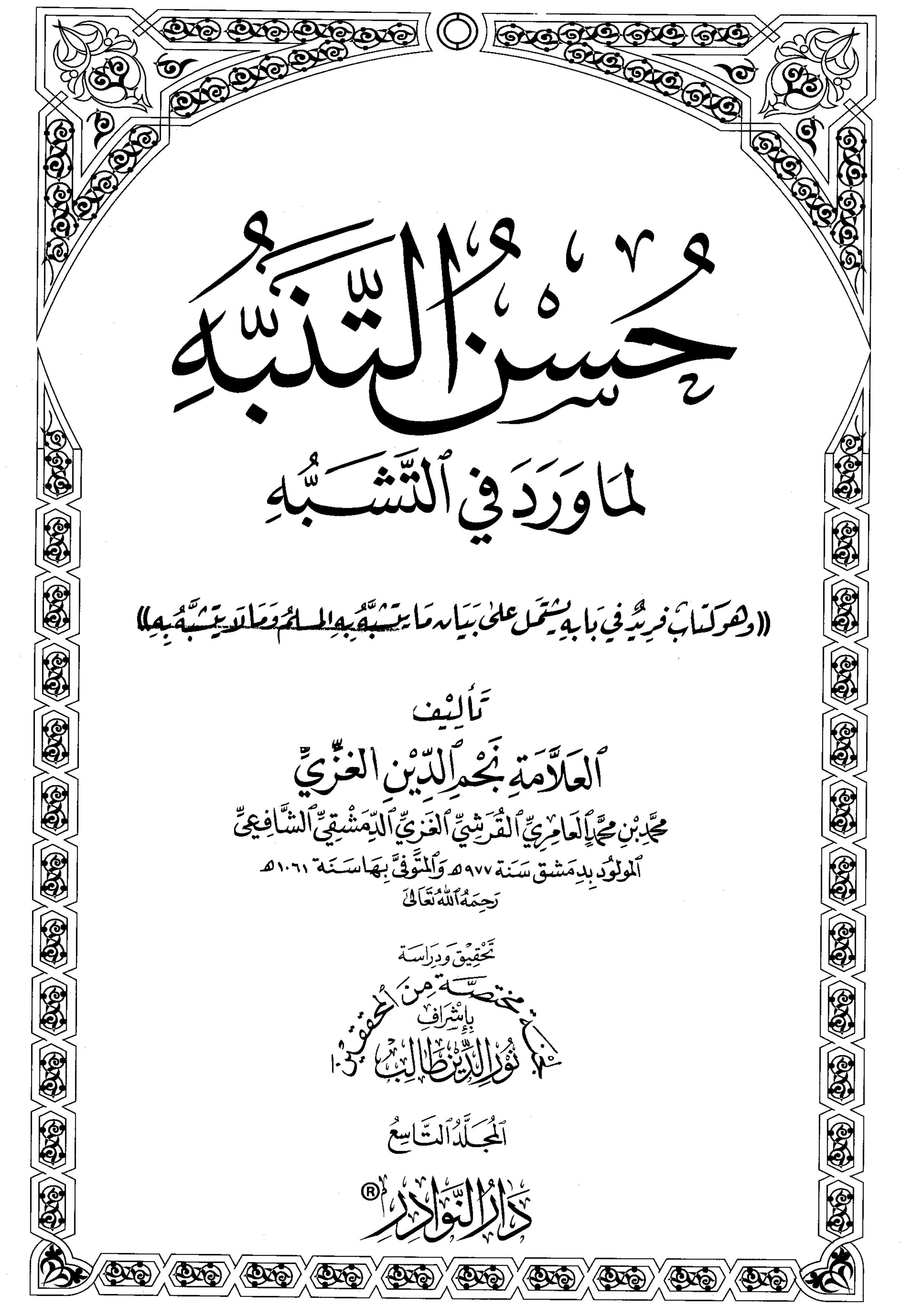


حسن التنبه

لما ورد في التشبه

((وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على بيان ما يتشبه به المسلم وما لا يتشبه به))

تأليف

العلامة نجم الدين الغزي

محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي

المولود بدمشق سنة ٩٧٧ هـ والمتوفى بها سنة ١٠٦١ هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق ودراسة

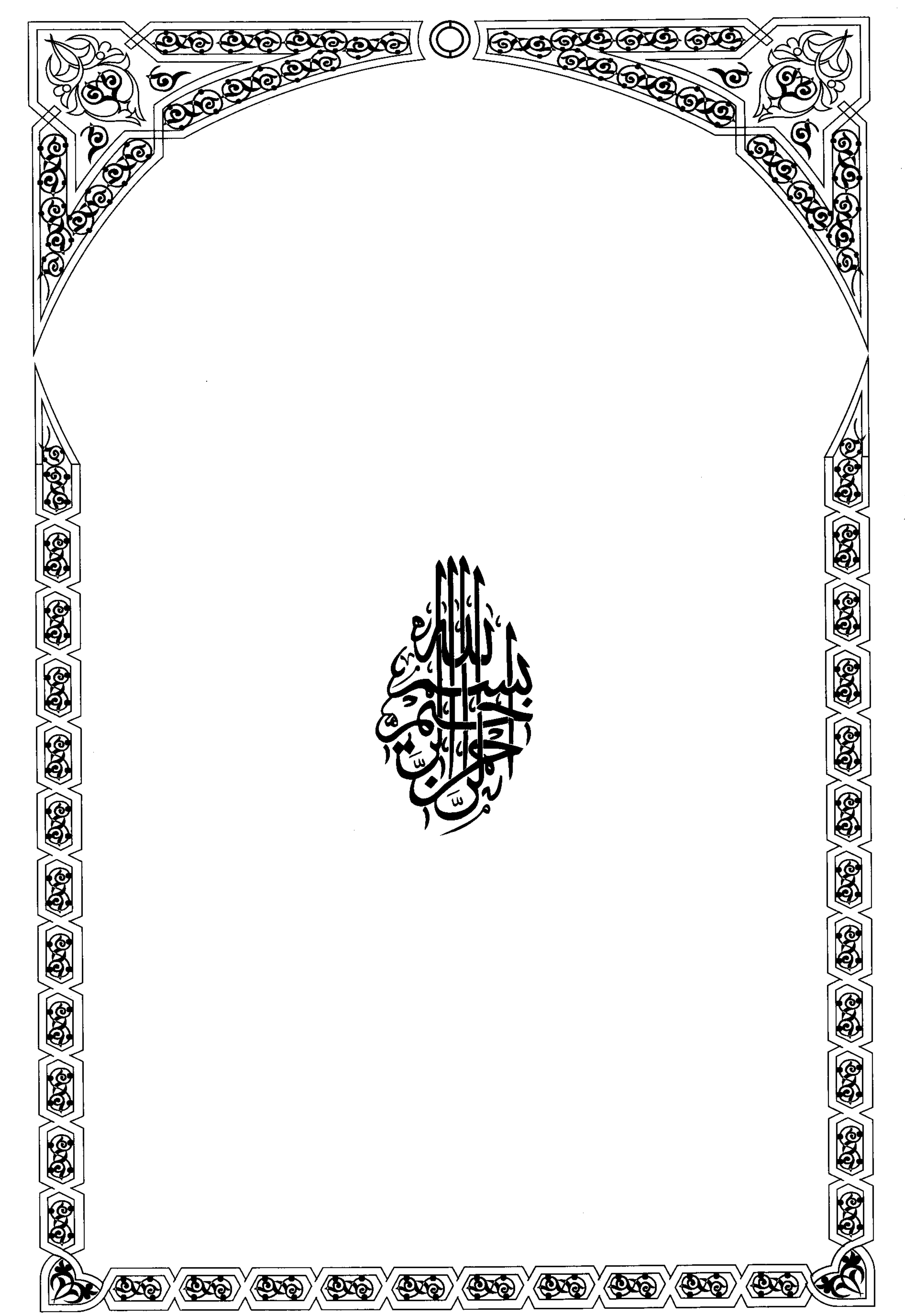
لجنة مختصة من المحققين

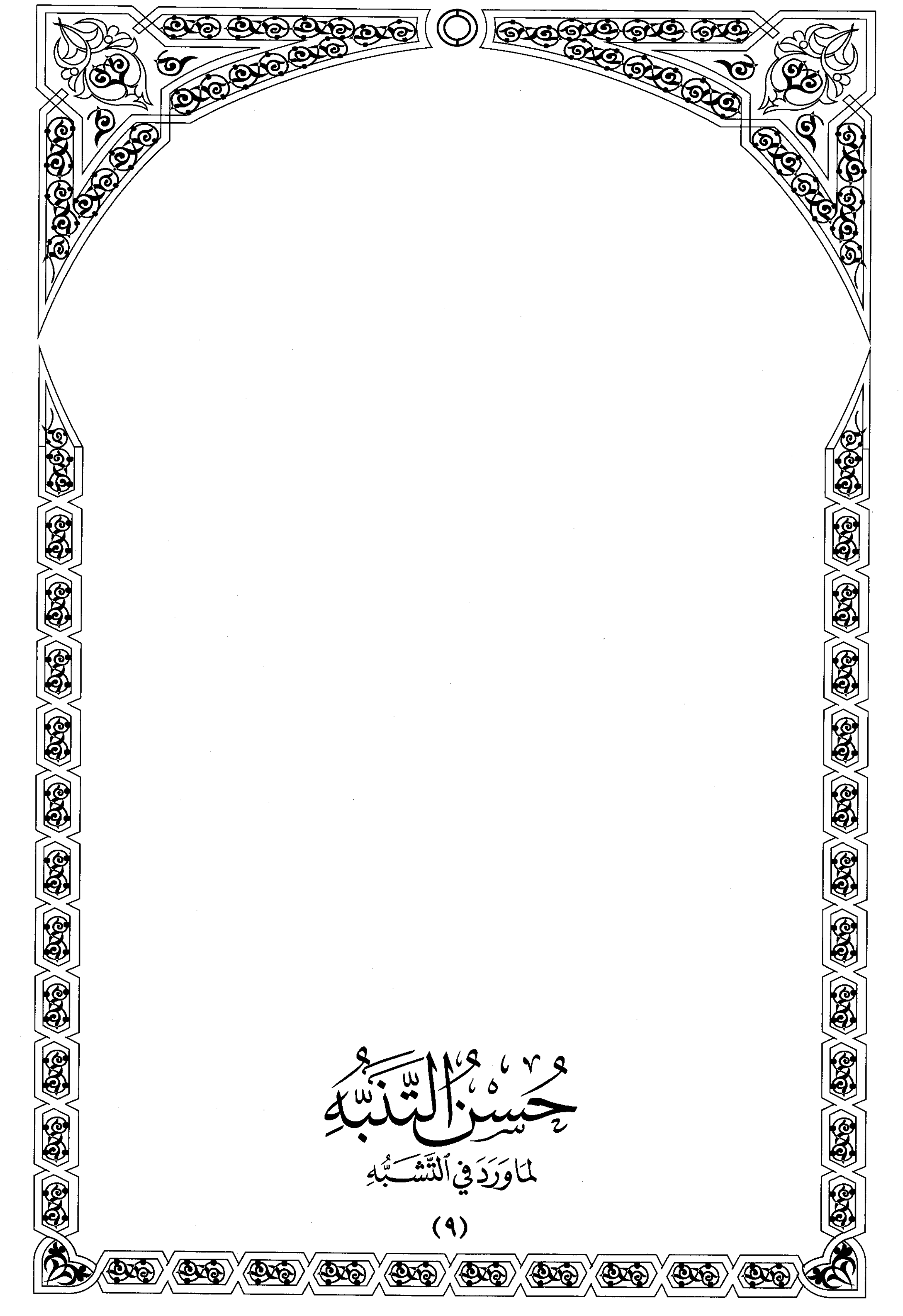
بإشراف

نور الدين طالب

المجلد التاسع

دار النوادر ®

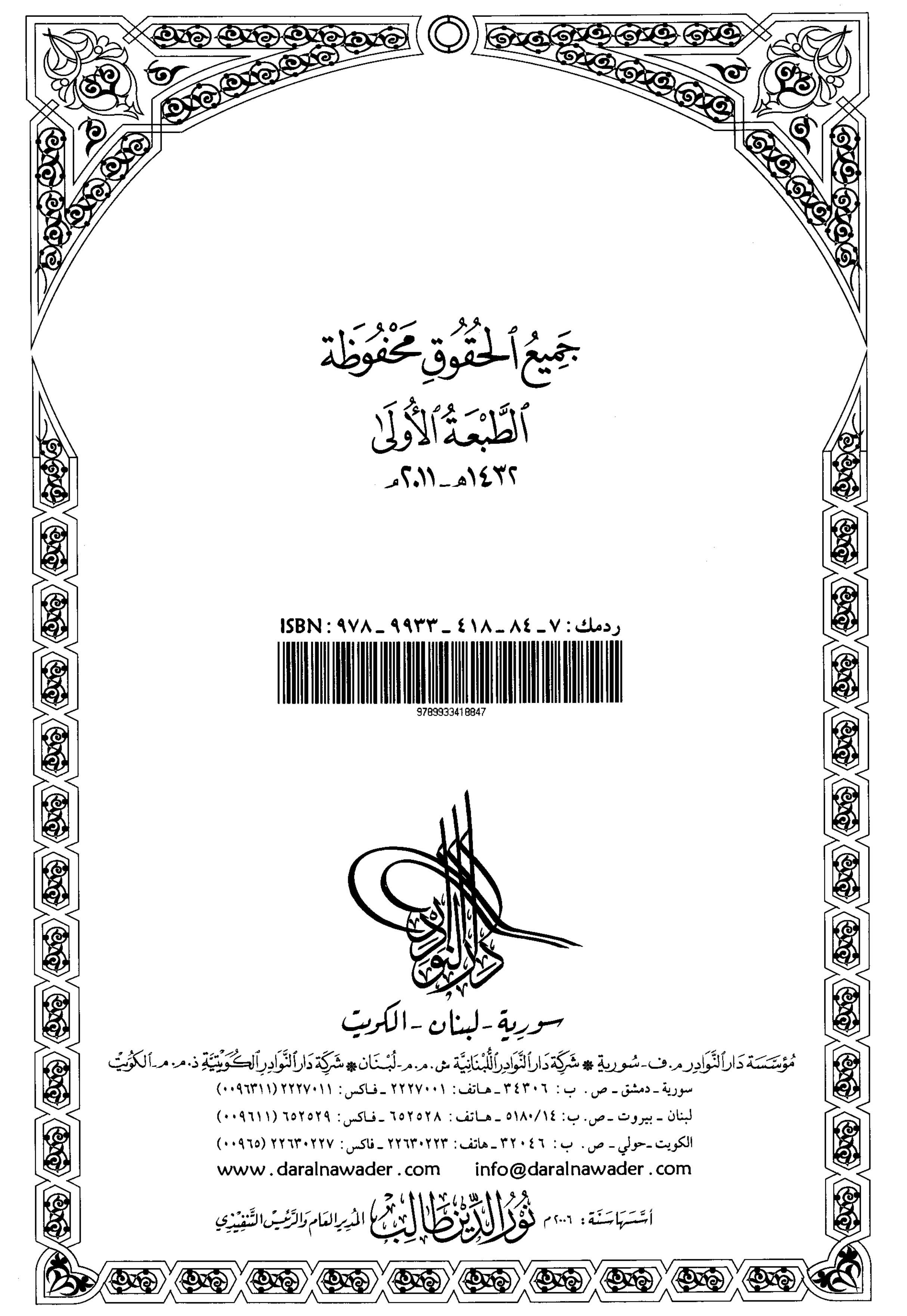

بسم الله الرحمن الرحيم



حُسْنُ التَّنَبُّهِ

لِمَا وَرَدَ فِي التَّشَبُّهِ

(٩)



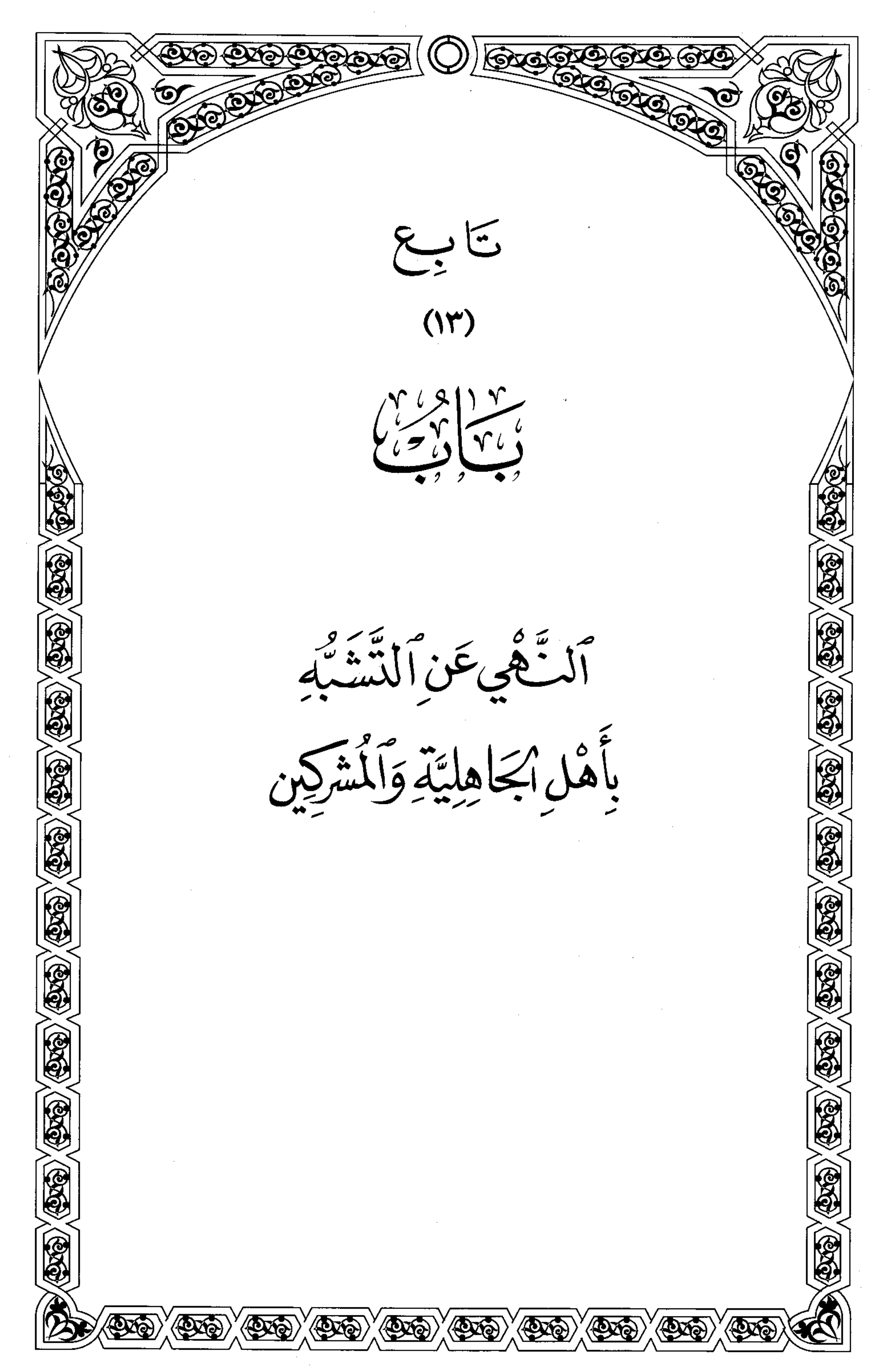
الطَّبعَةُ الأُولَى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك : ٩٧٨ - ٩٩٣٣ - ٤١٨ - ٨٤ - ٧ : ISBN
9789933418847

سورية - لبنان - الكويت

مُؤسَسَة دَار النَّوادِر م. ف - سُورية * شَرِكَة دَار النَّوادِر اللُّبْنانيَّة ش. م. م - لُبنَان * شَرِكَة دَار النَّوادِر الكُويتِيَّة ذ. م. م - الكُويت
سورية - دمشق - ص. ب : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ٥١٨٠/١٤ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - حولي - ص. ب : ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسَّسَهَا سَنَة : ٢٠٠٦م نُورُ الدِّين طَالِب المُدير العَام والرَّئيس التَّنفِيذِي



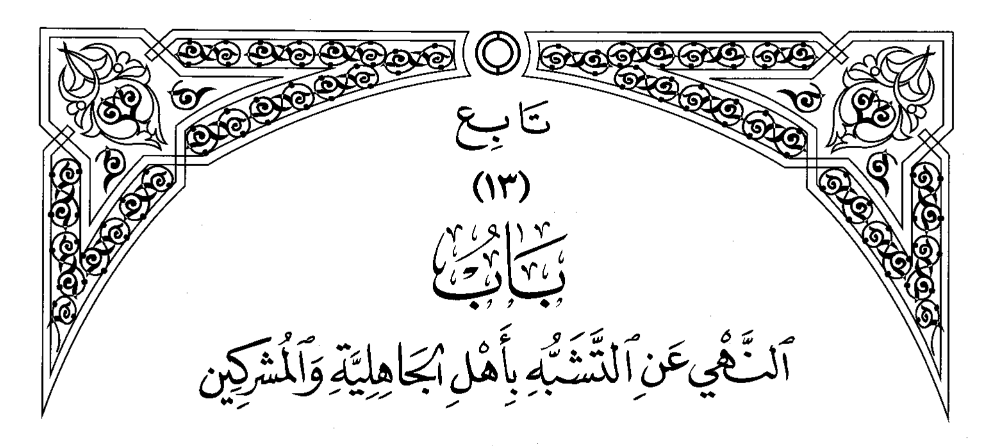
تابع

(١٣)

بَاب

النَّهْيِ عَنِ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ وَالمُشْرِكِين





٣٧ ـ ومن أعمال الجاهلية: قول الشعر المشتمل على هجاء من لا يجوز هجاؤه، أو على الغيبة ونحوها، أو على الفخر بالأنساب، أو الطعن فيها، أو على مدح ما لا يجوز مدحه، أو على أوصاف امرأة مخصوصة، أو على نياحة، أو غير ذلك من المحرمات.

وعليه يحمل قوله ﷺ: «لأَنْ يَمْتَلِىءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحاً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِىءَ شِعْراً»(١).

قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[الشعراء: ٢٢٤].

قال عكرمة رحمه الله تعالى: تهاجى شاعران في الجاهلية، وكان مع كل واحد منهم قيام من الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[الشعراء: ٢٢٤]. رواه ابن أبي حاتم(٢).

وقال قتادة: ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾: الشياطين(٣).

---

(١) رواه البخاري (٥٨٠٣)، ومسلم (٢٢٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٨٣٢).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١٩/ ١٢٧).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٥] قال: يمدحون قوماً بباطل، ويشتمون قوماً بباطل[١].

وقال مجاهد: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٥]: في كل فن يفننون[٢].

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٤]: هم الكفار يتبعون ضلال الجن والإنس.

﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٥]: في كل لغو يخوضون.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٦]: أكثر قولهم يكذبون.

رواهما ابن جرير، وابن أبي حاتم[٣].

* **تَنْبِيْهٌ:**

روى الطبراني، والخطيب، وابن عساكر عن فروة بن سعيد بن [عفيف بن] معد يكرب، عن أبيه، عن جده: أَنَّ امْرَأَ القيس بن حجر ذكر عند النبي ﷺ فقال: «ذاكَ رَجُلٌ مَذْكُورٌ فِي الدُّنْيا، مَنْسِيٌّ فِي الآخِرَةِ، شَرِيفٌ فِي الدُّنْيا، خامِلٌ فِي الآخِرَةِ، يَجِيْءُ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَعَهُ لِواءُ الشُّعَراءِ،

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٩/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٨٣٣).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٩/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٨٣٢).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١٩/ ١٢٦ ـ ١٢٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٨٣١ ـ ٢٨٣٤).

يَقُودُهُمْ إِلَى النَّارِ»[1].

٣٨ ـ ومن قبائح الجاهلية: الخوض في الباطل.

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾[المدثر: ٣٨ ـ ٥١].

قال قتادة في قوله: ﴿عَنِ التَّذْكِرَةِ﴾[المدثر: ٤٩]: القرآن. أخرجه ابن المنذر[2].

ويحتمل أن يريد التذكرة بما ذكره لهم في الآية من أن أهل النار يخبرون بما تحققوه من أن السبب في دخولهم سَقر في ترك الصلاة والزكاة، والخوض في الباطل، والتكذيب بيوم الحساب، والإصرار على ذلك حتى أتاهم اليقين؛ أي: الموت.

يقول: فما لهم بعد أن قضينا عليهم جواب أهل النار لأهل الجنة عن سؤالهم إياهم عن السبب في سلكهم في سقر، لا يتذكرون بذلك

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٩٩)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٧٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٢٢٩).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٣٩)، ورواه الطبري في «التفسير» (٢٩/ ١٦٧).

فيقبلوا على مخالفة المجرمين في هذه الأمور، بل أعرضوا عن التذكرة الداعية إليها بالكلية زيادة على إعراضهم عنها، ولسؤال أهل الجنة أهل النار عن سبب دخولهم إليها مع علمهم بالحال سابقاً في الدنيا بالإيمان، وحالاً في الجنة بالعيان حكمة؛ وهي أن الله تعالى يلهمهم ذلك تحسيراً لأهل النار على ما فاتهم، وتوبيخاً لهم ليكون ذلك زيادة في عذابهم وإهانتهم، وفائدة حكاية ذلك في القرآن بالتذكير والإنذار.

وقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[المدثر: ٤٩] يريد قريشاً؛ فإن السورة مكية، وهي من أول ما نزل، وقد كانوا في جاهليتهم يفجؤهم الإنذار بما أعده الله للمجرمين من عذاب النار، فلم يرفعوا لذلك رأساً، ولم يروا بما هم عليه من الفقر بأساً، بل أعرضوا عن الذكر، وخاضوا مع الخائضين في الباطل، كذبوا بيوم الدين، وطعنوا على سيد المرسلين، فقالوا: شاعر، ساحر، به جِنَّة، أساطير الأولين، لا تسمعوا لهذا القرآن، والغوا فيه، وغير ذلك.

وكذلك فسرت: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾[المدثر: ٤٥].

وقال قتادة في الآية: يقولون: كنا كلما غوى غاوٍ غوينا معه. رواه عبد الرزاق، وابن أبي شيبة[١].

وروى ابن أبي الدنيا في «الصمت»، والطبراني بسند صحيح، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أعظم الناس خطايا يوم القيامة

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٣٣٠)، وكذا الطبري في «التفسير» (٢٩/ ١٦٦).

أكثرُهم خوضاً في الباطل[1].

وأخرجه ابن أبي الدنيا ـ ورواته ثقات ـ عن قتادة مرسلاً[2].

قال في «الإحياء»: وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾[المدثر: ٤٥][3].

روى أبو نعيم عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله تعالى[4].

وروى ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَكْثَرَ[5] خَطايا ابْنِ آدَمَ فِي لِسانِهِ»[6].

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد»، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن عمر بن ذر ـ مرسلاً ـ قال: قال

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٨٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٤٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٢٩٣).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ١١٦).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٠٢).

(٥) في «أ» و«ت»: «إن أكثر الناس».

(٦) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٤١٠)، وكذا ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٥٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٤٦).

رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عِنْدَ لِسانِ كُلِّ قائِلٍ؛ فَلْيَتَّقِ اللهَ عبدٌ، وَلْيَنْظُرْ ما يَقُولُ»[1].

وأخرجه الحكيم عن ابن عباس رضي الله تعالى مرفوعاً[2].

٣٩ ـ ومن أخلاق أهل الجاهلية: ترك الصلاة بما لا يعني، ومنع المصلي من الصلاة، ونهيه عنها، وإيذاء المصلين باللفظ وغيره.

كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾[المدثر: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[العلق: ٩ ـ ١٨]

روى مسلم، والنسائي، وآخرون عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعفِّرُ محمدٌ وجهه إلا بين أظهركم؟

قالوا: نعم.

قال: واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأنَّ على رقبته،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣٥٤)، وكذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٣٣).

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ولأعفِّرن وجهه في التراب.

فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟

فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً، وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ دَنا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ الْمَلائِكَةُ عُضْواً عُضْواً».

قال: وأنزل الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾[العلق: ٦] إلى آخر السورة؛ يعني: أبا جهل، ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾[العلق: ١٧]؛ يعني: قومه، ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[العلق: ١٨]؛ يعني: الملائكة[(١)].

وروى الإمام أحمد، والترمذي وصححه، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ يصلي، فجاء أبو جهل: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟

قال: فانصرف النبي ﷺ، فزبره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم: ما بها رجلٌ أكثر نادياً مني، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[العلق: ١٧ ـ ١٨].

قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٩٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٨٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٥٦)، والترمذي (٣٣٤٩) وقال: حسن غريب صحيح.

روى ابن أبي شيبة، والمفسرون عن عبدالله بن الحارث رحمه الله تعالى قال: الزبانية أرجلهم في الأرض، ورؤوسهم في السماء[1].

٤٠ ـ ومن عادات أهل الجاهلية: التحلق في المساجد والمعابد لأجل السَّمر وحديث الدنيا، لا لأجل الصلاة والعبادة، واللغو عند سماع القرآن، واللغط في مجالس الذكر.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾[المؤمنون: ٦٦ ـ ٦٧][2].

قال ابن عباس في قوله: ﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾[المؤمنون: ٦٧]: كانت قريش يتحلقون حلقاً حلقاً يتحدثون حول البيت.

وقال سعيد بن جبير: كانت قريش تسمُر حول البيت، ولا يطوفون به، ويفتخرون به، فأنزل الله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا﴾[المؤمنون: ٦٧] بالبيت الحرام[3]. رواهما ابن أبي حاتم.

وروى هو والنسائي، وصححه الحاكم، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ بالبيت؛ تقولون: نحن أهله،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٦٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤٥١).

(٢) روى ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٧٦٧)، وكذا الطبري في «التفسير» (١٨/ ٣٩) نحوه.

(٣) ورواه الطبري في «التفسير» (١٨/ ٣٩ ـ ٤٠).

تهجرونه ولا تعمرونه[1].

قلت: وهذا حال من يقعدون في هذه الأزمنة في المساجد ـ مسجد دمشق وغيره ـ خصوصاً بين المغرب والعشاء، يتحلقون ويتكلمون في الدنيا، ويقولون الْهُجر ـ بالضم ـ أي: الباطل، والمكر.

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمانِ قَوْمٌ يَجْلِسُونَ فِي الْمَساجِدِ حِلَقاً حِلَقاً، إِمامُهُمُ الدُّنْيا، فَلا تُجالِسُوهُمْ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حاجَةٌ»[2].

وهو عند أبي نعيم، ولفظه: «سَيَأْتِي عَلَى الزَّمانِ زَمانٌ يَقْعُدُونَ فِي الْمَساجِدِ حِلَقاً حِلَقاً [إنما همتهم الدنيا][3] فَلا تُجالِسُوهُمْ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حاجَةٌ»[4].

وروى البيهقي في «الشعب» عن الحسن ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمانٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَساجِدِهِمْ فِي أَمْرِ دُنْياهُمْ، فَلا تُجالِسُوهُمْ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ بِهِمْ حاجَةٌ»[5].

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٧).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٥٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٤): فيه بزيع أبو الخليل، ونسب إلى الوضع.

(٣) بياض في «أ» و«ت».

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٠٩).

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٨٧).

وهو عند الحاكم في «المستدرك» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي عَلى النَّاسِ زَمانٌ يَتَحَلَّقُونَ فِي مَساجِدِهِمْ وَلَيْسَ هَمُّهُمْ إِلاَّ الدُّنْيا، لَيْسَ لِلَّهِ بِهِمْ حاجَةٌ، فَلا تُجالِسُوهُمْ»[1].

٤١ ـ ومن أخلاقهم: منع الحقوق الواجبة كالزكاة، وصلة الأرحام، والديون، والنهي عن فعل ذلك، والحيلولة بين المتصدق والصدقة.

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٤٣ ـ ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[يس: ٤٧].

قال في «الكشاف»: نزلت في مشركي قريش حين قال لهم فقراء أصحاب رسول الله ﷺ: أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله؛ يعنون قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، فحرموهم، وقالوا: لو شاء الله أطعمكم[2].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾[الليل: ٤ ـ ١١].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩١٦).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٢٢).

روى ابن أبي حاتم، وغيره عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن أبا بكر اشترى بلالاً رضي الله تعالى عنهما من أمية بن خلف، وأبي بن خلف ببردة وعشر أواق، فأعتقه لله تعالى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾[الليل: ١ ـ ٤]؛ يعني: سعي أبي بكر، وأمية بن خلف[1].

روى عبد بن حميد، وغيره عن ابن عباس في قوله ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الليل: ٥ ـ ٦] قال: أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الليل: ٨ ـ ٩] قال: أبو سفيان بن حرب حين كان في جاهليته[2].

أما ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من فك العاني، وقِرى الضيف، والمنائح، والصِّلات، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق، فهو إما للرياء والسمعة، وهذا خلق جاهلي، وإما لمقتضى السليقة، وهذا ممدوح، لكن لا يثابون عليه لكفرهم؛ فإنهم لا يريدون به وجه الله.

نعم، من أسلم منهم وكان متخلقاً بهذه الأخلاق، فاستصحبها في الإسلام، كان من خيار الناس وصفوتهم لقوله ﷺ: «النَّاسُ مَعادِنٌ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤٤٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٣٦)، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٧٠).

كَمَعادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ؛ خِيارُهُمْ فِي الْجاهِلِيَّةِ خِيارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذا فَقُهُوا». رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1].

٤٢ ـ ومن أخلاقهم: التعبد والتقرب إلى الله تعالى بما لم يرد به الشرع، بل لمجرد الرأي والهوى.

وهذا من أعظم أخلاقهم وأعمها، وبه يتحقق معنى الجاهلية.

وأبلغ ما كان هنا الخلق مستحكماً من الناس في أزمنة الفترات، ولا سيما الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد ﷺ.

ولا خفاء أن النبي المبعوث بعد الفترة أقوى حالاً وأشد عزماً ممن كان يبعث في غير زمان الفترة؛ حيث كان الدين قائماً لسد خلل ما.

ومن ثم كان الأصح في عد أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام أنهم كانوا خمسة؛ نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليهم وسلم؛ لأن نوحاً عليه السلام بعث على فترة من الناس كانت بعد آدم عليه الصلاة السلام، وإبراهيم عليه السلام على فترة بعد صالح عليه السلام، وموسى عليه السلام بعث على فترة كانت بعد يوسف عليه السلام، وعيسى عليه السلام بعث على فترة كانت بعد آل داود من بني إسرائيل، ومحمد ﷺ بعث على فترة كانت بعد عيسى عليه السلام.

---

(١) تقدم تخريجه.

روى البخاري عن عطاء بن يســار رحمـه الله تعالى قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما؛ قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ.

قال: أجل والله؛ إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن؛ يا أيها النبي! إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحِرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سَخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُمَّاً، وقلوباً غُلْفاً[1].

وروى أبو نعيم في «الدلائل» عن وهب بن منبه قال: أوحى الله تعالى إلى شعيب عليه السلام: إني باعث نبياً أمياً أفتح به آذاناً صماً، وقلوباً غُلْفاً، وأعيناً عمياً، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام، عبدي المتوكل، المصطفى، المرفوع، الحبيب، المتحبب، المختار، لا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، رحيماً بالمؤمنين، يبكي للبهيمة المثقلة، ويبكي لليتيم في حجر الأرملة، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سَخَّاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قَوَّال بالخَنَا، لو يمر إلى جنب السراج لم يطفئه من سكينته، ولو مشى على القصب الرعراع ـ يعني: اليابس ـ لم يسمع من تحت قدميه، أبعثه مبشراً

---

(١) رواه البخاري (٢٠١٨).

ونذيراً، أسدوه لكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمغفرة والمعروف خُلُقَه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدي به من بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأسمي به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العَيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب وأهواء مشتتة وأمم مختلفة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس[1].

*** تَنْبِيهٌ:**

أشبه الأيام بأيام الجاهلية الأيام التي يخرج عقبها المهدي؛ فإنه لا يخرج حتى تمتلىء الأرض ظلماً وجوراً، وفتناً واختلافاً.

روى نعيم بن حماد في «الفتن» عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله! المهدي منا أئمةَ الهدى، أم من غيرنا؟

قال: «بَلْ مِنَّا؛ بِنا يُخْتَمُ الدِّينُ كَما بِنا فُتِحَ، وَبِنا يُسْتَنْقَذُونَ مِنْ ضَلالَةِ الْفِتْنَةِ كَما اسْتُنْقِذُوا مِنْ ضَلالَةِ الشِّرْكِ، وَبِنا يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فِي الدِّينِ بَعْدَ عَداوَةِ الْفِتْنَةِ كَما أَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَدِيْنِهِمْ بَعْدَ عَداوَةِ الشِّرْكِ»[2].

---

(١) انظر: «الخصائص الكبرى» للسيوطي (١/ ٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٦٢٦).

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ٣٧٠).

* **تَنْبِيهٌ آخَرُ:**

كل شيء يعمله العبد متعبداً به ولم يرد به الشرع ـ وإن لم يكن معروفاً من تعبدات الجاهلية ـ فهو به متشبه بأهل الجاهلية، عابدٌ لله تعالى على حرف ـ أي: جهل ـ فمن ثم كان العلم من أفضل العبادات، وأشرف الطاعات، وعظم فضل العالم وعلا مقامه وإن قل اشتغاله بالنوافل.

ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «نَوْمٌ عَلى عِلْمٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاةٍ عَلى جَهْلٍ».

وراه أبو يعلى، وأبو نعيم عن سلمان رضي الله تعالى عنه[1].

وروى الطبراني في «الكبير»، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب»، عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على النبي ﷺ قال: «يا ابْنَ مَسْعُودٍ! أَيُّ عُرى الإِيْمانِ أَوْثَقُ؟»

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «أَوْثَقُ عُرى الإِيْمانِ الْوِلايَةُ فِي اللهِ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ».

ثم قال: «يا ابْنَ مَسْعُودٍ! أَتَدْرِي أَيَّ النَّاسِ أَفْضَلَ؟»

قلت: الله ورسوله أعلم.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٨٥)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٦٧٣٢) عن سلمان رضي الله عنه.

قال: «فَإِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ أَفْضَلُهُمْ عَمَلاً إِذا فَقُهُوا فِي دِيْنِهِمْ».

ثم قال: «يا ابْنَ مَسْعُودٍ! أَتَدْرِي أَيَّ النَّاسِ أَعْلَمَ؟»

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «إِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ أَبْصَرُهُمْ بِالْحَقِّ إِذا اخْتَلَفَ فِيْهِ النَّاسُ؛ وَإِنْ كانَ مُقَصِّراً فِي عَمَلِهِ، وَإِنْ كانَ يَزْحَفُ عَلى اسْتِهِ زَحْفاً»[1].

وقلت في معنى الجملة الأخيرة: [من المديد]

أَعْلَمُ النَّاسِ أَبْصَرُ النَّاسِ بِالْحَقِّ ... إِذا ما رَأَيْتَ فِي النَّاسِ خُلْفا

ذاكَ ما ضَرَّهُ وَلا نالَ مِنْهُ ... نَقْصُ أَعْمالِهِ وَإِنْ سارَ زَحْفا

٤٣ ـ ومن أخلاق الجاهلية: التقرب إلى الله تعالى بالسكوت؛ وإن كان هذا شرعاً سابقاً.

وإنما الصمت المأخوذ به في الشريعة عن الهُجر، والغيبة، والنميمة، والكذب، وما لا يعني، ونحوها، وأما التعبد بنفس السكوت فليس من هذه الشريعة.

روى البخاري عن قيس بن أبي حازم قال: دخل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه على امرأة من أحمس يقال لها: زينب، فرآها

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥١٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٣): وفيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث.

لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم؟

فقالوا: حجت مصمتة.

فقال لهـا: تكلمي؛ فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت[1].

وروى ابن سعد في «طبقاته» عن زينب بنت المهاجر الأحمسية قالت: خرجت حاجة ومعي امرأة، فضربت علي فسطاطاً، ونذرت أن لا أتكلم، فجاء رجل فوقف على باب الخيمة، فقال: السلام عليكم، فردت عليه صاحبتي، فقال: ما شأن صاحبتك لم ترد علي؟

قالت: إنها مصمت، إنها نذرت أن لا تتكلم.

قال: تكلمي؛ فإنما هذا من فعل الجاهلية.

قالت: فقلت: من أنت يرحمك الله؟

قال: امرؤ من المهاجرين.

قلت: من أي المهاجرين؟

قال: من قريش.

قلت: من أي قريش؟

قال: إنكِ السؤول، أنا أبو بكر.

قلت: يا خليفة رسول الله! إنا كنا حديثي عهد بجاهلية، لا نأمن

---

(١) رواه البخاري (٣٦٢٢).

بعضنا بعضنا، وقد جاء الله من الأمن مما ترى، فحتى متى يدوم لنا؟

قال: ما صلحت أئمتكم.

قلت: من الأئمة؟

قال: أليس في قومك أشراف يطاعون؟

قلت: بلى.

قال: أولئك الأئمة[١].

وروى أبو داود بإسناد حسن، عن علي رضي الله تعالى عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ قال: «لا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلامٍ، وَلا صماتَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ»[٢].

قال الخطابي في هذا الحديث: كان أهل الجاهلية من نسكهم الصمات، وكان أحدهم يعتكف اليوم والليلة، فيصمت ولا ينطق، فنُهوا ـ يعني: في الإسلام ـ عن ذلك، وأمروا بالذكر والحديث في الخير، انتهى[٣].

وأما قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾[مريم: ٢٦]؛ أي: صمتاً، فإنه شرع من قبلنا، ولا يلزمنا الأخذ

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٤٧٠).

(٢) رواه أبو داود (٢٨٧٣). وحسن النووي إسناده في «رياض الصالحين» (ص: ٣٢٩).

(٣) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٣٢٤).

به على الأصح.

وإن قلنا بالثاني فيلزمنا[1] الأخذ بشرع من قبلنا إلا إذا لم [ينهَ][2] عنه في شرعنا، وقد نهينا عن صمت يوم إلى الليل كما علمت؛ نبه عليه النووي في «شرح المهمات»[3].

٤٤ ـ ومن أخلاقهم: الغزو لأجل المعصية والتجبر، وطلب الدنيا كما هو معلوم من أعمالهم، والأعراب الآن على دعواهم الإسلام يفعلون ذلك، وإن اعتقد بعضهم حرمته.

٤٥ ـ ومنها: حمل الرؤوس المقطوعة من بلد إلى بلد.

وهذا والذي قبله وافق فيه أهل الجاهلية الأعاجم، وفعل ذلك بالرؤوس التي قطعت بحق ليس بمحرم إلا إن كان رأس مسلم؛ فإنه مُثلة، بل هو خلاف الأولى.

روى البيهقي عن الزهري قال: لم يحمل إلى النبي ﷺ إلى المدينة رأس قط إلا يوم بدر، وحمل إلى أبي بكر رضي الله عنه رأس فأنكر ذلك، وقال: وأول من حملت إليه الرؤوس عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما[4].

وروى محمد بن زكريا الغلابي البصري في كتاب «أخبار زياد»

---

(١) في «أ» و«ت»: «فلا يلزمنا»، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في «أ» و«ت» بياض.

(٣) انظر: «المجموع» للنووي (٦/ ٣٩٧).

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٣٢).

عن الشعبي قال: لم يحمل إلى رسول الله ﷺ، ولا إلى أبي بكر، ولا إلى عمر، ولا إلى عثمان، ولا إلى علي رضي الله تعالى عنهم رأس، وأول من حمل رأسه عمرو بن الحمق حُمل رأسه إلى معاوية[1].

وروى البيهقي عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه: أن عمرو ابن العاص، وشرحبيل بن حسنة بعثا عقبة بريداً برأس يناق بطريق الشام، فلما قدم على أبي بكر أنكر ذلك، فقال: يا خليفة رسول الله! إنهم يفعلون ذلك بنا.

قال: أتأسياً واستناناً بفارس والروم! لا يحمل إلي برأس، وإنما يكفي الكتاب والخبر[2].

وعن معاوية بن خديج قال: هاجرنا على عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه، فبينما نحن عنده إذ طلع المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، قال: إنه قدم علينا برأس [يناق] البطريق، ولم يكن لنا به حاجة؛ إنما هذه سنة العجم[3].

وروى النسائي بسند صحيح، عن فيروز الديلمي رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ برأس الأسود العنسي[4].

---

(١) ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٥).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٣٢).

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٣٢).

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٦٧٤).

وهو وَهْمٌ[1] كما قال أبو أحمد الحاكم في «الكنى»؛ لأن الأسود قتل في عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه سنة إحدى عشرة[2].

وأما ما رواه أبو نعيم في «المعرفة» عن معاذ بن عمرو بن الجموح: أن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه حزَّ رأس أبي جهل، وجاء به إلى رسول الله ﷺ[3]، وما رواه البيهقي عن علي رضي الله تعالى عنه قال: جئت إلى رسول الله ﷺ برأس مرحب[4]، فليس فيها أنه حمل من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام كما قال البيهقي[5].

---

(١) قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١٢٦٥): لم يتابع ضمرة - أحد رواة الحديث - على هذا الحديث، وأهل العلم لا يختلفون أن الأسود العنسي الكذاب المتنبي بصنعاء قتل في سنة إحدى عشرة، ومنهم من يقول: في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وليس ذلك عندي بشيء، والصحيح أنه قتل قبل وفاة النبي ﷺ وأتاه خبره وهو مريض مرضه الذي مات منه، ولا خلاف أن فيروز الديلمي ممن قتل الأسود العنسي.
وقال ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام» (٥/ ٣٨٨): رجال إسناده ثقات، ولا يصاخ إلى توهم الخطأ على أحد منهم إلا بحجة، ويحتمل أن يكون معناه أنه أتى النبي ﷺ قاصداً إليه، وافداً عليه، مبادراً بالتبشير بالفتح، فصادفه قد مات.

(٢) انظر: «البدر المنير» لابن الملقن (٩/ ١٠٩).

(٣) ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٦٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٤٧٤) عن عمرو بن ميمون.

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٣٢).

(٥) انظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (٩/ ١٣٣) لكن بعد روايته لحديث: «من جاء برأس فله على الله ما تمنى» وسيأتي.

وفي «مراسيل أبي داود» عن أبي نضرة العبدي قال: لقي رسول الله ﷺ العدو، فقال: «مَنْ جاءَ بِرَأْسٍ فَلَهُ عَلى اللهِ ما تَمَنَّى»، فجاءه رجلان برأس. الحديث.

قال أبو داود: في هذا أحاديث، ولا يصح منها شيء[1].

قال البيهقي: وهذا إن ثبت فإن فيه تحريضاً على قتل العدو، وليس فيه حمل الرأس من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام[2].

وروى أبو حفص بن شاهين في «أفراده» عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: إن أول رأس علق في الإسلام رأسُ أبي عزَّة الجمحي؛ ضرب رسولُ الله ﷺ رأسَه بأُحد[3].

كما أخرجه البيهقي عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى[4].

٤٦ ـ ومن أعمال أهل الجاهلية: ما كانت العرب تفعله في الحج من الأمور المخالفة لمناسك إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وذلك أن العرب كانوا على دينين: حلة، وحميس.

فالحميس: قريش وكل من ولدت من العرب، وكانت قريش إذا أنكحوا غريباً امرأة منهم اشترطوا عليه أن كل من ولدت له فهو

---

(١) انظر: «المراسيل» لأبي داود (ص: ٢٣٠).

(٢) انظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (٩/ ١٣٣)

(٣) وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٤/ ١٠٧).

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٦٥).

أحمسي على دينهم.

وكانت نساء الحميس لا ينسجن ولا يغزلن الشعر إذا أحرمن، وكانوا إذا أحرموا لا يأقطون الأقط، ولا يأكلون الزبد، ولا السمن، ولا يسلونه، ولا يمخضون اللبن، ولا يلبسون الوبر ولا الشعر، ولا يستظلون به ما داموا حُرُماً، وإنما يستظلون بالأدم، ولا يأكلون شيئاً من نبات الحرم، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم، ولا يخفرون فيها الذمة، ولا يظلمون فيها.

وكانوا إذا أحرم الرجل منهم فإن كان من أهل المَدَر نقب نقباً في ظهر بيته، فمنه يدخل ومنه يخرج، ولا يدخل من بابه ولا يخرج، ولا يجوز تحت أسكفة بابه ولا عارضته، فإن أرادوا بعض أطعمتهم ومتاعهم تسوَّروا من ظهور بيوتهم وأدبارها، فنزلوا إلى حجرهم[1].

وكانوا على ذلك حتى بعث الله تعالى محمداً ﷺ، فأحرم عام الحديبية، فدخل بيته وكان معه رجل من الأنصار، فوقف الأنصاري على الباب، فقال له: «أَلا تَدْخُلُ»؟

فقال: إني أحمسي يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «وَأَنا أَحْمَسِيٌّ، دِيْنِي وَدِيْنُكَ سَواءٌ».

فدخل الأنصاري، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ

---

(١) انظر: «أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٨١).

﴿مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾[البقرة: ١٨٩][(١)].

وكانت الحمس يقولون: لا تعظِّموا شيئاً من الحل، ولا تجاوزوا الحرم في الحج، وقصروا عن مناسك الحج والموقف من عرفة وهو من الحل، فلم يكونوا يقفون ولا يفيضون منه، وجعلوا موقفهم في طرف الحرم، من نَمِرة بمفضى المَأْزمين، يقفون به عشية عرفة، ويظلون به يوم عرفة في الأراك من نمرة، ويفيضون منه إلى المزدلفة[(٢)].

وقد أمر الله تعالى بمخالفتهم في ذلك، فأمر بالوقوف بعرفة والإفاضة منها، فقال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ١٩٨ ـ ١٩٩].

وقال رسول الله ﷺ: «الْحَجُّ عَرَفَةُ». رواه الإمام أحمد، وأصحاب السنن[(٣)].

وكانت الحلة يدفعون من عرفة والخمس من أطراف الحرم إذا

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٧٧٧) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

(٢) انظر: «أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٨٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٠٩)، وأبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠١٦)، وابن ماجه (٣٠١٥) عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي رضي الله عنه.

طفلت الشمس للغروب، وكانت على رؤوس الرجال كأنها عمائم الرجال في وجوههم، فيبيتون جميعاً بمزدلفة حتى إذا كان في الغلس وقفت الحلة والحمس جميعاً على قزح، فلا يزالون عليه حتى إذا طلعت الشمس وصارت على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوههم دفعوا من مزدلفة، وكانوا يقولون: أشرق ثبير كي ما نغير[1].

فلما حج رسول الله ﷺ خطب الناس يوم عرفة كما روى الطبراني بسند صحيح، عن المِسْور بن مَخْرمة رضي الله تعالى عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ بعرفات، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ! فَإِنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ وَالأَوْثانِ كانُوا يَدْفَعُونَ مِنْ هَذا الْمَوْقِفِ إذا كانَتِ الشَّمْسُ عَلى رُؤُوسِ الْجِبالِ كَأَنَّها عَمائِمُ الرِّجالِ فِي وُجُوهِهِمْ، وَإِنَّا لا نَدْفَعُ إلاَّ بَعْدَ أَنْ تَغِيْبَ الشَّمْسُ، وَكانُوا يَدْفَعُونَ مِنَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ إذا كانَتِ الشَّمْسُ مُنْبَسِطَةً»[2].

وفي رواية غيره: «وَإِنَّا لا نَدْفَعُ مِنْ عَرَفَةَ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ وَيَحِلَّ فِطْرُ الصَّائِمِ، وَنَدْفَعُ مِنْ مُزْدَلِفَةَ غَداً إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ؛ هَدْيُنا مُخالِفٌ لِهَدْيِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالأَوْثانِ»[3].

وروى الأئمة الستة رحمهم الله تعالى عن عمرو بن ميمون قال:

---

(١) انظر: «أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٨٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٥٥): رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ١٢٥).

سمعت عمر بن الخطاب ﵁ بجَمْع بعد ما صلى الصبح وقف فقال: إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس [ويقولون]: أشرق ثبير، وإن رسول الله ﷺ خالفهم، فأفاض قبل طلوع الشمس[1].

٤٧ ـ وكان من عادة الجاهلية: ما يتفق الآن من جهلة الناس وعامتهم من سرعة السير، والإيضاع[2]، والازدحام عند الدفع من عرفات، والشريعة جاءت بالسكينة في السير.

وصحح الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إنما بدء الإيضاع من أهل البادية؛ كانوا يقفون حافتي الناس قد علقوا القباب والعصي، فإذا أفاضوا تقعقعوا، فأنفرت الناس، فلقد رأيت رسول الله ﷺ وإن ظفري ناقته لا يمس الأرض، وهو يقول: «يا أَيُّها النَّاسُ! عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ»[3].

وفي «صحيح البخاري» عنه: أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة، فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً، وضرباً للإبل، فأشار بسوط إليهم، وقال: «يا أَيُّها النَّاسُ! عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ؛ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضاعِ»[4].

---

(١) رواه البخاري (١٦٠٠)، وأبو داود (١٩٣٨)، والترمذي (٨٩٦)، والنسائي (٣٠٤٧)، وابن ماجه (٣٠٢٢).

(٢) الإيضاع: أن يعدي بعيره ويحمله على العدو الحثيث.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٧١٠).

(٤) رواه البخاري (١٥٨٧).

وروى الشيخان، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أنه سئل: كيف كان رسول الله ﷺ يسير حين أفاض من عرفة ـ وكان رسول الله ﷺ أردفه من عرفات ـ؟

قال: كان يسير العَنَق، فإذا وجد فُرجة نَصَّ[1].

وكانت الحمس يطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم، وكانت الحلة يطوفون بالبيت عراة؛ الرجال بالنهار، والنساء بالليل، إلا من استعار ثوباً من أحمس.

وكانت المرأة منهم إذا طافت عريانة وضعت إحدى يديها على قُبُلها، والأخرى دبرها تقول: [من الرجز]

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ[2]

وكان إذا بلغ أحدهم باب المسجد [قال للحمس]: من يعير مصوباً، من يعير معوزاً، فإذا أعاره أحمسي ثوبه طاف فيه، وإلا ألقى ثيابه بباب المسجد، ثم طاف عرياناً، وكانوا يقولون: لا نطوف في

---

(١) رواه البخاري (١٥٨٣)، ومسلم (١٢٨٦)، وأبو داود (١٩٢٣)، والنسائي (٣٠٢٣)، وابن ماجه (٣٠١٧).

والعنق: ضرب من السير السريع.

والنَّصُّ: ضرب من سير الإبل، وهو فوق العنق.

(٢) انظر: «السيرة» لابن إسحاق (٢/ ٨٢)، و«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٨٢).

الثياب التي قارفنا فيها الذنوب، ثم يرجع إلى ثيابه فيجدها لم تتحرك إلا أن يتكرم منهم متكرم فيطوف في ثيابه، فإذا طاف فيها لم يحل له أن يلبسها، ولا ينتفع بها، ويطرحها لَقيً لا يمسها أحد من خلق الله تعالى حتى تبليها الشمس والأمطار، ووطء الأقدام.

وفيه يقول ورقة بن نوفل الأسدي: [من الطويل]

كَفَى حَزَناً كَرْبِي عَلَيْهِ بِأَنَّنِي ... لَقًى بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمُ[1]

أي: لا يمس.

قال في «الصحاح»: واللقى ـ بالفتح؛ أي: والقصر ـ الشيء الملقى لهوانه، والجمع: الألقاء.

وقد أبطل الله ﷻ ما كان عليه أمر الجاهلية بقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ﴾[الأعراف: ٣١].

وأذن مؤذن رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية: ألا لا يطوف بالبيت عريانٌ[2].

وروى عبد بن حميد، وأبو الشيخ عن عطاء رحمه الله تعالى قال: كان المشركون في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة، فأنزل الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ﴾[الأعراف: ٣١][3].

---

(١) انظر: «أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٨٢).

(٢) رواه البخاري (١٥٤٣)، ومسلم (١٣٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٤٠).

وروى ابن أبي شيبة، ومسلم، والنسائي، والمفسرون عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، وتقول: من يعيرني تطوافاً تجعله على فرجها، وتقول: [من الرجز]

الْيَــوْمَ يَبْــدُو بَعْــضُهُ أَوْ كُلُّــهُ وَمــا بَــدا مِنْــهُ فَــلا أُحِلُّــهُ[1]

وفي لفظ: إن النساء كن يطفن عراة إلا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة، وتقول: اليوم. . . إلى آخره، فنزلت هذه الآية ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[الأعراف: ٣١][2].

وكانوا في الجاهلية يطوفون على الشمال.

روى عبد بن حميد عن عكرمة قال: كان المشركون يطوفون بالبيت على الشمال، وهو قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾[الأنفال: ٣٥]؛ فإنها مثل نفخ البوق والتصدية طوافهم على الشمال[3].

وكانوا في الجاهلية منهم من يسعى بين الصفا والمروة، ومنهم من كان يتحرج عن ذلك، فلما جاء الإسلام تحرج ناس عن ذلك،

---

(١) رواه مسلم (٣٠٢٨)، والنسائي (٢٩٥٦).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٣٩).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٦٢)، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٦٩٦).

ورأوا أنه من أمر الجاهلية، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾[البقرة: ١٥٨].

روى الأئمة مالك، وأحمد، والشيخان، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن عروة: أنه قال لعائشة رضي الله تعالى عنها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾[البقرة: ١٥٨] لا أرى على أحد جناحاً أن يطوف بهما؟

فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أختي! إنها لو كانت على ما أولتها كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يُهِلُّون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها، وكان من أهل بها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا﴾[البقرة: ١٥٨] الآية.

قالت عائشة: ثم سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما[1].

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٣٧٣)، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٤٤)، والبخاري (١٦٩٨)، ومسلم (١٢٧٧)، وأبو داود (١٩٠١)، والنسائي (٢٩٦٨)، وابن ماجه (٢٩٨٦)، وكذا الترمذي (٢٩٦٥).

وروى مسلم، والترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: [كان] رجال من الأنصار ممن كان يهل لمناة في الجاهلية.

ومناة: صنم بين مكة والمدينة.

قالوا: يا نبي الله! إن كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة، فهل علينا من حرج أن نطوف بهما؟ فأنزل الله الآية[1].

وكانوا لا يتبايعون في يوم عرفة ولا في أيام منى، فلما جاء الإسلام أحلَّ الله ذلك، فنزل ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[البقرة: ١٩٨].

وفي قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه: في مواسم الحج؛ يعني: منى وعرفة[2].

روى البخاري، والمفسرون عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت عكاظ، ومجنة، وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثَّموا أن يتَّجروا في المواسم، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[البقرة: ١٩٨] في مواسم الحج[3].

وروى عبد بن حميد عن قتادة رحمه الله تعالى في الآية قال: كان ناس من أهل الجاهلية يسمون ليلة النفر ليلة الصدر، وكانوا لا يعرجون

---

(١) بهذا اللفظ رواه البخاري (٤٥٨٠)، وانظر الحديث السابق.

(٢) انظر: «أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٨٨ ـ ١٨٩).

(٣) رواه البخاري (٤٢٤٧).

على كسير، ولا ضالة، ولا لحاجة، ولا يبتغون فيها تجارة، فأحل الله تعالى ذلك كله للمؤمنين أن يعرجوا على حاجاتهم، ويبتغوا من فضل الله تعالى[1].

وكانوا يذكرون فعل آبائهم في الجاهلية إذا وقفوا بعرفة، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾[البقرة: ٢٠٠] كما روى ابن جرير عن سعيد بن جبير، وعكرمة[2].

وأخرج عن مجاهد قال: كانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة، فذكروا آباءهم، وذكروا أيامهم في الجاهلية وفعال آبائهم، فنزلت[3].

وروى ابن أبي حاتم، والضياء في «المختارة» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم، ويحمل الحمالات، ويحمل الرايات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله تعالى الآية[4].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٥٣٦).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٢٩٧).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٢٩٦).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٣٥٥)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٠٨).

وكانوا يرون أن أفجر الفجور العمرةُ في أشهر الحج، فبطل ذلك بالإسلام[1].

وقال رسول الله ﷺ: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ». رواه مسلم، وأبو داود عن جابر، وأبو داود، والترمذي عن ابن عباس[2].

فاعتمر رسول الله ﷺ عُمَرَهُ كلها في ذي القعدة[3].

وفي كتاب الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ﴾[البقرة: ١٩٦].

قال ابن عباس: يقول: فمن أحرم بالعمرة في أشهر الحج. رواه المفسرون[4].

وروى عبد بن حميد عن الضحاك رحمه الله تعالى قال: التمتع: الاعتمار في أشهر الحج[5].

---

(١) انظر: «أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٩٢).

(٢) رواه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥) عن جابر رضي الله عنه.
وأبو داود (١٧٩٠)، والترمذي (٩٣٢)، وكذا النسائي (٢٨١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ١٧١)، و«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٩٢).

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٣٤٠).

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٥١٦).

وعن مجاهد قال: كان أهل الجاهلية إذا حجوا قالوا: إذا عفا الوَبَر، وتولى الدَّبَر، ودخل صفر، حلت العمرة لمن اعتمر.

فأنزل الله التمتع بالعمرة تغييراً لما كان أهل الجاهلية يصنعون، وترخيصاً للناس[١].

وروى أبو داود ـ وأصله في البخاري ـ عن ابن عباس قال: والله ما أعمر رسول الله ﷺ عائشة في ذي الحجة إلا لينقطع بذلك لسن أهل الشرك؛ فإن هذا الحي من قريش مَنْ دان دينهم كانوا يقولون: إذا عفا الوبر، وبَرأَ الدبر، ودخل صفر، فقد حلت العمرة لمن اعتمر، وكانوا يحرمون بالعمرة حين ينسلخ ذو الحجة والمحرم[٢].

وكان عمرو بن لحي ـ وهو أول من بدل ملة إبراهيم عليه السلام ـ غيَّر تلبية إبراهيم عليه السلام؛ بينما هو يسير على راحلته في بعض مواسم الحج وهو يلبي إذ مثل له إبليس في صورة شيخ نجدي على بعير أصهب، فسايره ساعة، ثم لبى إبليس: لبيك اللهم لبيك، فقال عمرو بن لحي مثل ذلك، فقال إبليس: لبيك لا شريك لك، فقال عمرو بن لحي مثل ذلك، فقال إبليس: إلا شريك هو لك، فقال عمرو: ما هذا؟ فقال إبليس لعنه الله: إن بعد هذا ما يصلحه إلا شريك

---

(١) انظر: «العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٤٩٤).

(٢) رواه أبو داود (١٩٨٧)، وأصله عند البخاري (١٤٨٩)، ومسلم (١٢٤٠).

هو لك، تملكه وما ملك، فقال عمرو: ما أرى؛ فلباها، ولبى الناس على ذلك، فكانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك[1].

وفي ذلك ـ كما رواه ابن جرير، وابن المنذر عن الضحاك ـ أنزل الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[يوسف: ١٠٦][2].

ولم تزل تلك تلبيتهم حتى جاء الإسلام، ولبى رسول الله ﷺ تلبية إبراهيم عليه السلام، فلباها المسلمون.

وكان من سنتهم أن الرجل يحدث الحدث يقتل، أو يلطم، أو يضرب، فيربط لحاة من لحا الحرم قلادة في رقبته، ويقول: أنا صرورة، فيقال: دعوا الصرورة بجعله، وإن رمي بحصره في رجله فلا يعرض له أحد، فقال رسول الله ﷺ: «لا صَرُورَةَ فِي الإِسْلامِ، وَإِنَّ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثاً أُخِذَ بِحَدَثِهِ». رواه الأزرقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[3].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والحاكم وصححه: حديث: «لا صَرورَةَ فِي الإِسْلامِ» عن ابن عباس[4].

وفي «القاموس»: إن الصرورة الذي لم يحج، واقتصر عليه[5].

---

(١) انظر: «أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٩٤).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ٧٨).

(٣) انظر: «أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٩٢).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٥٤٣) (مادة: صرر).

وكانوا يمنعون الصرورة من العمرة حتى يحج، فجاء الإسلام بخلافه.

روى الإمام أحمد ـ ورواته ثقات ـ عن أبي عمران بن أسلم: أنه قال لأم سلمة رضي الله تعالى عنها: أعتمر قبل أن أحج؟

قالت: قبل أن تحج، وإن شئت فبعد أن تحج.

قال: فقلت: إنهم يقولون من كان صرورة فلا يصلح أن يعتمر قبل الحج، فسألت أمهات المؤمنين فقلن مثلما قالت.

ثم رجع إليها فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَهِلُّوا يا آلَ مُحَمَّدٍ بِالْعُمْرَةِ فِي الْحَجِّ»[1].

وأخرجه الطبراني باختصار إلا أنه قال: «أَهِلُّوا يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ»[2].

وتقدم في الصرورة تفسير آخر، وهو الذي يتبتل ويتنزه عن النكاح على طريقة رهبانية النصارى.

وحكى الأزهري في «شرح ألفاظ مختصر المزني» القولين: أنه الذي لم يحج، وأنه الذي لم يتزوج ولم يأت النساء.

وأنشد للنابغة: [من الكامل]

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٩٧)، وكذا البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٥٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٣٥): رجال أحمد ثقات.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣٤١).

لَوْ أَنَّها عَرَضَتْ لأَشْمَطَ راهِـبٍ ـ عَبَـدَ الإلَـهَ ـ صَـرُوْرَةٍ مُتَعَبِّـدِ

قال: وقيل للذي لم ينكح: صرورة لصره على ماء ظهره به إياه.

وقيل للذي لم يحج: صرورة؛ لصره على نفقته التي يبلغ بها إلى الحج، انتهى[1].

وحكى الزمخشري في «الفائق» صارورة لغة في الصرورة؛ قال: ونظيره الضرورة والضارورة؛ يعني: بالمعجمة[2].

قال في «القاموس»: والضرورة الحاجة، كالضارورة والضارور، والضاروراء[3].

وقال في الصاد المهملة: ورجل صرورة، وصرارة، وصارورة، وصاروری، وصروري، وصاروراء، والجمع: صرارة، وصرار[4].

٤٨ ـ ومن أفعال أهل الجاهلية: الفسوق، والرفث، والجدال في الحج.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[البقرة: ١٩٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «الإِعْرابُ وَالتَّعْرِيضُ لِلنِّساءِ

---

(١) انظر: «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» للأزهري (ص: ١٨٧).

(٢) انظر: «الفائق» للزمخشري (٢/ ٢٩٤).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٥٥٠) (مادة: ضرر).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٥٤٣) (مادة: صرر).

بِالْجِماعِ وَالْفُسُـوقُ وَالْمَعاصِي كُلُّها، وَالْجِدالُ جِدالُ الرَّجُلِ صاحِبَهُ».
أخرجه الطبراني[1].

وكره طاوس الإعراب للمحرم، قيل: وما الإعراب؟

قال: يقول: لو أحللت قد أصبتك. رواه ابن أبي شيبة[2].

وروى ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى في الآية قال: الجدال: كانت قريش إذا اجتمعت بمنى، قال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم، وقال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم[3].

وعن ابن زيد هنا قال: كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون، كلهم يدعي أن موقفه موقف إبراهيم عليه السلام، فقطعه الله حين أعلم نبيه بمناسكهم[4].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَجَّ هَذا الْبَيْتَ فَلَم يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩١٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣١٨): رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح عن سوار بن محمد بن قريش، وكلاهما فيه لين، وقد وثقا، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤٤٩٣).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٢٧٤).

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٢٧٤).

ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[1].

٤٩ ـ ومنها: الحكم بغير ما أنزل الله تعالى.

بل لمجرد لرأي أو الهوى يخبط خبط عشواء، فربما أخذ حق هذا فأعطاه هذا، وربما ألزم بما لم يلزم، وربما حكم للشريف على الوضيع والحق مع الوضيع، أو للفقير على الغني ـ أي: بعكسه ـ والحق مع الآخرين ترفقاً للفقير، أو ميلاً إلى الغني.

والشرع إنما جاء بإجراء الحق على مقتضاه على الشريف والوضيع، والغني والفقير، والقوي والضعيف؛ يقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

قال الله تعالى مقرعاً لليهود حين أرادوا من النبي ﷺ أن يحكم بينهم بما كان عليه الجاهلية من التفاضل بين القتلى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

قال السدي رحمه الله تعالى: الحكم حكمان: حكم الله، وحكم الجاهلية، ثم تلا الآية. رواه أبو الشيخ[2].

وقال قتادة رحمه الله تعالى: إن أهل الجاهلية كان يأكل شديدهم

---

(١) رواه البخاري (١٤٤٩)، ومسلم (١٣٥٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٩٨).

ضعيفهم، وعزيزهم ذليلهم. رواه عبد بن حميد[1].

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ مُتَّبِعٌ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ الْجاهِلِيَّةِ، وَطالِبُ دَمَ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُرِيقَ دَمَهُ»[2].

وفسر البيضاوي حكم الجاهلية بالميل والمداهنة في الحكم[3].

وروى البيهقي في «الدلائل» عن أبي عذبة الحضرمي قال: جاء رجل إلى عمر رضي الله تعالى عنه، فأخبره أن أهل العراق قد حَصَبوا إمامهم، وكان عَوَّضهم به مكان إمام كان قبله، فخرج غضبان، فصلى فسها في صلاته، فلما سلم قال: يا أهل الشام! استعدوا لأهل العراق؛ فإن الشيطان قد باض فيهم وفرَّخ.

ثم قال: اللهم قد أَلْبَسُوا علي فَأَلْبِسْ عليهم، وعجل عليهم بالغلام الثقفي الذي يحكم فيهم بحكم الجاهلية، لا يقبل من محسنهم، ولا يتجاوز عن مسيئهم.

قال ابن لهيعة: وما ولد الحجاج يومئذ[4].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٩٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٢/ ٣٣٣).

(٤) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٨٧)، وكذا ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٤٤١).

قال البيهقي: لا يقول عمر ذلك إلا توقيفاً[1].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن الحسن قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: اللهم كما ائتمنتهم فخانوني، ونصحتهم فغشوني، فابعث عليهم غلامَ ثقيفٍ يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية[2].

٥٠ ـ ومنها: ترك العدل في عطية أولاده؛ فإن السنة أن يساوي بينهم.

كان طاوس رحمه الله تعالى إذا سئل عن التفضيل بين الأولاد في العطية قرأ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾. أخرجه ابن أبي شيبة[3].

وروى الإمام الشافعي في «الأم»، والشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما: أن أباه أتى به النبي ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي.

فقال: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَ هَذا؟»

قال: لا.

قال: «أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي الْبِـرِّ سَواءً؟»

قال: نعم.

---

(١) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٤٨٦).

(٢) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ١٦٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٩٩٢).

قال: «فَارْتَجِعْهُ»[1].

وفي رواية للبخاري قال: «فَاتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ»[2].

وأخرجه ابن أبي شيبة، ولفظه: انطلق بي أبي إلى رسول الله ﷺ ليُشهده على عطيةٍ أعطانيها، قال: «لَكَ غَيْرُهُ؟»

قال: نعم.

قال: «كُلَّهُمْ أَعْطَيْتَهُمْ مِثْلَ ما أَعْطَيْتَهُ؟»

قال: لا.

قال: «فَلا أَشْهَدُ عَلى جَوْرٍ»[3].

وقال إبراهيم[4]: كانوا يستحبون أن يعدل الرجل بين ولده حتى في القُبَلِ. رواه ابن أبي شيبة[5].

٥١ ـ ومنها: التبنِّي بحيث يعتقد أنه يؤثر في إرثه أو محرمية.

كما يتفق لبعض ذوي الأموال ممن لم يولد لهم ـ ولا سيما الترك ـ يتبنى الرجل أو المرأة ذكراً أو أنثى، ثم يعتقد أنه صار بذلك محرماً.

---

(١) رواه الإمام الشافعي في «المسند» (ص: ١٧٤)، والبخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (١٦٢٣).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٧).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٩٩١).

(٤) في «أ» و«ت»: «أبو نعيم» بدل «إبراهيم».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٩٩٥) عن إبراهيم.

وبلغني أن منهم من يأخذ الصغير فيدخله في قميصه، ثم يخرجه من جيبه، ويعتقد أنه بهذا الفعل يكون بينهما محرمية، وهذا ضلال وجاهلية.

وكفى دليلاً على إبطال ذلك قصة زيد في تبني النبي ﷺ حيث بيَّن الله تعالى أن التبني لا يحدث محرمية بأَنْ أمره بتزوج زينب بعد أن طلقها زيد رضي الله تعالى عنهما: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ﴾[الأحزاب: ٣٧]؛ أي: بالطلاق.

وروى عبد الرزاق، وابن حبان في «صحيحه»، والطبراني عن عائشة رضي الله تعالى عنها قال: كان من تبنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه، وورث من ميراثه حتى أنزل الله في ذلك: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[الأحزاب: ٥][1].

وروى الخطيب في «تالي التلخيص» عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَعْدى النَّاسِ عَلى اللهِ تَعالَى مَنْ عَدا فِي الْحَرَمِ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قاتِلِهِ، أَوْ قَتَلَ بِذُحُولِ الْجاهِلِيَّةِ».

فقام رجل فقال: يا رسول الله! إن فلاناً ابني.

فقال ﷺ: «ذَهَبَ أَمْرُ الْجاهِلِيَّةِ، لا دَعْوى فِي الإِسْلامِ؛ الْوَلَدُ

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٧/ ٤٦١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢٩١)، وكذا البخاري (٤٨٠٠).

لِلْفِراشِ، وَلِلْعاهِرِ الْحَجَرُ»[1].

٥٢ ـ ومنها: الحلف بغير الله تعالى كالآباء، ورأس الأمير بحياته وحياة غيره، وهو مكروه.

قال النووي: ومن أشدها كراهة الحلف بالأمانة[2].

روى أبو داود بإسناد صحيح، عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِالأَمانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا»[3].

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يَنْهاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبائِكُمْ؛ فَمَنْ كانَ حالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَسْكُتْ»[4].

وروى أبو داود، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا تَحْلِفُوا بِآبائِكُمْ وَلا بِأُمَّهاتِكُمْ وَلا بِالأَنْدادِ، وَلا تَحْلِفُوا بِاللهِ إِلاَّ وَأَنْتُمْ صادِقُونَ»[5].

قال صاحب «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ

---

(١) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٠٧).

(٢) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٢٩٣).

(٣) رواه أبو داود (٣٢٥٣). وصحح النووي إسناده في «الأذكار» (ص: ٢٩٣).

(٤) رواه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (١٦٤٦).

(٥) أبو داود (٣٢٤٨)، والنسائي (٣٧٦٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٣٥٧).

﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[الشعراء: ٤٤]: أقسموا بعزة فرعون، وهي من أيمان الجاهلية، وهكذا كل حلف بغير الله.

ثم قال: ولقد استحدث الناس في هذا الباب، في إسلامهم جاهلية نُسيت لها الجاهلية الأولى، وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله تعالى كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس السلطان؛ فإن أقسم به فذلك عندهم جهد اليمين التي ليست وراءها حلف لحالف[1].

٥٣ ـ ومنها: الإيلاء أكثر من أربعة أشهر إضراراً بالنساء.

وهو في الأصل القسم، ثم خص بأن يحلف أن لا يجامع زوجته.

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو﴾؛ أي: رجعوا إلى الجماع كما قاله الأكثرون ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٦].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان إيلاء أهل الجاهلية السنة والسنين وأكثر من ذلك، فوقَّت الله تعالى لهم أربعة أشهر؛ فإن كان إيلاؤه أقل من أربعة أشهر فليس بإيلاء؛ أي: فليس بإيلاء محرم. رواه سعيد بن منصور، والطبراني، والبيهقي، والخطيب في «تالي التلخيص»[2].

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/ ٣١٨).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «السنن» (١٨٨٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٣٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٨١)، والخطيب البغدادي في «تالي تلخيص المتشابه» (٢/ ٥١٣).

٥٤ ـ ومنها: الظِّهار.

وعده هو والإيلاء طلاقاً، بل لم يكن طلاقهم إلا ظهاراً وإيلاءً.

روى عبد الرزاق عن طاوس رحمه الله تعالى: كان طلاق أهل الجاهلية الظهار، فظاهر رجل في الإسلام وهو يريد الطلاق، فأنزل الله تعالى فيه الكفارة[١].

وروى الطبراني عن ابن عباس قال: كان الظهار في الجاهلية تحريم النساء، فذكر الحديث[٢].

وروى عبد بن حميد عن أبي قلابة رضي الله تعالى عنه قال: إنما كان طلاقهم في الجاهلية الظهار والإيلاء[٣].

وروى البيهقي عن مقاتل بن حيان رحمه الله تعالى قال: كان الظهار والإيلاء طلاقاً في الجاهلية، فوقَّت الله تعالى في الإيلاء أربعة أشهر، وجعل في الظهار الكفارة[٤].

٥٥ ـ ومنها: أنهم كانوا لا يرون على المطلقة عدة.

وروى عبد بن حميد عن قتادة رحمه الله تعالى في قوله ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾[البقرة: ٢٢٨] قال: كان أهل الجاهلية يطلق

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١١٤٧٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦٨٩).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٧٥)، ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١١٥٧٨).

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٨٣).

أحدهم ليس لذلك عدة[1].

وروى أبو داود عن أسماء بنت يزيد بن السَّكَن الأنصارية رضي الله تعالى عنها قالت: طلقت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله تعالى حين طلقت العدة للطلاق: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[البقرة: ٢٢٨][2].

٥٦ ـ ومنها: أكل الأولياء مهورَ موليِّاتِهنَّ.

وهذا في هذه الأعصار شأن أهل القرى من الفلاحين والأعراب أهل الوبر والشعر، حتى يعدو مهور مولياتهن كسباً من أكسابهم.

روى سعيد بن منصور، والمفسرون عن أبي صالح رضي الله تعالى عنه قال: كان الرجل إذا زوج أيمه أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، ونزلت: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[النساء: ٤][3].

٥٧ ـ ومنها: ما ذكره القاضي أبو بكر بن العربي في «القبس» قال: وكانت أهل الجاهلية تحلق رأس المولود وتلطِّخه بالدم، فشرع النبي ﷺ التصدق بِزِنتَه ـ يعني: الشعر ـ.

قال: وقال العلماء: يلطخ بالخلوق رأسه.

وقال أيضاً: وتكسر عظامها ـ يعني: العقيقة ـ خلافاً لما كانت

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٦٥٦).

(٢) رواه أبو داود (٢٢٨١).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٤/ ٢٤١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٨٦٠).

تقوله الجاهلية: إنها لا يكسر لها عظم. انتهى[1].

وذكر أصحابنا أنه يستحب أن لا يكسر لها عظم، تفاؤلاً بسلامة أعضاء المولود؛ فإن كسر كان خلاف الأولى[2].

٥٨ ـ ومنها: ما ذكره الجوهري في «صحاحه»، وغيره من أنهم كانوا في الجاهلية إذا قتل لهم قتيل عقوا بسهم؛ أي: رموا به نحو السماء، فإن رجع السهم ملطخاً بالدم لم يرضوا إلا بالقَوَد، فإن رجع نقياً مسحوا بلحاهم وصالحوا على الدية، وكان مسح اللحى علامة للصلح.

وأنشدوا للهذلي: [من الكامل]

عَقُّوا بِسَهْمٍ ثُمَّ قَالُوا صَالِحُوا

يَا لَيْتَنِي فِي القَوْمِ إِذْ مَسَحُوا اللِّحَى

قال الجوهري: وذلك السهم يسمى: عقيقة، وهو سهم الاعتداد.

قال: ويروى: عقوا بسهم ـ بفتح القاف ـ وهو من المعتل، وأنشد: [من البسيط]

عَقَّوا بِسَهْمٍ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدُ

ثُمَّ اسْتَفَاؤوا وَقَالُوا حَبَّذا الوَضَحُ[3]

---

(١) وانظر: «الاستذكار» لابن عبد البر (٥/ ٣٢١).

(٢) انظر: «المجموع» للنووي (٨/ ٣١٩).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٥٢٨) (مادة: عقق).

٥٩ ـ ومن عوائدهم وأحكامهم ـ وهو من تهاونهم بما كان عليه صالحوا آبائهم من التمسك بملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام من تعظيم الحرم، والإحرام بالنسك ـ: قتل الصيد بالحرم وهم محرمون، وكان ذلك معروفاً فيهم كما قال قائلهم: [من البسيط]

وَالْمــؤمِنُ العائــدات الطَّيْــرِ يَمْـسَحُها
رُكْبــانُ مَكَّــةَ بَــيْنَ الــضال وَالــسَّنَدِ

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّـٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[المائدة: ٩٥].

قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه في قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾[المائدة: ٩٥] قال: عما كان في الجاهلية؛ أي: من قتل المحرم الصيد.

قال: ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ في الإسلام ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ﴾[المائدة: ٩٥]، وعليه مع ذلك الكفارة. أخرجه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ(١).

وقيل: المعنى: عفا الله عما سلف منكم من ذلك في الإسلام

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٢٠٩) دون قوله: «وعليه مع ذلك الكفارة».

قبل نزول الآية.

أو: في الحديبية.

أو: عفا الله عما سلف منكم أول مرة بالكفارة[1].

﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾[المائدة: ٩٥] يترك لا يحكم عليه بالكفارة حتى ينتقم الله منه.

وهو مذهب ابن عباس، وشريح، وغيرهما.

والأكثرون على أنه يحكم عليه كل مرة[2].

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن الحسن: أن رجلاً أصاب صيداً وهو محرم، فتجوز عنه، ثم عاد فأصاب صيداً آخر، فنزلت نار من السماء فأحرقته[3].

٦٠ ـ ومنها: التشديد على من يقتل الصيد بالمجاوزة في الحكم عليه عن الكفارة إلى العقوبة.

بل من أفعالهم التجاوز في الحدود والتعزيرات مطلقاً كما تقدم عنهم من المجاوزة في القَوَد إلى غير القاتل.

فتجاوُزُ الحكام عن السياسات الشرعية أخلاقٌ جاهلية.

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ١٩٦).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٦٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٢١٠).

تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

قال ابن عباس في الآية: كانوا في الجاهلية إذا أحدث الرجل حدثاً، أو قتل، أو قتل صيداً وهو محرم أو بالحرم، ضرب ضرباً شديداً، وسلب ثيابه. رواه أبو الشيخ من طريق أبي صالح عنه[1].

وروى ابن أبي حاتم من طريق قيس بن سعد عنه: أنه كان يقول في قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤]: أن يوسَّع بطنه وظهره جلداً، أو سلب ثيابه[2].

يريد: أن ذلك كان عقوبته في صدر الإسلام كما كان ذلك حكمه في الجاهلية، ثم نسخ بالآية بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥] الآية.

كما قال جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما: كان إذا ما أخذ شيئاً من الصيد أو قتله جلد مئة، ثم نزل الحكم بعدُ. أخرجه أبو الشيخ[3].

*** تَنْبِيهٌ:**

مما يدل على عظيم حرمة الحرم والإحرام أن الله تعالى لم يرض

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ١٨٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٢٠٤).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ١٨٥).

في جزاء من قتل صيدهما إلا بحكم عدلين فيه، ثم ألحقت السنة الخطأ في ذلك بالعمد، وجرى الأمر على ذلك لئلا يستخف الناس في ذلك أو يتساهلوا فيه؛ كما روى الشافعي، وابن المنذر ذلك عن عطاء[1].

ورويا عن عمرو بن دينار رحمه الله تعالى قال: رأيت الناس أجمعين يغرمون في الخطأ[2].

وروى المفسرون، والطبراني، والحاكم وصححه، عن قبيصة بن جابر رحمه الله تعالى قال: حججنا زمن عمر رضي الله تعالى عنه فرأينا ظبياً، فقال أحدهما لصاحبه: أتراني أبلغه؟ فرمى بحجر فما أخطأ حشاه، فقتله، فأتينا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فسألناه عن ذلك، فإذا إلى جنبه رجل ـ يعني: عبد الرحمن بن عوف ـ فالتفت إليه فكلمه، ثم أقبل على صاحبنا، فقال: أعمداً قتلته أم خطأً؟

قال الرجل: تعمدت رميه وما أردت قتله.

قال عمر: ما أراك إلا أشركت بين العمد والخطأ؛ اعمد إلى شاة فاذبحها، وتصدق بلحمها، وأسق إهابها؛ يعني: ادفعه إلى مسكين يجعله سقاء.

قال: فقمنا من عنده فقلت لصاحبي: أيها الرجل! أَعْظِمْ شعائر الله، والله ما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى شاور صاحبه؛ اعمد

---

(١) انظر: «الأم» للإمام الشافعي (٢/ ١٨٣).

(٢) رواه الشافعي في «المسند» (ص: ١٣٣).

إلى ناقتك فانحرها، ففعل ذلك.

قال قبيصة: وما أذكر الآية في سورة المائدة: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[المائدة: ٩٥].

قال: فبلغ عمر رضي الله تعالى عنه مقالتي فلم يفجأ إلا ومعه الدِّرَّةَ، فعلا صاحبي ضرباً بها، وهو يقول: أقتلت الصيد في الحرم وسفَّهت الفتيا؟ ثم أقبل عليَّ فضربني، فقلت: يا أمير المؤمنين! لا أحل لك مني شيئاً مما حرم الله عليك؟

قال: يا قبيصة! إني أراك شاباً حديث السن، فصيح اللسان، فسيح الصدر، وإنه قد يكون في الرجل تسعة أخلاق صالحة وخلق سيىء، يتغلب خلقه السيىء أخلاقه الصالحة، فإياك وعثراتِ الشباب[1].

قلت: ما فعل عمر رضي الله تعالى عنه ـ وقد صح الأمر بالاقتداء [به و] بأبي بكر رضي الله تعالى عنهما ـ دليلٌ على أنه يعزَّر على الذنب الذي لا حد فيه، وأنه قد يجتمع التعزير والكفارة، وأن من أفتي بحكم شرعي ولم يرض به يعزر، وأن من اعترض من هو أعلم منه بغير وجه أو بمجرد الرأي يعزر، وكذلك من دعا مستفتياً أرشده المفتي إلى شيء إلى مخالفته ولو بما هو أحوط منه رأياً يؤدب، وأن الشباب ينبغي أن يتحفظ

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٧/ ٤٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٢٠٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٥٣٥٥).

من سَورة الشباب وعثراته، ولكثرة ما في هذا الأثر من الفوائد أوردته هنا.

٦١ ـ ومن أخلاق الجاهلية: تحريم الحلال، وتحليل الحرام.

ـ **فمن الأول**: تحريم البَحيرة، والسَّائبة، والوَصِيلة، والحَام.

قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣ ـ ١٠٤].

الواو للحال، والهمزة الداخلة عليها لإنكار الفعل على هذه الحال؛ أي: أكافيهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا على جاهلية وضلال لا يعلمون شيئاً مما تعبدوا به ولا يهتدون إلى شريعة؟

وفيه دليل على أن الاقتداء إنما يصح ممن علم أنه عالم مقتد، وأن الجاهل لا يكون قدوة.

روى المفسرون عن ابن عباس قال: البحيرة هي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكراً ذبحوه، فأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى جَدَعوا آذانها، فقالوا: هي بحيرة.

وفي رواية: فلا يجز لها وبر، ولا يذاق لها لبن.

وأما السائبة: فكانوا يسيبون من أنعامهم لآلهتهم، لا يركبون لها ظهراً، ولا يحلبون لها لبناً، ولا يجُزُّون لها وبراً، ولا يحملون عليها شيئاً.

وأما الوصيلة: فالشاة إذا نتجت سبعة أبطن، نظروا إلى السابع فإن كان ذكراً أو أنثى وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء، وإن كان ذكراً وهو حي ذبحوه، وإن كانت أنثى استحيوها، وإن كان ذكراً وأنثى في بطن استحيوهما، وقالوا: وصلته أخته، فحرمته علينا.

وأما الحام: فالفحل من الإبل إذا ولد لولده؛ قالوا: حمى ظهره، فلا يحملون عليه شيئاً، ولا يجزون له وبراً، ولا يمنعونه من حمى مرعى عنه، ولا من حوض يشرب منه وإن كان الحوض لغير صاحبه.

وفي رواية: كان الرجل يكون له الفحل، فإذا لقح عشراً قيل: حام، فاتركوه[1].

وروى الشيخان عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم[2].

وروى الإمام أحمد، والحكيم الترمذي في «نوادره»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، والمفسرون عن أبي الأحوص، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في خُلْقان من الثياب، فقال لي: «هَلْ مِنْ مالٍ؟».

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٧/ ٩٠)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٢٢٠ ـ ١٢٢٤) نحوه مفرقاً.

(٢) رواه البخاري (٤٣٤٧) واللفظ له، ومسلم (٢٨٥٦).

قلت: نعم.

قال: «مِنْ أَيِّ الْمالِ؟».

قلت: من كل المال؛ من الإبل، والغنم، والخيل، والرقيق.

قال: «فَإِذا آتاكَ اللهُ فَلْيُرَ عَلَيْكَ».

ثم قال: «تُنْتِجُ إِبِلُكَ وافِيةً آذانُها».

قلت: نعم؛ وهل تنتج الإبل إلا كذلك؟

قال: «فَلَعَلَّكَ تَأْخُذُ مُوسَى فَتَقْطَعُ آذانَ طائِفَةٍ مِنْها وَتَقُولُ: هَذِهِ بَحِيْرَةٌ، وَتَشُقُّ آذانَ طائِفَةٍ وَتَقُولُ: هَذِهِ حَرامٌ»؟

قلت: نعم.

قال: «فَلا تَفْعَلْ؛ إِنَّ كُلَّ ما آتاكَ اللهُ لَكَ حِلٌّ».

ثم قال: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣][1].

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عامِرٍ الْخزاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ؛ وَكانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوائِبَ، وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٧٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٨٣)، وكذا النسائي في «السنن الكبرى» (١١١٥٥) بلفظ قريب.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٧٥)، والبخاري (٣٣٣٣)، ومسلم (٢٨٥٦).

وروى ابن أبي شيبة، والحاكم وصححه، عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجون: «يا أَكْثَمُ! عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَرَأَيْتُ فِيها عَمْرَو بْنَ لَحْيٍ بْنِ قَمعةَ بْنِ حَفِيفٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، فَما رَأَيْتُ رَجُلاً أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ وَلا بِهِ مِنْكَ».

فقال أكثم: أخشى أن يضرُّني شبهه يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «لا، إِنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كافِرٌ، إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ، وَحَمَى الْحامَ»[1].

وروى الإمام أحمد، والحاكم وصححه، عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه نحوه، وقال فيه: «وَرَأَيْتُ فِيها عَمْرَو بْنَ لَحْيٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَأَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ مَعْبَدُ بْنُ أَكْثَمٍ الْخزاعِيُّ».

فقال معبد: يا رسول الله! أتخشى عليَّ من شبهه؟

قال: «لا، أَنْتَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كافِرٌ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ الْعَرَبَ عَلى عِبادَةِ الأَصْنامِ»[2].

*** تَنْبِيهٌ:**

كثير من العوام يتحرجون عن صيد اليمام في الْحِلِّ، أو وهم

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٧٨٩)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (٧٤٩٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٨٨).

حِلٌّ، وعن أكله، ويزعمون أن الحمامتين اللتين عشَّشتا على النبي ﷺ وهو في الغار كانتا من اليمام، ولم يثبت في ذلك شيء، والتحرج عن ذلك تشبه بالجاهلية في تحرجهم عن البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

وكذلك التحرج عن صيد مكان مخصوص ما عدا مكة والمدينة [. . .][1] الطائف.

ـ **ومن الثاني**، وهو تحليل الحرام: إباحتهم لأكل الميتة، والدم كالمنخنقة والموقوذة؛ أي: المقتولة بالعصا ونحوها، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السَّبُعُ إلا ما ذكيتم.

قال ابن عباس: كانت العرب ـ يعني: في الجاهلية ـ تخنق الشاة، فإذا ماتت أكلوا لحمها. ذكره الثعلبي، وغيره[2].

روى الطبراني، والحاكم وصححه، عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي أدعوهم إلى الله ورسوله، وأعرض عليهم شعائر الإسلام، فأتيتهم، فبينما نحن كذلك إذ جاؤوا بقصعة دم، واجتمعوا عليها يأكلونها، قالوا: هلم يا صُدي ـ واسم أبي أمامة: صدي بن عَجلان ـ فكل.

قلت: ويحكم! إنما أتيتكم من عند من يحرم هذا عليكم، وأنزل الله عليه.

---

(١) كلمة غير واضحة في «أ» و«ت».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٢).

قالوا: وما ذاك؟ فتلوت عليهم هذه الآية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾[المائدة: ٣][١].

وروى ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية إذا ذبحوا أودجوا الدابة، وأخذوا الدم فأكلوه، وقالوا: هو دم مسفوح[٢].

وروى أبو داود، وغيره، وصححه الحاكم عنه قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذراً، فبعث الله نبيه، وأنزل كتابه، وأحل حلاله وحرَّم حرامه، فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، ومهما سكت عنه فهو عفو، ثم تلا هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾[الأنعام: ١٤٥] إلى آخر الآية[٣].

* تَتِمَّةٌ:

قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[الأنعام: ١٣٨ - ١٣٩].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٠٥).

(٢) ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٤٠٧).

(٣) رواه أبو داود (٣٨٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧١١٣).

قوله: ﴿حِجْرٌ﴾[الأنعام: ١٣٨]؛ أي: حرام، ثم جعلوا تحليلها وتحريمها لأنفسهم، وقالوا: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾فأحلوها للرجال، وحرموها على النساء.

﴿وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾[الأنعام: ١٣٨] أن تركب، وهي: البحيرة، والسائبة، والحام.

﴿وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾[الأنعام: ١٣٨] إذا ولدوها، أو نحروها، أو لا يحجون عليها، وهي البحيرة؛ وكل ذلك افتراء منهم على الله.

﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾[الأنعام: ١٣٩] يعنون ألبان البحائر، كما أخرجه ابن المنذر عن قتادة[1].

وقال ابن عباس: كانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه، وكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركوها فلم يذبحوها، وإن كان ميتة فهم فيه شركاء؛ يعني: الرجال والنساء. أخرجه ابن أبي حاتم[2].

وقال مجاهد في قوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾[الأنعام: ١٣٩]: قولهم الكذب في ذلك. رواه ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[3].

---

(١) ورواه الطبري في «التفسير» (٨/ ٤٨).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٣٩٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٣٩٦)، وكذا الطبري في «التفسير» (٨/ ٥٠).

وهو على حذف مضاف؛ أي: جزاء وصفهم الذي وصفوه بألسنتهم من الكذب.

ومن أشبه شيء بذلك من أفعال الجاهلية ما يقوله كثير من الأجناد إذا لبسوا الحرير، أو شربوا الخمور إذا عوتبوا في فعل ذلك مع إنكارهم إياه على غيرهم: نحن عسكر السلطان.

فإن اعتقدوا حل ذلك لهم كفروا أو تعرضوا للكفر.

وجعلت من ذلك عائشة رضي الله تعالى عنها تخصيص ذكور الأولاد بالصدقة، فروى البخاري في «تاريخه» عنها قالت: يعمد أحدكم إلى المال فيجعله للذكور من ولده؛ إن هذا إلا كما قال الله تعالى: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾[الأنعام: ١٣٩][(١)].

٦٢ ـ ومن عوائد أهل الجاهلية: أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار، ويأكلون أموال اليتامى والأرامل والضعفاء.

وهذا أكثر من يفعله الآن سكان البوادي والفلاحون.

روى أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار الذكور حتى يدركوا، فمات رجل من الأنصار يقال له: أوس بن ثابت، وترك ابنتين وابناً صغيراً، فجاء ابنا عمه وهما عصبة، فأخذا ميراثه كله، فقالت امرأته لهما: تزوجا بهما ـ وكانت فيهما دَمامة ـ فأبيا، فأتت رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٧).

فقالت: يا رسول الله! توفي أوس، وترك ابناً صغيراً وابنتين، فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة فأخذا ميراثه، فقلت لهما: تزوجا ابنتيه، فأبيا.

فقال: رسول الله ﷺ: «ما أَدْرِي ما أَقُولُ»، فنزلت: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[النساء: ٧].

فأرسل إلى خالد وعرفطة، فقال: «لا تُحَرِّكا مِنَ الْمِيراثِ شَيْئاً؛ فَإِنَّهُ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ شَيْءٌ أَخْبَرْتُ عَنْهُ أَنَّ لِلذَّكَرِ وَالأُنْثَى نَصِيباً».

ثم نزل بعد ذلك: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِيمًا﴾[النساء: ١٢٧].

ثم نزل: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[النساء: ١١ ـ ١٢].

فدعا بالميراث، فأعطى المرأة الثمن، وقسم ما بقي[١] للذكر مثل حظ الأنثيين[٢].

وقال زيد بن أسلم رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾[النساء: ١٠]: هذه لأهل الشرك، حين كانوا لا يورثونهم، ويأكلون أموالهم. أخرجه ابن جرير[٣].

---

(١) في «أ» و«ت»: «ما ذكر».

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٤٣٨).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٤/ ٢٧٣).

٦٣ ـ ومنها: تناول الأثمان المحرمة والأعواض المؤثمة؛ كثمن الكلب، والخمر، ومهر البغي، وحُلْوان الكاهن، والعقود الفاسدة؛ كبيع الخمر، والكلب، والميتة، وبيع الغرر، وبيع حَبَل الحَبلَة، وعَسْب الفَحْل.

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك كله، وتكلم عليه المحدثون، والفقهاء.

روى الطيالسي، والبزار، وابن مردويه بسند صحيح، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن جارية لعبدالله بن أبي كانت تزني في الجاهلية فولدت له أولاداً، فلما حرم الله تعالى الزنا قال لها: ما لك لا تزنين؟ قالت: لا والله لا أزني أبداً، فضربها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣][1].

وفي «صحيح مسلم» عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن جارية لعبدالله بن أبي يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، وكان يريدهما على الزنى، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣] الآية[2].

---

(١) ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٥٨٩)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٩٣).

(٢) رواه مسلم (٣٠٢٩).

وفي رواية: أنه قرأ الآية: ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن لهنَّ غفور رحيم﴾[النور: ٣٣]؛ هكذا كان يقرؤها[١].

وهي قراءة ابن مسعود أيضاً[٢].

وفسر سعيد بن جبير قراءته ﴿لَهُنَّ﴾ قال: للمكرهات، كما رواه ابن أبي حاتم[٣].

ولذلك كان سعيد بن جبير يقرؤها، كما رواه ابن جرير[٤].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: كان أهل الجاهلية يبغون إماءهم، فنهوا عن ذلك في الإسلام[٥].

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كانوا في الجاهلية يكرهون إماءهم على الزنى؛ يأخذون أجورهن، فنزلت الآية[٦]. أخرجهما ابن مردويه.

وروى الإمامان مالك، والشافعي، والحفاظ البخاري، وأبو داود، والنسائي رحمهم الله تعالى، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن

---

(١) انظر: «فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٣١).

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (/ ٢٥٩١).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٥٩١).

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (١٨/ ١٣٣).

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٩٣).

(٦) ورواه الطبري في «التفسير» (١٨/ ١٣٣).

رسول الله ﷺ نهى عن بيع حَبَل الحَبَلة.

زاد في رواية: وكان الرجل يبتاع الجزور إلى أن تنتج الناقة، ثم ينتج الذي في بطنها[1].

وروى الإمام مالك في «الموطأ» عن داود بن الحصين: أنه سمع ابن المسيب يقول: كان من ميسر أهل الجاهلية بيع اللحم بالشاة والشاتين[2].

٦٤ ـ ومنها: الربا وأكل ما يحصل منه، وتناوله، والتصرف فيه.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩].

روى المفسرون عن السدي: أن الآية نزلت في العباس بن عبد المطلب ورجل من بني المغيرة، كانا شريكين في الجاهلية يُسْلِفان في الربا إلى الناس من ثقيف من بني ضَمْرة، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ﴾[البقرة: ٢٧٨] من فضل كان في زمن الجاهلية من الربا[3].

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٦٥٣)، والشافعي في «السنن المأثورة» (ص: ٢٧٣)، والبخاري (٢٠٣٦)، وأبو داود (٣٣٨٠)، والنسائي (٤٦٢٣)، وكذا مسلم (١٥١٤).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٦٥٥).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٤٨).

وتقدم قـول النبـي ﷺ: «وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُـهُ رِبـا الْعَبَّـاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

وروى ابن جرير عن الضحـاك في قولـه تعـالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا﴾[البقرة: ٢٧٨] قال: كان ربـا يتبايعون به في الجـاهلية، فلـما أسلموا أمروا أن يأخذوا رؤوس أموالهم[١].

وروى ابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه» عن مجاهد في الآية قال: كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدَّيْنُ، فيقول: لك كذا وكذا وتؤخر عني، فيؤخر عنه[٢].

وفي «الموطأ»، و«سنن البيهقي» عن زيد بن أسلم قال: كان الربا في الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل الحق إلى أجل، فإذا حل الحق قال: أتقضي أم تربي؛ فإن قضاه أخذ، وإلا زاده في حقه، وزاده الآخر في الأجل[٣].

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزلت الآيـات من آخـر سـورة البقرة في الربـا خرج

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٣/ ١١١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٤٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٧٥).

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٦٧٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٧٥).

رسول الله ﷺ إلى المسجد فقرأهن على الناس، ثم حرم التجارة في الخمر[1].

وروى أبو داود، والحاكم وصححه، عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[البقرة: ٢٧٥] قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَذَرِ الْمُخابَرَةَ فَلْيُؤْذِنْ بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ»[2].

قال في «القاموس»: المخابرة: أن تزرع على النصف ونحوه، كالخَبِر ـ بالكسر ـ والمواكرة، والخبير: الأكَّار[3].

وقال الفقهاء: هي المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها والبذر من العامل.

والمزارعة: هذه المعاملة والبذر من المالك.

وأجاز الشافعي المزارعة مع المساقاة على الشجر بشرط اتحاد العامل، وتعذر إفراد الشجر بالسقي والبياض بالزراعة.

والأصح من المذهب أنه لا تجوز المخابرة تبعاً للمساقاة لعدم ورودها؛ بخلاف عامل أهل خيبر على نخلها وأرضها بشطر ما يخرج

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٢٧)، والبخاري (١٩٧٨)، ومسلم (١٥٨٠).

(٢) رواه أبو داود (٣٤٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٢٩).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٤٨٩) (مادة: خبر).

منها من ثمر أو زرع، كما في «الصحيحين»[1].

وقد يفرق بينهما بأن المخابرة محض زيادة ينالها المخابر على أرضه، ولذلك ألحقها ﷺ بالربا كما في حديث جابر.

والمزارعة لا ينال فيها المزارع إلا ما حصل من أرضه وبذره، والعامل يأخذ أجرة عمله.

٦٥ ـ ومنها: القمار، وهو المراهنة على ما يأخذه الغالب؛ إلا المسابقة والمناضلة الشرعيتين، والنَّرد.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[المائدة: ٩٠] الآية.

روى البخاري في «الأدب المفرد» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنه كان يقال ـ يعني: في الجاهلية ـ: أين أيسار الجزور؟ فيجتمع العشرة، فيشترون الجزور بعشرة فصلان إلى الفصال، فيحلون السهام ـ يعني: الأزلام ـ فتصير تسعة حتى تصير إلى واحد، ويغرم الآخرون فصيلاً فصيلاً إلى الفصال؛ فهو الميسر[2].

أخرج ابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى في الميسر قال: كانوا يشترون الجزور فيجعلونها أجزاءً، ثم يأخذون القداح فيلقونها، وينادى: يا ياسر الجزور! فمن خرج قدحه أخذ جزءاً

---

(١) رواه البخاري (٢٢٠٣)، ومسلم (١٥٥١) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٥٩).

بغير شيء، ومن لم يخرج قدحه حرم ولم يأخذ شيئاً[1].

قال: وفي «القاموس»: والميسر اللعب بالقداح، يسر ييسر؛ أي: كضرب يضرب.

أو هو الجزور التي كانوا يتقامرون عليها؛ كانوا إذا أرادوا أن ييسروا اشتروا جزوراً نسيئة، ونحروه قبل أن ييسروا، وقسموه ثمانية وعشرين قسماً أو عشرة أقسام، فإذا خرج واحد واحد باسم رجل رجل ظهر فوز من خرجت لهم ذوات الأنصباء، وغرم من خرجت له الغفل، وهو النرد أو كل قمار[2].

وروى ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي»، وغيره عن قتادة رحمه الله تعالى قال: كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله، فيقعد حزيناً سليباً ينظر إلى ماله في يد غيره.

قال: وكانت ـ يعني: المقامرة ـ تُورث بينهم العداوة والبغضاء، فنهى الله تعالى عن ذلك[3].

وتقدم فيه: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة: ٩٠].

وروى هو وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عطاء،

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ١٧٠).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٦٤٣) (مادة: يسر).

(٣) ورواه الطبري في «التفسير» (٧/ ٣٥).

وطاوس، ومجاهد رحمهم الله تعالى قالوا: كل شيء فيه قمار فهو من الميسر، حتى لعب الشيطان بالكعاب والجوز[1].

وفسر ابن الزبير الميسر بالنردشير، كما أخرجه ابن أبي الدنيا، والبيهقي في «الشعب»[2].

٦٦ ـ ومنها: الْجَلَب والْجَنَب ـ وهما بفتحتين ـ.

وروى الإمام أحمد، وأبو داود من حديث ابن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا جَلَبَ وَلا جَنَبَ، وَلا تُؤْخَذُ صَدَقاتُهُمْ إلاَّ فِي دُورِهِمْ»[3].

قال ابن إسحاق: يعني لا جلب: أن تصدق الماشية في موضعها، ولا تجلب إلى المصدق.

ومعنى لا جنب: أن يكون المصدق بأقصى مواضع أصحاب الصدقة فتجنب إليه، فنهوا عن ذلك، انتهى[4].

وهذا كان من فعل الجاهلية إذا أخذوا الرباع؛ وهو ربع الغنيمة ونحوه، فنهى الشرع عن مثل ذلك في أخذ الصدقات، وأمر أن

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦١٧٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١١٩٧)، انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ١٧٠).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢١٦)، وكذا البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٧٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢١٦)، وأبو داود (١٥٩١).

(٤) رواه أبو داود (١٥٩٢).

تؤخذ من أرباب المواشي بالرفق من غير أن يعنفوا، أو يكلفوا جلباً أو جنباً.

وفسر الإمام مالك رحمه الله تعالى الجلب والجنب بخلاف ما فسره ابن إسحاق، فقال: الجلب أن يجلب الفرس في السباق وراءه، فيحرك الشيء يستحث به، فيسبق.

والجنب: أن يجنب مع الفرس الذي سابق به فرساً آخر، حتى إذا دنا تحول الراكب على الفرس الجنوب، فيسبق[1].

وهذا التفسير ظاهر في ما رواه أبو داود عن عمران بن حصين رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «لا جَنَبَ وَلا جَلَبَ فِي الرِّهانِ»[2].

أخرجه هو والإمام أحمد، والنسائي، والترمذي، وابن حبان وصححاه، بدون قوله: «فِي الرِّهانِ»[3].

وقد أقر التفسيرين ابنُ الأثير، والترمذيُّ، وغيرهما[4].

---

(١) انظر: «شرح مشكل الآثار» للطحاوي (٥/ ١٥٤)، و«التمهيد» لابن عبد البر (١٤/ ٩١).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٨١).

(٣) رواه أبو داود (٢٥٨١)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤٢٩)، والنسائي (٣٣٣٥)، والترمذي (١١٢٣) وصححه، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٦٧).

(٤) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ٦٠٦).

وقال أبو عبيد: الجلب يكون في شيئين:

في سباق الخيل: وهو أن يتبع الرجل فرسه، فيزجره ويجلب عليه، فيكون ذلك معونة للفرس على جريه.

ويكون في الصدقة: وهو أن يقدم المصدق فينزل موضعاً، ثم يرسل من يجلب إليه الأموال من أماكنها ليأخذ صدقتها، فنهى عن ذلك، وأمر أن يصدقوا على مياههم[1].

٦٧ ـ ومنها: المُكس.

وهو كما قال في «القاموس»: دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية[2].

وفي «النهاية»: إنه الضريبة التي يأخذها الماكس، وهو العَشَّار[3].

وفيها أن العَشَّار: الْمَكَّاس، والعُشُور: المكوس التي تأخذها الملوك[4]؛ أي: ما عدا عُشر الزكاة فيما تجب فيه من المعشرات.

ومن ذلك الرباع؛ يقال: ربَّع الجيش إذا أخذ منهم ربع الغنيمة، كان يفعل ذلك في الجاهلية [فرده][5] الإسلام خمساً؛ قاله في

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١١/ ٦٣)، (مادة: جلب).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٧٤٢) (مادة: مكس).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٣٤٩).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٢٣٩).

(٥) بياض في «أ» و«ت».

«القاموس»، ثم فسر فيه الرباع بأنه ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية خالصاً[1].

وقال السيوطي في «البدور السافرة»: إن أخذ الربع من الغنائم والكسب كان عادة أمراء الجاهلية، وإذا نظرت إلى ما أحدث الحكام في هذه الأعصار على المسلمين في بضائعهم وتجاراتهم، وزروعهم وطرقهم مما يؤخذ باسم السلطان أو للوالي من قبله، ولصبيانهم وأعوالهم، علمت على أنهم على شَبَهٍ ظاهر بأهل الجاهلية.

ولعل ذلك يؤخذ من المسلمين كما تؤخذ الجزية من الذميين، بل أشد.

وقد روى الإمام أحمد عن حرب بن هلال الثقفي، عن جده أبي أمية رجلٍ من تَغْلب رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ عَلى الْمُسْلِمِينَ عُشُورٌ؛ إِنَّما الْعُشُورُ عَلى الْيَهُودِ وَالنَّصارَى»[2].

وروى هو وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ عَلى مُسْلِمٍ جِزْيَةٌ»[3].

وهي فِعْلة من الجزاء، سمي ما يؤخذ من الذمي جزية كأنها

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٩٢٨) (مادة: ربع).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤١٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٢٣)، وأبو داود (٣٠٥٣)، وكذا الترمذي (٦٣٣).

جَزت عن قتله، وسمي خراج الأرض جزية كأنه لازم لصاحب الأرض كما تلزم الجزية الذمي؛ كذا في «النهاية»[1].

وعليه: فمعنى الحديث: أنه لا يُضرب على المسلم ضريبة تؤخذ منه في كل عام، فيُلزم بها كما يُلزم الذمي بجزيته، وتؤخذ منه طَوعاً أو كَرهاً.

وهذه أفعال أكثر الأمراء في نواحي الشام وغيرها، يأخذون من الرجال في كل عام مالاً معيناً على كل واحد منهم كأنه حق يلزم رقابَهم، ويكتب بذلك دفاتر لهم، ويُنتظر صبيهم حتى يبلغ فيفرض عليه كما تُفرض الجزية على رجال أهل الذمة، بل تعدَّى بعضهم ففرض على غير آلات بلاده في بعض الأعوام قدراً من الغزل لأجل البندقيات؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٦٨ ـ ومنها: المغالقة على الخيل.

وهي من جنس القمار، إلا أني نبهت عليها لمزيد الفائدة والإيضاح.

روى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد عن أبي عمرو الشيباني، عن رجل من الأنصار رضي الله تعالى عنهم، عن النبي ﷺ قال: «الْخَيْلُ ثَلاثةٌ؛ فَرَسٌ يَرْبِطُهُ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَثَمَنُهُ أَجْرٌ، وَعارِيَّتُهُ أَجْرٌ، وَعَلَفُه أَجْرٌ، وَفَرَسٌ يُغالِقُ فِيهْ الرَّجُلُ وَيُراهِنُ؛ فَثَمَنُهُ وِزْرٌ، وَعَلَفُهُ وِزْرٌ، وَرُكُوبُهُ وِزْرٌ، وَفَرَسٌ لِلْبِطْنَةِ؛ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ سَداداً مِنَ الْفَقْرِ

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٢٧١).

إِنْ شَــاءَ اللهُ»[1].

وفسر صاحب «النهاية» المغالقة بالمراهنة، وقال في الحديث: كأنه كره الرهان في الخيل إذا كان على رسم الجاهلية[2]، كان يشرط في السباق من الجانبين؛ كأن يشترط المتسابقان أن من سبق منهما فله على الآخر كذا؛ فإن هذا غير صحيح، ويحرم لتردد كل منهما بين الغُنم والغُرم، وهو صورة القمار المحرم إلا بمحلل فرسه كفؤ لفرسيهما إن سبق أخذ مالها، وإن سبق لم يغرم شيئاً، فإن سبقهما أخذ المالين، وإن سبقاه وجاءا معاً أو مرتباً وهو مع الثاني فلا شيء لأحد، وإن جاء مع أحدهما، أو تأخر الآخر، فمال هذا السابق لنفسه، ومال المتأخر للمحلل، وللذي معه لأنهما سبقاه، وإن جاء أحدهما ثم المحلل، ثم الآخر، فمال الآخر للأول؛ سمي محللاً لأن العوض به صار حلالاً[3].

روى أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَدْخَلَ فَرَساً بَيْنَ فَرَسَيْنِ وَهُوَ لا يَأْمَنُ أَنْ يَسْبِـقَ فَلَيْسَ بِقِمارٍ، وَمَنْ أَدْخَلَ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩٩٣)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٦٩).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٣٧٩).

(٣) انظر: «منهاج الطالبين» للإمام النووي (ص: ١٤٤).

فَرساً بَيْنَ فَرَسَيْنِ وَقَدْ أَمِنَ أَنْ يَسْبِـقَ فَهُوَ قِمارٌ»[1].

وروى ابن حبان، وابن أبي عاصم في «الجهاد» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ سابق بين الخيل، وجعل بينهما سباقاً، وجعل بينهما محللاً[2].

وروى ابن أبي عاصم بإسناد فيه مجهول، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا جَلَبَ وَلا جَنَبَ إِذا لَمْ يَدْخُلِ الْمُتَراهِنانِ سَبقاً يَسْتَبِـقانِ عَلَى السَّبْقِ بِهِ فَهُوَ حَرامٌ»[3].

٦٩ ـ ومنها: غلق الرهن.

يقال: غلِق الرهن ـ بكسر اللام الذي هي عين الكلمة ـ يغلَق ـ بفتحها ـ إذا استحقه المرتهن، وذلك إذا لم يستفكه.

وكان هذا من فعل الجاهلية كما ذكره صاحب «النهاية»، وغيره: أن الراهن إذا لم يؤد ما عليه في الوقت المعين ملك المرتهن الرهن،

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٧٩)، وابن ماجه (٢٨٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٣٦).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٦٨٩). وعزاه ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٦٣) إلى ابن أبي عاصم، وقال: فيه عاصم بن عمر ضعيف.

(٣) عزاه ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٦٣) إلى ابن أبي عاصم، وقال: في إسناده رجل مجهول. وفيه: «فرساً» بدل «سبقاً».

فأبطله الإسلام[1].

وأنشدوا لزهير: [من البسيط]

وَفارَقْتُكَ بِرَهْنٍ لا فِكاكَ لَهُ

يَوْمَ الْوَداعِ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقَا[2]

روى عبد الرزاق، والإمام الشافعي، وابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَغْلَقُ مِنْ صاحِبِهِ الَّذِي رَهَنَهُ؛ لَهُ غُنْمُهُ، وَعَلَيْهِ غُرْمُهُ»[3].

قال الشافعي: غنمه: زيادته، وغرمه: هلاكه[4].

ورواه الدارقطني، وابن حبان، والحاكم وصححاه، ولفظه: «لا يَغْلَقُ الرَّهْنُ مِنْ راهِنِهِ؛ لَهُ غُنْمُهُ، وَعَلَيْهِ غُرْمُهُ»[5].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٣٧٩).

(٢) انظر: «غريب الحديث» لابن سلام (٢/ ١١٥).

(٣) رواه الإمام الشافعي في «المسند» (ص: ٢٥١)، وكذا ابن ماجه (٢٤٤١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٠٣٤)، والإمام الشافعي في «المسند» (ص: ٢٥١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٢٧٩٩) عن سعيد بن المسيب مرسلاً.

(٤) انظر: «مسند الشافعي» (ص: ١٤٨).

(٥) رواه الدارقطني في «السنن» (٣/ ٣٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٩٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٣١٧).

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: وقوله: له غنمه وعليه غرمه، من كلام سعيد بن المسيب؛ يعني: إنه مندرج في الحديث. نقله عن الزهري[١].

وقال عبد الرزاق: أنا معمر عن الزهري، عن المسيب أن النبي ﷺ قال: «لا يَغْلَقِ الرَّهْنُ».

قلت للزهري: أرأيت قول النبي ﷺ: «لا يَغْلَقُ الرَّهْنُ» أهو الرجل يقول: إن لم آتك بمالك فالرهن لك؟

قال: نعم.

قال معمر: ثم بلغني عنه أنه قال: إن أهلك لم يذهب حق هذا، إنما هلك من رب الرهن؛ له غنمه، وعليه غرمه[٢].

لكن أخرجه ابن حزم ـ وقال: سنده حسن ـ عن شبابة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَغْلَقُ الرَّهْنُ، الرَّهْنُ لِمَنْ رَهَنَهُ؛ لَهُ غُنْمُهُ، وَعَلَيْهِ غُرْمُهُ»[٣].

وصحح هذه الرواية عبد الحق، وهي تدل على أن لا إدراج فيه[٤].

---

(١) انظر: «تلخيص الحبير» لابن حجر (٣/ ٣٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٠٣٣).

(٣) رواه ابن حزم في «المحلى» (٨/ ٩٩) وقال: هذا مسند من أحسن ما روي في هذا الباب.

(٤) انظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٣/ ٣٧).

٧٠ ـ **ومنها: التعزي بعزاء الجاهلية.**

والعزاء ـ بالفتح، والمد ـ مشترك بين النسب كما هنا والصبر.

والتعزي الانتساب كالاعتزاز.

والعزي اسم لدعوى المستغيث، وهو أن [يقول][1]: يا لفلان[2].

وروى الإمام أحمد، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، والدارقطني عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزاءِ الْجاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهِ بِهَنِ أَبِيهِ، وَلا تَكْنُوا»[3]؛ بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وتخفيف ثالثه من الكنأية ضد الصراحة.

أي قولوا له: اعضض بأير أبيك، ولا تكنوا عن الأير بالهن تنكيلاً له وتأديباً[4].

وروى الإمام أحمد، والشيخان، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن ابن مسعود، وابن باكويه الشيرازي في «الألقاب» عن أبي هريرة قالا رضي الله تعالى عنهما: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ

---

(١) بياض في «أ» و«ت».

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٣٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٣٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٨٦٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٥٣).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٥٢).

لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعا بِدَعْوى الْجاهِلِيَّةِ»[1].

وهي كما في «النهاية» قوله: يا لفلان[2]؛ كانوا يدعو بعضهم بعضاً بذلك عند الأمر الحادث الشديد.

والدعوى ـ بالفتح ـ، والدِّعوة ـ بالكسر ـ في النسب.

والدعوة ـ بالفتح ـ في الطعام.

قال في «الصحاح»: هذا أكثر كلام العرب إلا عَدِيَّ الرَّبابَ؛ فإنهم يفتتحون الدال في النسب، ويكسرونها في الطعام[3].

وروى ابن إسحاق، والمفسرون عن زيد بن أسلم رحمهما الله تعالى قال: مر شاس بن قيس ـ وكان شيخاً قد عتا في الجاهلية عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم ـ على نفر من أصحاب النبي ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من أُلفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (1/ 456)، والبخاري (1232)، ومسلم (103)، والنسائي (1860)، وابن ماجه (1584)، وكذا الترمذي (999) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وروراه الطبراني في «المعجم الأوسط» (3967) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (5/ 193).

(3) انظر: «الصحاح» للجوهري (2/ 2336) (مادة: دعا).

من قرار، فأمر فتى شاباً معه من يهود، فقال: اعمَد إليهم فاجلس معهم، ثم ذَكِّرْهم يوم بعاث، وما كان قبلهم، وأنشِدْهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج.

ففعل، وتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلين من الحيين على الركب؛ أوس بن قيظي أحد بني حارثة من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددنا الآن جدعة، وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا؛ السلاحَ السلاحَ، موعدكم الظاهرة - والظاهرة: الحرة - فخرجوا إليها، وانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال: «يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ!! اللهَ اللهَ! أَبِدَعْوى الْجاهِلِيَّةِ وَأَنا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ بَعْدَ أَنْ هَداكُمُ اللهُ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَكُمْ، تَرْجِعُونَ إِلَى ما كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّاراً؟».

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيدهم من عدوهم لهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم شاس بن قيس، وأنزل الله تعالى في شأن شاس بن قيس

وما صنع: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[آل عمران: ٩٨ ـ ٩٩].

وأنزل في أوس بن قيظي، وجبار بن صخر، ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ إلى قوله ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٥][1].

٧١ ـ ومن أعمال أهل الجاهلية: الاستقسام بالأزلام.

قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ إلى قوله ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾[المائدة: ٣].

وقد تقدم بيانه في التشبه بالشيطان.

وروى الطبراني ـ بإسنادين أحدهما حسن ـ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَنالَ الدَّرَجاتِ الْعُلا مَنْ تَكَهَّنَ، أَوِ اسْتَقْسَمَ، أَوْ رَجَعَ مِنْ سَفَرِهِ تَطَيُّراً»[2].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٤/ ٢٣)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧١٦ ـ ٧١٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٦٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٨): فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو كذاب.

وقال في موضع آخر (٥/ ١١٨): رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات.

٧٢ ـ ومنها: تعليق التمائم والحروز، وتقليد الدابة الوَتَر والجرس، ونحو ذلك.

روى الإمام مالك، والشيخان، وأبو داود عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسول الله ﷺ رسولاً: لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر إلا قطعت[١].

قال مالك: أرى ذلك من العين[٢].

قال البغوي: كانوا يشدون بتلك الأوتار والقلائد التمائم، ويعلقون عليها العود يظنون أنها تعصم من الآفات، فنهاهم رسول الله ﷺ، وأعلمهم أنها لا تَرُدُّ من أمر الله.

وقال غيره[٣]: إنما أمرهم بقطعها لأنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس[٤].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، وآخرون، وصححه ابن جرير، والحاكم عن عبدالله بن عكيم رضي الله تعالى عنه، وابن حزم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ»[٥].

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٣٧)، والبخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (٢١١٥)، وأبو داود (٢٥٥٢).

(٢) انظر: «الموطأ» للإمام مالك (٢/ ٩٣٧).

(٣) غيره: أي غير الإمام مالك، والكلام للبغوي.

(٤) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١١/ ٢٧).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣١٠)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٥٠٣) عن عبدالله بن عكيم رضي الله عنه.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» عن أبي معبد الجهني رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعاً ـ بلفظ: «مَنْ عَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ»[1].

وروى الإمام أحمد، والحاكم وصححه، عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه أن النبي قال: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»[2].

وعنه: أنه ﷺ قال: «مَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً فَلا وَدَعَ اللهُ لَهُ، وَمَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَلا تَمَّمَ اللهُ لَهُ».

وأخرجه الطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب»[3].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمائِمَ، وَالتُّوَلَةَ شِرْكٌ»[4].

والمراد بالرقى ـ جمع رقية ـ: ما كان بغير ذكر الله تعالى.

والتمائم ـ جمع تميمة ـ: خرزات كانت العرب تعلقها في الجاهلية

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٨٥) عن أبي معبد الجهني رضي الله عنه، وقال: قيل: إنه عبدالله بن عكيم.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (٧٥٠١).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٢٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٥٠)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (١٣/ ٤٥٠).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٨١)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٢٩٠).

على الصبيان يتقون بها العين بزعمهم.

قال في «الصحاح»: والتميمة: عُوذة ـ أي: بالضم ـ تُعلَّق على الإنسان[1].

وفي «القاموس»: التميم: جمع تميمة كالتمائم: الخرزة رقطاء تنصب[2] في السير، ثم تعقد في العنق، وتمم المولود: علقها عليه[3].

والتولة ـ بضم المثناة فوق وبفتح الواو ـ كما ضبطه في «النهاية»[4].

قال صاحب «الصحاح»: قال الخليل: التِّولة والتُّولة ـ بكسر التاء وضمها ـ: شبيه بالسحر.

قال الأصمعي: التولة ما تحبب به المرأة إلى زوجها[5].

وذلك كله كان من عوائد الجاهلية، وأكثر الناس الآن يتحاشون من ذلك.

٧٣ ـ ومنها: السحر والكهانة ـ وهما معروفان من فعل الجاهلية ـ والخط، والتنجيم.

روى مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله تعالى عنه

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٨٧٨) (مادة: تمم).

(٢) في «القاموس المحيط»: «تنظم» بدل «تنصب».

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٤٠٠) (مادة: تمم).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢٠٠).

(٥) انظر: الصحاح» للجوهري (٤/ ١٦٤٥) (مادة: تول).

قال: قلت: يا رسـول الله! أمور كنـا نصنعهـا في الجـاهلية، كنـا نأتي الكهان؟

قال: «فَلا تَأْتُوا الْكُهَّانَ».

قال: قلت: كنا نتطير؟

قال: «ذاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلا يَصُدَّنَّكُمْ».

قال: قلت: ومنا رجال يخطون؟

قال: «كانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِياءِ يَخُطُّ؛ فَمَنْ وافَقَ خَطَّهُ فَذاكَ»[1].

وروى الطبراني في «الكبير» عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ وَلا مَنْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ»[2].

وكان من أخبث من استعمل السحر والشعبذة والنيرجات مسيلمةُ الكذاب لعنه الله تعالى، فقد حكي أنه كان يطوف قبل التنبؤ في الأسواق التي كانت العرب تلتقي فيها للتسوق والبَيَاعات كسوق الأُبُلَّة، والأنبار، والحيرة، وكان يلتمس تعلم الحيل، والنيرجات، واحتيالات أصحاب الرقى والنجوم، والخط والكهانة.

---

(١) رواه مسلم (٥٣٧).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٦٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٣): فيه إسحاق بن الربيع العطار، وثقه أبو حاتم، وضعفه عمرو بن علي، وبقية رجاله ثقات.

فمما عمل أنه صب على بيضة خَلاً حاذقاً كلما لانت وامتدت كالعلك أدخلها في قارورة ضيقة الرأس، وتركها حتى جفت ويبست، وعادت إلى حالها الأولى، فأخرجها إلى أصحابه وأهل بيته، وهم أعراب، وادعى أنها آية، فآمن به في ذلك المجلس جماعة.

ووصل جناح طائر مقصوص من حيث لا يرون، فطار من ساعته.

وقال لهم في ليلة منكرة الرياح مظلمة: إن الملك ينزل إلي الليلة، والملائكة تطير، وهي ذوات أجنحة، ولمجيء الملك زجل وخشخشة، فمن كان منكم طاهراً فليدخل منزله، فإن من تأمله اختطف بصره.

وقد اصطنع راية من رايات الصبيان التي ترسل يوم الريح بالخيوط، فلما كان في جوف الليل أرسلها، وقد علق فيها الجلاجل وجعل لها الأذناب والأجنحة، فلما سمعوا ذلك وراءه تصارخوا، وصاح بهم: من صرف بصره ودخل منزله فهو آمن، فأصبح القوم وقد أطبقوا على نصرته والدَّفعِ عنه، لعنه الله.

٧٤ ـ ومن أخلاقهم: الطيرة.

وهي في الأصل زجر الطير، ثم قيل لكل من تشاءم: تطير.

وكانت العرب في الجاهلية تتيمن بالطائر السانح، وهو الذي يأتي من ناحية اليمين؛ أي: الذي يدل الشخص ميامنه، ويتشاءمون بالبارح، وهو الذي من ناحية الشمال؛ أي: الذي يوليه مياسره.

وكذلك الظباء إذا سنحت سانحة أو بارحة[1].

وكانوا يقولون: إذا برحت من لي بالسانح بعد البارح[2].

وكانوا إذا أراد أحدهم حاجة أتى الطائر في وَكْره فنفره، فإن أخذت ذات اليمين مضى لحاجته، وهذا هو السانح عندهم، وإن أخذت ذات الشمال رجع، وهذا هو البارح عندهم.

وقد أبطل النبي ﷺ ذلك بقوله: «أَقِرُّوا الطَّيْرَ عَلى مَكُناتِها»[3].

وكانوا يتطيرون بصوت الغراب ويتأولونه البين، وبصوت البوم ويتأولونه الخراب، وكانوا يستدلون بمجادبات الطيور بعضها بعضاً على أمور، وبأصواتها في غير أوقاتها المعهودة على مثل ذلك[4].

وقد جاء الشرع بالنهي عن التطير، وقال رسول الله ﷺ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ» ـ ثلاثاً ـ. رواه أبو داود، وغيره، وصححه الترمذي، وابن حبان من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه[5].

وأما قوله ﷺ: «ثَلاثٌ لازِماتٌ لأُمَّتِي؛ سُوءُ الظَّنِّ، وَالْحَسَدُ، وَالطِّيَرَةُ». رواه أبو الشيخ في كتاب «التوبيخ»، والطبراني في «الكبير»

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٦٥).

(٢) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٤٦).

(٣) رواه أبو داود (٢٨٣٥) عن أم كُرز رضي الله عنها.

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٦٥).

(٥) تقدم تخريجه.

عن حارثة بن النعمان رضي الله تعالى عنه[1]؛ فهو إخبار عما جُبِل عليه طباع البشر الذين منهم أمته، لا أنه أقرهم على ذلك؛ بدليل تتمة هذا الحديث، وهو قوله ﷺ: «فَإِذا ظَنَنْتَ فَلا تُحَقِّقْ، وَإِذا حَسَدْتَ فَلا تَبْغِ، وَإِذا تَطَيَّرْتَ فَامْضِ».

فأشار ﷺ إلى أن ما يجري على المرء من هذه الثلاث بمقتضى طباع البشرية، فلا يضره إلا إذا ذهب مع الظن حتى أنزله منزلة اليقين، واسترسل في الحسد حتى صار إلى البغي فيه، واعتقد أن له حقاً واستحقاقاً لتلك النعمة المحسود عليها، وأطاع الطيرة فوقف عندها، وامتنع من إمضاء ما تطير منه، فهذا هو الذي زجر عنه الشرع، ومنع منه الدين لأنه هو الذي يدخل تحت الاختيار.

وفي «صحيح مسلم» عن معاوية بن الحكم الأسلمي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! منا رجال يتطيرون؟

قال: «ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلا يَضُرُّهُمْ»[2].

أي: ما لم يقفوا مع الطيرة، أما لو وقف أحد مع الطيرة حتى ترك ما هو فيه من الأمر أو رجع من سفره مثلاً فإن الطيرة تضره، وهي الشرك بعينه.

---

(١) رواه أبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (ص: ٧٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٢٢٧).

(٢) تقدم تخريجه.

روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ».

قيل: وما كفارة ذلك يا رسول الله؟

قال: «أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لا طَيْرَ إِلاَّ طَيْرُكَ، وَلا خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ، ثُمَّ يَمْضِي لِحاجَتِهِ»[1].

وروى الأصبهاني في «ترغيبه» من طريق عبد الرزاق، عن زياد ابن أبي مريم قال: حدَّثنا أن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه كان غازياً، فبينما هو يسير إذ أقبل في وجوههم ظباء يَسْعَين، فلما اقتربن منا وَلَّيْنَ مدبراتٍ، فقال له رجل: انزل أصلحك الله.

فقال له سعد: مماذا؟ تطيرت من قرونها حين أقبلت، أم من أذنابها حين أدبرت؟ إن هذه الطيرة لَبابٌ من الشرك.

فلم ينزل سعد، ومضى[2].

ومن طريقه قال: أنا معمر عن قتادة قال: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إن مضيت فمُتَوكِّلٌ، وإن نكصت فمُتَطَيِّرٌ[3].

* تَنْبِيهٌ:

لما كانت الطيرة مما غلب على طباع أكثر البشر ـ كما تقدم ـ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٠) وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(٢) ورواه ابن أبي شيبة في «الأدب» (ص: ٢١٣).

(٣) ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٥٠٥).

علَّمنا رسول الله ﷺ ما يخلصنا من شر الطيرة فعلاً في حديث حارثة ابن النعمان، وقولاً في حديث عبدالله بن عمرو، وقد ذكرتُهما آنفاً.

وروى ابن السني عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن الطيرة، فقال: «أَصْدَقُها الفَأْلُ، وَلا تَرُدُّ مُسْلِماً، وَإِذا رَأَيْتُمْ مِنَ الطِّيَرَةِ شَيْئاً تَكْرَهُونَهُ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالْحَسَناتِ إِلاَّ أَنْتَ، وَلا يَذْهَبُ بِالسَّيِّئاتِ إِلاَّ أَنْتَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ»[1].

فإن قلت: فما تصنع بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «الطِّيَرَةُ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ»؟ رواه الإمام أحمد عنه[2].

ورواه الشيخان، وغيرهما من حديث سهل بن سعد، وابن عمر رضي الله تعالى عنهم بلفظ: «إِنْ كانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ»[3].

وكذلك حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل منا إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إنا نزلنا داراً فكثر فيها عددنا، وذَّرت

---

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٢٥٥)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٥٤١) كلاهما عن عروة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٨٩).

(٣) رواه البخاري (٤٨٠٧)، ومسلم (٢٢٢٦) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.
ورواه البخاري (٤٨٠٦)، ومسلم (٢٢٢٥) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

فيها أموالنا، ثم تحولنا عنها إلى أخرى فقَلَّتْ فيها أموالنا، وقلَّ فيها عددنا.

فقال رسول الله ﷺ: «ذَرُوها، وَهِيَ ذَمِيْمَةٌ». رواه ابن قتيبة في «مختلف الحديث»[1].

قلت: أما الحديث الأول فهو مما استدركته عائشة على أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما فقالا: إن أبا هريرة رضي تعالى عنه يحدث أن نبي الله ﷺ كان يقول: «إِنَّ الطِّيَرَةَ فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّابَّةِ وَالدَّارِ».

فقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ﷺ ما هكذا كان يقول، ولكن كان النبي ﷺ يقول: «كانَ أَهْلُ الْجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ: الطِّيَرَةُ فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّابَّةِ وَالدَّارِ».

ثم قرأت عائشة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[الحديد: ٢٢][2].

وروى الطيالسي عن مكحول رحمه الله تعالى قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: إن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «الشُّؤْمُ فِي ثَلاثَةٍ؛ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ».

---

(١) رواه ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ١٠٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٤٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٤): رجاله رجال الصحيح.

فقالت عائشة: لم يحفظ أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنه دخل ورسول الله ﷺ وهو يقول: «قاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ يَقُولُونَ: الشُّؤْمُ فِي ثَلاثَةٍ؛ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ»، فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله[1][2].

وقد تقدم أن الطيرة من أخلاق اليهود والنصارى[3].

وأما حديث أنس ﷺ: فأجاب عنه ابن قتيبة: بأن النبي ﷺ إنما أمرهم بالتحول من الدار لأنهم كانوا مقيمين فيها على استثقال ظلها

---

(١) رواه الطيالسي في «المسند» (١٥٣٧).

(٢) وهناك من العلماء من رجح حديث أبي هريرة ﷺ وقدمه على نفي عائشة رضي الله عنها، لأنه مثبت وهو مقدم على النافي، إضافة لاعتضاده بأحاديث صحيحة أخرى، وفي الحديثين أقوال أخرى وكلام كثير. انظر: «شرح مشكل الآثار» للطحاوي (٢/ ٢٤٩)، وقد بسط الكلام على هذه المسألة ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٥٣).

(٣) قال القاضي الماوردي: قال بعض العلماء: الجامع لهذه الفصول السابقة في الأحاديث ثلاثة أقسام:

أحدها: ما لم يقع الضرر به، ولا اطردت عادة خاصة ولا عامة، فهذا لا يلتفت إليه، وأنكر الشرع الالتفات إليه، وهو الطيرة.

والثاني: ما يقع عنده الضرر عموماً لا يخصه، ونادراً لا متكرراً كالوباء، فلا يقدم عليه، ولا يخرج منه.

والثالث: ما يخص ولا يعم؛ كالدار والفرس والمرأة، فهذا يباح الفرار منه. والله أعلم. انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٤/ ٢٢٠).

واستيحاشٍ بما نابهم فيها، وإن كان لا سبب لهم في ذلك[1].

وجواب آخر: أنه أمرهم بالتحول منها خشية أن يعاد لهم الامتحان فيعودوا إلى التطير، ومن هذا القبيل قوله ﷺ: «لا يُوْرَدَنَّ مُمْرِضٌ عَلى مُصِحٍّ»[2].

وقوله ﷺ: «فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرارَكَ مِنَ الأَسَدِ»[3].

إنما نهى عن الإيراد، وأمر بالفرار خشيةً من الوقوع في الطيرة لا أمراً بها[4].

وقد تقدم الكلام على ذلك في: النهي عن التشبه بنمرود وقومه؛ فافهم!

* **تَنْبِيهٌ:**

ما ذكرناه عن الجاهلية من التطير كان هو الغالب عليهم، وربما كان فيهم من لا يتطير، وكانوا ربما مدحوا على ترك الطيرة كما قال قائلهم - وهو الأعشى - يمدح رجلاً: [من الطويل]

وَلَيْسَ بِمُرْتابٍ إذا شَدَّ رَحْلَهُ
يَقُولُ عَدانِي الْيَوْمَ واقٍ وَحاتِمُ

---

(١) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ١٠٥ - ١٠٦).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ١٦١).

وَلَكِنَّــهُ يَمْــضِـي عَلَــى ذاكَ مُقْــدِماً

إِذا صَــدَّ عَــنْ تِلْــكَ الْهِنــاةِ الْجَــارِمُ[1]

الواقي؛ كالقاضي: الصُّرد، وهو طائر فوق العصفور أبقع، نصفه أبيض ونصفه أسود، ضخم الرأس، ضخم المنقار، أصابعه عظيمة، لا يرى إلا في سعفة أو شجرة، ولا يقدر عليه أحد، وكنيته: أبو كبير، وله صفير مختلف يصفر لكل طائر يريد أن يصيده بلغته[2].

قال في «الصحاح»: ويقال: هو الواق ـ بكسر القاف بلا ياء ـ لأنه سمي بذلك لحكاية صوته، وأنشد بيته الآخر[3].

والجثارم ـ بضم الجيم، وبالمثلثة ـ قال ابن قتيبة: هو الذي لا يتطير[4].

والحاتم كما في «الصحاح»: الغراب الأسود.

قال في «القاموس»: وغراب البين، وهو أحمر المنقار والرجلين[5].

---

(١) البيتان لخثيم بن عدي، كما في «الحيوان» للجاحظ (٣/ ٤٣٧)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٢٧٧).

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٣/ ٢٥٠) (مادة: صرد).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٥٢٨) (مادة: وقا).

(٤) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ١٠٦) وعنده: «هو الذي يتطير».

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٤٠٩) (مادة: حتم).

وسمي حاتماً؛ قال في «الصحاح»: لأنه يحتِم عندهم بالفراق؛ يعني: إنه مأخوذ من الحتم، وهو القضاء، والحاتم: القاضي[1].

وقال المرقِّش: [من مجزوء الكامل المرفّل]

وَلَقَــدْ غَــدَوْتُ وَكُنْــتُ لا أَغْــدُو عَلــى واقٍ وَحــاتِمْ

فَــإِذا الأَشــائِمُ كَالأَيــا مِــنِ وَالأَيــامِنُ كَالأَشــائِمْ

وَكَــذاكَ لا خَيْــرَ وَلا شَــرَّ عَلَــى أَحَــدٍ بِــدائِمْ[2]

وهذا كما كان في الجاهلية من كان يؤمن بالقدر كما قال قائلهم: [من الرجز]

يـا أَيُّهـا الْمُـضْمِرُ هَمّاً لا تَهَـمْ إِنَّكَ إِنْ تُقْدَرْ لَكَ الْحِمَـى تحـمْ

وَلَوْ عَلَـوْتَ شـاهِقاً مِـنَ الْعَلَـمْ كَيْفَ يُوْقِيْكَ وَقَدْ جَفَّ الْقَلَـمْ[3]

وأنشد اللالكائي في «شرح السنة» لذي الإصبع العُدواني: [من الهزج]

لَــيْسَ الْمَــرْءُ فِــي شَــيْءٍ مِــنَ الإِبْــرامِ وَالــنَّقْضِ

إِذا [أَبــرمَ][4] أمــراً إخــا لُــهُ يَقْــضِي وَلايَقْــضِي[1]

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٨٩٢) (مادة: حتم).

(٢) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ١٠٧).

(٣) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ٢٨).

(٤) بياض في «أ» و«ت».

وأنشد الأصبهاني للبيد ـ وهو مما قاله قبل الإسلام ـ مشيراً إلى المعنيين: الإيمان بالقدر، وإنكار الطيرة والتنجيم: [من الطويل]

لَعَمْـرُكَ مـا تَـدْرِي الطَّـوارِقُ بِالْحَـصا
وَلا زاجِـراتُ الطَّيْـرِ مـا اللهُ صـانِعُ[2]

قال في الصحاح: والطرق: الضرب بالحصا، وهو ضرب من التكهن، والطَّرَّاق: المتكهن، والطوارق: المتكهِّنات، وأنشد بيت لبيد[3].

٧٥ ـ ومن أخلاق أهل الجاهلية: اعتقاد أن غير الله يضر أو ينفع حقيقة، والاستعانة بغير الله تعالى.

قال الله تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان العرب في الجاهلية إذا نزلوا بالوادي قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من شر ما فيه، فلا يكونون بشيء أشد وَلَعاً منهم بهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجن: ٦]. رواه ابن مردويه[4].

---

(١) انظر: «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٤/ ٧٠٥).

(٢) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٤٦)، و«الأغاني» للأصبهاني (١٥/ ٣٦٣).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٥١٥) (مادة: طرق).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٠١)، وروى الطبري في «التفسير» (٢٩/ ١٠٨) نحوه.

وقال الربيع بن أنس رحمه الله تعالى: كانوا يقولون: رب هذا الوادي من الجن، وكان أحدهم إذا دخل ذلك الوادي يعوذ برب الوادي من دون الله تعالى، فيزيده بذلك رهقاً؛ أي: خوفاً. رواه عبد ابن حميد[1].

وروى أبو نصر السجزي في «الإبانة» عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رجلاً من تميم كان جريًّاً على الليل والرمال، وأنه سار ليلة في أرض مجنة فاستوحش، فعقل راحلته ثم توسد ذراعها، وقال: أعوذ بأعز أهل هذا الوادي من شر أهله، فأجاره شيخ منهم، وكان منهم شاب وكان سيداً في الجن، فغضب الشاب لما أجاره الشيخ، فأخذ حربة له قد سقاها السم لينحر بها ناقة الرجل، فتلقاه الشيخ دون الناقة، فقال: [من الكامل]

يـا مالــكُ بْــنَ مُهَلْهَــلٍ مَهْــلاً ... فَـــذَلِكَ مَحْجِـــرِي وَإِزارِي

عَنْ ناقَةِ الإِنْسانِ لا تَعْرِضْ لَهَـا ... وَاخْتَــرْ إِذا وَرَدَ الْمِيـاهُ أَبْـوارِي

إِنِّي ضَـمِنْتُ لَـهُ سَـلامَةَ رَحْلِـهِ ... فَاكْفُفْ يَمِينَكَ راشِداً عَنْ جارِي

وَلَقَدْ أَتَيْتَ إِلَيَّ ما لَـمْ أَحْتَسِبْ ... أَلا رَعَيْــتَ قَرابَتِــي وَجِــوارِي

تَــسْعَى إِلَيْــهِ بِحَرْبَــةٍ مَـسْمُومَةٍ ... إِنِّــي لِقُرْبِــكَ يــا أَبـا الْيَقْطـارِ

فقال الفتى: [من الكامل]

أَأَرَدْتَ أَنْ تَعْلُو وَتَخْفِضَ ذِكْرَنـا ... فِــي غَيْــرِ مُزْرِيَــةٍ أَبـا الْعَيْـزارِ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٠١).

مُتَنَحِّلاً أَمْراً لِغَيْرِكَ فَضْلُهُ　　فَارْحَلْ فَإِنَّ الْفَضْلَ لِلْبَزَّارِ

مَنْ كانَ مِنْكُمْ سَيِّداً فِيما مَضَى　　إِنَّ الْخِيارَ هُمْ بَنُو الأَخْيارِ

فَاقْصِدْ لِقَصْدِكَ يا مُنَكَّرُ إِنَّما　　كانَ الْمُجِيرُ مُهَلْهِلَ بْنَ دِثارِ

فقال الشيخ: صدقت، كان أبوك سيدنا وأفضلنا، دع هذا الرجل لا أنازعك بعده أحداً، فتركه، فأتى الرجل النبي ﷺ، فقص عليه القصة، فقال رسول الله ﷺ: «إذا أَصابَ أَحَداً مِنْكُمْ وَحْشَةٌ، أَوْ نَزَلَ بِأَرْضٍ مِجنةٍ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لا يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلا فاجِرٌ مِنْ شَرِّ ما يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها، وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فِيها، وَمِنْ فِتَنِ اللَّيْلِ، وَمِنْ طَوارِقِ النَّهارِ إِلاَّ طارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ».

وأنزل في ذلك: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجن: ٦][1].

٧٦ ـ ومن أخلاق أهل الجاهلية: الاستمطار بالأنواء، واعتقاد أنها ممطرة حقيقة، وقولهم: مُطرنا بنوء كذا.

قال الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾؛ أي: شُكْرَ رزقكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة: ٨٢].

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٩٩) إلى أبي نصر السجزي في «الإبانة»، ثم قال: قال أبو نصر: غريب جداً، لم نكتبه إلا من هذا الوجه.

وروى الإمام أحمد، والترمذي وحسنه، عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة: ٨٢] قال: «شُكْرَكُمْ؛ يَقُولُونَ: مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذا، وَبِنَجْمِ كَذا»[١].

وقال عبد الرحمن السُّلمي: قرأ علي رضي الله تعالى عنه الواقعة في الفجر فقال: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون، فلما انصرف قال: إني قد عرفت أنه سيقول قائل: لم قرأها هكذا؟ إني سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها كذلك؛ كانوا إذا مطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا، فأنزل الله تعالى: وتجعلون شكركم أنكم إذا مطرتم تكذبون. رواه ابن مردويه[٢].

قال عوف: بلغني أن مشركي العرب كانوا إذا مطروا في الجاهلية قالوا: مطرنا بنوء كذا. رواه عبد بن حميد[٣].

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شاكِرٌ وَمِنْهُمْ كافِرٌ؛ قالُوا: هَذِهِ رَحْمَةٌ وَضَعَها اللهُ تَعالَى، وَقالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا»، فنزلت هذه الآيات: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٨٩)، والترمذي (٣٢٩٥) وقال: حسن غريب صحيح.

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٨/ ٣٠).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٨/ ٣٠).

حتى بلغ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة: ٧٥ ـ ٨٢][١].

قال شيخ الإسلام النووي رحمه الله تعالى: قال العلماء: إن قال مسلم: مطرنا بنوء كذا مريداً أن النَّوء هو الموجد والفاعل المحدث الممطر، صار مرتداً بلا شك، وإن قال مريداً أنه علامة لنزول المطر، فنزل المطر عند هذه العلامة، ونزوله بفعل الله تعالى وخلقه، لم يكفر.

واختلفوا في كراهته، والمختار أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار، وهذا ظاهر الحديث، ونص عليه الشافعي في «الأم»[٢]، وغيره؛ والله تعالى أعلم[٣].

وروى النسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَوْ أَمْسَكَ اللهُ الْمَطَرَ عَنِ النَّاسِ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ لأَصْبَحَتْ طائِفَةٌ كافِرِينَ يَقُولُونَ: هَذا بِنَوْءِ الْمِجْدَحِ»؛ يعني: الدبران[٤].

وهكذا في الحديث وقع تفسير المجدح بالدبران من الراوي، وهو ـ بالتحريك ـ: منزل من منازل القمر.

وفي «القاموس»: إنه الدبران، أو نجم صغير تحته، والثريا، وهو كمنبر، وبضم الميم منه[٥].

---

(١) رواه مسلم (٧٣).

(٢) انظر: «الأم» للإمام الشافعي (١/ ٢٥٢).

(٣) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ١٤٥).

(٤) رواه النسائي (١٥٢٦)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (٦١٣٠).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٢٧٥) (مادة: دبر).

والحديث يحتمل وجهين:

الأول: أنه على سبيل الفرض إشارة إلى أن هذا الاعتقاد لا يخلو الناس أن يكون فيهم من يعتقده ويقوله.

والثاني: أن يكون فيه معجزة من حيث إنه إشارة أو إخبار بأنه أمر يأتي آخر الزمان بحبس المطر سبعاً، ثم يرسل فيقول قائل ذلك.

قال جابر السُّوائي رضي الله تعالى عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَخافُ عَلى أُمَّتِي ثَلاثاً؛ اسْتِسْقاءكُمْ بِالأَنْواءِ، وَحَيْفَ السُّلْطانِ، وَتَكْذِيباً بِالْقَدَرِ». رواه ابن جرير[1].

وأخرجه الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه، ولفظه: «ثَلاثٌ أَخافُ عَلى أُمَّتِي؛ الاسْتِسْقاءُ بِالأَنْواءِ، وَحَيْفُ السُّلْطانِ، وَالتَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ»[2].

وروى البخاري في «تاريخه» ـ وقال: في إسناده نظر ـ والطبراني في «الكبير»، وآخرون عن مصعب بن عبيدالله بن جنادة بن مالك

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٨/ ٣١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٨٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨٥٣)، وكذا ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٤٢)، والبزار في «المسند» (٤٢٨٨) وقال: لا نعلمه يروى من إلا من هذا الوجه، ومحمد ابن القاسم لين الحديث، وقد احتمل حديثه أهل العلم ورووا عنه.

قلت: وجابر بن سمرة هو السُّوائي، ولعل المصنف ـ رحمه الله ـ ظنهما اثنين، فكرر الحديث لذلك، والله أعلم.

الأزدي، عن أبيه، عن جده رضي الله تعالى عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ثَلاثٌ مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الْجاهِلِيَّةِ لا يَدَعُهُنَّ أَهْلُ الإِسْلامِ؛ اسْتِسْقاءٌ بِالْكَواكِبِ، وَطَعْنٌ فِي النَّسَبِ، وَالنِّياحَةُ عَلى الْمَيِّتِ»[1]، وله شواهد.

٧٧ ـ ومن أعمال الجاهلية: الاستسقاء بالنيران، أو بنار شجر مخصوص، أو بغير ذلك ما سوى الدعاء والطلب من الله تعالى، والتوبة، والأعمال الصالحة، وكان التسليع في الجاهلية كما ذكره صاحب «الصحاح».

قال في «القاموس»: كانوا إذا أسنتوا علقوا السلع مع العشر بثيران الوحش، وحدروها من الجبال، وأشلوا في ذلك السلع ـ والعشراء؛ النار ـ يستمطرون بذلك.

وفي «الصحاح»: إنهم كانوا يعلقونها بذنابي البقر[2].

وغلطه في «القاموس»، وقال: الصواب بأذناب البقر[3].

يعني: إن الذنابا مفرد، وأوهم كلام «الصحاح» أنه جمع.

ويشبه التسليع ما كان أهل مصر يصنعونه في جاهليتهم من إلقاء بكر في النيل بعد زفها وتزيينها ليوفى، وقصة مراجعة عمرو العاص

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٣٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢١٧٨).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٣١) (مادة: سلع).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٩٤٢) (مادة: سلع).

لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في ذلك، وإبطال عمر لهذه السنة الجاهلية مشهورة.

وقد روى اللالكائي، والسِّلفي، وغيرهما عن قيس بن حجاج عمن حدثه: أن مصر لما فتحت أتى أهلها إلى عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه حين دخل بونة من أشهر [العجم][1] وقالوا له: أيها الأمير! إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها.

فقال لهم: وما ذاك؟

قالوا: إذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها، وجعلنا تحتها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل.

فقال لهم عمرو: إن هذا ما لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله.

فأقاموا بونة وأبيب ومسرى لا يجري قليلاً ولا كثيراً، حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب بذلك إلى عمر رضي الله تعالى عنه، فكتب: إنك أصبت بما فعلت، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله، وإني قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا، فألقها في النيل.

فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو رضي الله تعالى عنهما أخذ البطاقة، ففتحها، فإذا فيها: من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى نيل

---

(١) بياض في «أ» و«ت».

مصر: أما بعد! فإنك إن كنت إنما تجري من قِبَلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك.

قال: فألقى البطاقة في النيل، فلما ألقوا البطاقة أصبحوا يوم السبت وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، وقطع الله تلك السُّنَّة عن أهل مصر إلى اليوم(١).

٧٨ ـ ومن أعمال أهل الجاهلية: سب الدهر، والتشكي منه، ونسبة التقلبات إليه.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[الجاثية: ٢٤].

روى ابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

وأخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم بزيادة، ولفظه: فقال الله تعالى في كتابه: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[الجاثية: ٢٤].

---

(١) رواه السلفي في «الطيوريات» (١٣/ ١٠٩٦)، وكذا أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٢٤).

(٢) انظر: «لباب النقول في أسباب النزول» للسيوطي (ص: ١٩٠).

قال: وقال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار[1].

وروى الشيخان عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قالَ اللهُ تَعالَى: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهارُ»[2].

وروى أبو داود عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قالَ اللهُ تَعالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، فَيَقُولُ: يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنِّي أَنا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهارَهُ»[3].

قال الحافظ عبد العظيم: ومعنى الحديث: أن العرب كانت إذا نزل بأحدهم نازلة أو أصابته مصيبة أو مكروه سبَّ الدهر اعتقاداً منهم أن الذي أصابه فعل الدهر كما كانت العرب تستمطر بالأنواء؛ تقول: مطرنا بنوء كذا اعتقاداً أن ذلك فعل الأنواء، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك[4].

٧٩ ـ ومن أخلاقهم: أنهم كانوا يعتقدون أن الشمس والقمر لا تكسفان إلا لموت عظيم.

وكذلك الحوادث العلوية كانقضاء النجم يعتقدون أنه لميلاد أو ممات.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٥/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٢٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٩٠) مرفوعاً.

(٢) رواه البخاري (٤٥٤٩)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٣) رواه أبو داود (٥٢٧٤) باللفظ السابق، وهذا اللفظ هو إحدى روايات في مسلم (٢٢٤٦).

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٣١٧).

روى النسائي عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجاهِلِيَّةِ كانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لا يَنْخَسِفانِ إِلاَّ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَماءِ الأَرْضِ، وَإِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لا يَنْخَسِفانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَياتِهِ، وَلَكِنَّهُما خَلِيقَتانِ مِنْ خَلْقِهِ، يُحْدِثُ اللهُ فِي خَلْقِهِ ما يَشاءُ، فَأَيُّهُما انْخَسَفَ فَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ، أَوْ يُحْدِثَ اللهُ أَمْراً»[1].

وروى مسلم [عن ابن عباس رضي الله عنهما]، عن رجل من الصحابة رضي الله تعالى عنهم: أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجاهِلِيَّةِ إِذا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذا؟»

قالوا: الله ورسوله أعلم؛ كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم.

فقال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّها لا يُرْمَى بِها لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَياتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنا تَبارَكَ اسْمُهُ إِذا قَضَى أَمْراً سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّماءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّماءِ الدُّنْيا، ثُمَّ قالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: ماذا قالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ بِماذا قالَ، فَيُخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّماواتِ بَعْضاً حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّماءَ الدُّنْيا، فَيَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ، فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيائِهِمْ، وَيَرْمُونَ بِهِ

(١) رواه النسائي (١٤٩٠).

فَما جاؤوا بِهِ عَلى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْذِفُونَ فِيْهِ وَيَزِيدُونَ»[1].

٨٠ ـ ومنها: دخول الإنسان على غيره، أو منزله بغير سلام ولا استئذان، واستبدال غيره به كقولهم: أنعم صباحاً، وأنعم مساء، وحييتم صباحاً، ومثل قول الناس الآن بعضهم لبعض: صباح الخير، مساء الخير من غير سلام، وكل ذلك مخالف للسنة.

روى القضاعي، والديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «السَّلامُ تَحِيَّةٌ لِمِلَّتِنا، وَبَيانٌ لِذِمَّتِنا»[2].

وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه لا يسلم عليه، يقول: حييت صباحاً، وحييت مساء، وكان ذلك تحية القوم بينهم، وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم، ويقول: قد دخلت، فيشق ذلك على الرجل، ولعله يكون مع أهله، فغير الله ذلك كله في [ستر وعفة][3] فقال: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾[النور: ٢٧] الآية[4].

قال: فلما نزلت آية التسليم والاستئذان في البيوت قال أبو بكر

---

(١) رواه مسلم (٢٢٢٩).

(٢) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٦٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٥٣٦).

(٣) بياض في «أ» و«ت».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٥٦٥).

رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله! كيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة، والشام وبيت المقدس، ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان؟ فرخص الله في ذلك، فأنزل: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾[النور: ٢٩] بغير إذن[١].

٨١ ـ ومنها: التحرج عن الأكل مع الضيف بخلاً، ومع الخدام والفقراء ونحوهم استكباراً في أنفسهم، واستحقاراً لمؤاكلتهم ـ وقد كان ذلك من فعل ملوك الجاهلية من العرب والروم والعجم ـ وعن أكل الإنسان وحده رياءً وسمعةً وافتخاراً بخلاف ما لو كان من باب المواساة وطلب البركة بالأكل مع الجماعة.

روى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة رحمه الله تعالى قال: كان هذا الحي من بني كنانة بن خزيمة يرى أحدهم أن عليه مخزاته أن يأكل وحده في الجاهلية حتى إن كان الرجل ليسوق الذود الحفل وهو خارج حتى يجد من يؤاكله ويشاربه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[النور: ٦١][٢].

وروى المفسرون، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنهم كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٥٧٠).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٨/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٦٤٩) واللفظ له.

فرخَّص الله لهم فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[النور: ٦١][1].

عرَّفَنَا الله تعالى أن الأكل مبــاح في حالتي الاجتماع والانفراد ما لم يكن مقروناً بقصد ممنوع منه كالافتخار والرياء، والاستكبار، والبخل.

وفي تقديم قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ إشارة إلى تفضيل الأكل مع الجماعة على الأكل مع الانفراد؛ لأن الجماعة رحمة، وفيها البركة كما في الحديث: «اجْتَمِعُوا عَلى طَعامِكُمْ يُبارَكْ لَكُمْ فِيهِ».

٨٢ ـ ومنها: الفخر بالآباء والأنساب والأحساب.

روى أبو داود، والترمذي وحسنه، والبيهقي بسند حسن واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَها بِالآباءِ، النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرابٍ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَكافِرٌ شَقِيٌّ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوامٌ يَفْتَخِرُونَ بِرِجالٍ إِنَّما هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلى اللهِ مِنَ الْجُعْلانِ الَّتِي [تدفع][2] النَّتَن بِأَنْفِها»[3].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٨/ ١٧٢) واللفظ له، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٦٤٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٧٤).

(٢) بياض في «أ» و«ت».

(٣) رواه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٦) وحسنه، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٢).

والعبية - بضم المهملة، وكسرها، وكسر الموحدة المشددة، وبعدها مثناة تحت مشددة -: هي الفخر والنَّخْوة.

وروى مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجاهِلِيَّةِ، لا يَتْرُكُونَهُنَّ؛ الْفَخْرُ بِالأَحْسابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسابِ، وَالاسْتِسْقاءُ بِالنُّجُومِ، ثُمَّ النِّياحَةُ»[1].

وروى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والضياء في «المختارة» عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم - أي: موسم الحج - يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم، ويحمل الحمالات، ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠][2].

وروى نحوه عن عبدالله بن الزبير، وأنس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء[3].

وروى مسلم، وأبو داود، وابن ماجه عن عِياض بن حمار رحمه الله تعالى: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَعالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَواضَعُوا

---

(١) رواه مسلم (٩٣٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٣٥٥)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٠٨).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٥٥٨).

حَتَّى لا يَفْخَر أَحَدٌ عَلى أَحَدٍ، وَلا يَبْغِي أَحَدٌ عَلى أَحَدٍ»[1].

٨٣ ـ **ومنها: الطعن في الأنساب.**

وهو من لوازم الفخر بالنسب؛ لأن الإنسان مهما افتخر على غيره برفعة نسبه عليه فقد وضع من نسب من فخر عليه، بل قد تذهب نفس المفتخر بنفسه إلى أنه لا يرضى أن يكون فوقه أشرف منه ليتم له الفخر بنسبه، ولذلك قرن النبي ﷺ بين الخصلتين في الحديث المتقدم.

وروى البخاري في «تاريخه»، والطبراني في «الكبير» عن جُنادة ابن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أنه قال: «ثَلاثٌ مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الْجاهِلِيَّةِ لا يَدَعُهُنَّ أَهْلُ الإِسْلامِ؛ اسْتِسْقاءٌ بِالْكَواكِبِ، وَطَعْنٌ فِي النَّسَبِ، وَالنِّياحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»[2].

٨٤ ـ **ومنها: التنابز بالألقاب المشعرة بالذم.**

روى الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب»، وأصحاب السنن الأربعة، والمفسرون، وأبو يعلى، والطبراني، وآخرون، وصححه ابن حبان، والحاكم، عن أبي جبيرة بن الضحاك رضي الله تعالى عنه قال: فينا نزلت في بني سلمة: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾[الحجرات: ١١]؛ قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة،

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥)، وأبو داود (٤٨٩٥)، وابن ماجه (٤١٧٩).

(٢) تقدم تخريجه.

وكان إذا دعي أحدهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله! إنه يكره هذا الاسم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ﴾[الحجرات: ١١][١].

وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[٢].

٨٥ ـ ومنها: التمادح لا على وجه التقرب إلى الله تعالى بالإنصاف، وإنزال الناس منازلهم، بل على وجه المداهنة والمراءاة، والتقرب إلى قلوب الناس تحصيلاً للأغراض الفاسدة.

وعليه كان تمادح أهل الجاهلية، وإياه عنى رسول الله ﷺ بقوله: «إِيَّاكُمْ وَالتَّمادُحَ؛ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ». رواه ابن ماجه من حديث معاوية رضي الله تعالى عنه[٣].

وروى ابن أبي الدنيا عن مطرِّف بن عبيد، عن عبيد رضي الله تعالى عنه قال: قدمت على رسول الله ﷺ في رهط من بني عامر فقالوا: أنت

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٠)، وأبو داود (٤٩٦٢)، والترمذي (٣٢٦٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥١٦)، وابن ماجه (٣٧٤١)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٨٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٨٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٥٥).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٦٤) إلى ابن مردويه.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٧٤٣)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٩٢).

والدنا، وأنت سيدنا، وأنت أفضلنا علينا فضلاً، وأنت أطولنا علينا طولاً، وأنت الجفنة الغَّراء، وأنت وأنت، فقال: «قُولُوا قَوْلَكُمْ، وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطانُ»[1].

وأخرجه أبو داود، والنسائي في «اليوم والليلة» بلفظ آخر[2].

وفيه إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق في الثناء ـ ولو بالصدق ـ فيخشى أن يستهوي الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها؛ قاله في «الإحياء»[3].

واعلم أن المدح قد يشتمل على كذب، أو رياء، أو شهادة بظن أو توهم، أو تفريح ظالم أو فاسق، وتجرئتهما على الظلم والفسق، وقد يُحدث في الممدوح كِبراً أو إعجاباً، وهما مهلكان، أو فتوراً عن الخير، أو رضى عن النفس، ومن هنا كان المدح ذبحاً.

وروى [ابن] زنجويه في كتاب «الأدب»: أن رجلاً مدح رجلاً بحضور عمر رضي الله تعالى عنه [فقال]: عقرت الرجل عقرك الله[4].

وعلى ما ذكرناه كانت أمداح أهل الجاهلية بعضهم ببعض، وربما

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٧٩).

(2) رواه أبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٢٤٩).

(3) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ١١٥).

(4) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٢٦٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٥).

كان الحامل لهم على المدح التوصل إلى الدنيا، وهو شرك صِرف، وجاهلية مَحْضة، وعليه قوله ﷺ: «اُحْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرابَ». رواه مسلم من حديث المقدام رضي الله تعالى عنه[1].

وحمله بعضهم على ظاهره، وجعله إشارة إلى تعزيرهم بذلك.

والأكثرون حملوه على المجاز، وأن المراد به مقابلتهم بالخيبة والحرمان، وهو خلاف ما قصدوه، وهو أبلغ من التعزير[2].

٨٦ ـ ومنها: التمدح وتزكية النفس.

وأمر أهل الجاهلية في ذلك مشهور، وأشعارهم مشحونة بذلك.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[النجم: ٣٢].

٨٧ ـ ومنها: المشي في القميص من غير رداء، ونحوه مما يتم به التستر؛ لأن ذلك يؤدي إلى كشف العورة أو بدوها، وروح هذه الخصلة يرجع إلى قلة الحياء والتستر، وهما من الإيمان، وضدهما من الجهل.

روى ابن ماجه عن عمران بن حصين، وأبي برزة رضي الله تعالى عنهم قالا: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فرأى قوماً قد طرحوا

---

(١) رواه مسلم (٣٠٠٢).

(٢) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٨/ ١٢٨).

أرديتهم يمشون في قمص، فقال رسول الله ﷺ: «أَبِفِعْلِ الْجاهِلِيَّةِ تَأْخُذُونَ؟ أَوَبِصُنْعِ الْجاهِلِيَّةِ تَشَبَّهُونَ؟ فَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَدْعُوَ عَلَيْكُمْ دَعْوَةً تَرْجِعُونَ فِي غَيْرِ صُوَرِكُمْ»، فأخذوا أرديتهم ولم يعودوا لذلك(١).

٨٨ ـ ومنها: تبرج النساء.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[الأحزاب: ٣٣].

وروى عبد بن حميد عن معاوية بن قرة ؓ قال: كان نساء الجاهلية يلبسن الخلاخل الصُّم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[النور: ٣١](٢).

فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هو أن تقرع الخلخال بالآخر عند الرجال، أو يكون على حليها جلاجل فتحركهن عند الرجال، فنهى الله عن ذلك لأنه من عمل الشيطان. رواه المفسرون(٣).

قلت: حدث هذا في الأزمنة المتأخرة في أكثر النساء أنهن يضعن في ضفائرهن الجلاجل، وربما مشين به في الأسواق، وربما سَمَّينه:

---

(١) رواه ابن ماجه (١٤٨٥). قال أبو حاتم: حديث منكر، وعلي بن الحزور منكر الحديث، ونفيع بن الحارث منكر الحديث ضعيف. كما في «العلل» لابن أبي حاتم (١/ ٣٥٦).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٨٦).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١٨/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٥٧٩).

منبه سيده، وظهورهن بذلك في الرجال، وإن تسترن وأكثر تسترهن بما لا يعد ساتراً حرام بالنص لأنه من التبرج بلا شك.

وروى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن أبي نجيح رحمه الله تعالى في قوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: التبختر[1].

وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل في الآية قال: التبرج أن تلقي الخمار على رأسها ولا تشده، فيوراي قلادتها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، قال: ثم عمت ـ يعني: الآية ـ نساء المؤمنين في التبرج؛ يعني: إنهن كلهن يشاركن نساء النبي ﷺ في النهي عن ذلك[2].

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة رحمه الله تعالى: أن التبرج مِشْية فيها تكسُّر وتغنُّج؛ نهاهن الله ﷻ عن ذلك[3].

٨٩ ـ ومنها: اعتزال الحائض في المسكن والمؤاكلة، وتقدم أن اليهود كذلك.

وإتيان الحائض، وتقدم أن النصارى كذلك.

والأول كان هو الأول فيهم، وكان الثاني إنما يفعله رعاعهم.

---

(١) ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٩٨)، والطبري في «التفسير» (٢٢/ ٤).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٦٠٢).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢٢/ ٤).

وروى عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾[البقرة: ٢٢٢] قال: كان الجاهلية لا تساكنهم حائض في بيت، ولا تؤاكلهم في إناء، فأنزل الله تعالى الآية في ذلك، فحرم الله تعالى فرجها مادامت حائضاً، وأحل ما سوى ذلك[١].

٩٠ ـ ومنها: اعتقاد العدوى.

روى الإمام أحمد، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجاهِلِيَّةِ لَنْ يَدَعَهُنَّ النَّاسُ؛ الطَّعْنُ فِي الأَنْسابِ، وَالنِّياحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ، وَالأَنْواءُ: مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذا وَكَذا، وَالإِعْداءُ: جَرِبَ بَعِيرٌ فَأَجْرَبَ مِئَةً؛ فَمَنْ أَجْرَبَ الْبَعِيرَ الأَوَّلَ؟»[٢].

قال أبو عبيد القاسم بن سلام في «أمثاله»: ومن أمثالهم في أخذ البريء بذنب صاحب الجناية قولُ النابغة الذبياني: [من الطويل]

حَمَلْتَ عَلَيَّ ذَنْبَهُ وَتَرَكْتَهُ
كَذِي الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ راتِعُ

ثم قال: تزعم العرب أن الإبل إذا أصابها العر، فكووا الصحيح زال العر عن السقيم[٣].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٣٨١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩١)، والترمذي (١٠٠١) وحسنه.

(٣) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٥١).

قال الأصمعي: العر ـ بضم العين ـ: قروح تخرج متفرقة في مشافر الإبل وقوائمها، يسيل منها مثل الماء الأصفر، وكان أهل الجاهلية بجهلهم إذا أصاب أحدهم هذا الداء كووا أذن بعير يرتعي معها في مشفره؛ يرون أنهم إذا فعلوا ذلك ذهب القروح.

قال: وأما العر ـ وهو الجرب ـ فلا يكوى منه[1].

وفي «القاموس»: إن العر ـ بالضم ـ: عروق في أعناق الفصلان، وداء يتمعط منه وبر الإبل[2].

٩١ ـ ومنها: النياحة على الميت، والنعي، ولطم الخدود، وخمش الوجوه، وحلق الشعور ونشرها، وشق الجيوب في المصائب، والإسعاد في ذلك.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: منعهن أن ينحن، وكان أهل الجاهلية ـ أي: **الإناث** ـ يمزقن الثياب، ويخدشن الوجوه، ويقطعن الشعر، ويدعون بالويل والثبور. رواه ابن جرير[3].

وروى عبد الرزاق، والإمام أحمد عن أنس رضي الله تعالى عنه

---

(١) انظر: «لسان العرب» للفيروز آبادي (٤/ ٥٥٥) (مادة: عرر).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٥٦٢) (مادة: عرر).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢٨/ ٧٨).

قال: أخذ النبي ﷺ على النساء حين بايعهن أن لا ينحن، فقلن: يا رسول الله! إن نساء أسعدننا في الجاهلية، فنسعدهن في الإسلام؟

فقال النبي ﷺ: «لا إِسْعادَ فِي الإِسْلامَ، وَلا شِغَارَ، وَلا عَقْرَ، وَلا جَلَبَ وَلا جَنَبَ، وَمَنِ انتَهَبَ فَلَيْسَ مِنَّا»[1].

وروى مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ؛ الْفَخْرُ فِي الأَحْسابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسابِ، وَالاسْتِسْقاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّياحَةُ».

وقال: «النَّائِحَةُ إِذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها تُقامُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَعَلَيْها سِرْبالٌ مِنْ قَطِرانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جربٍ»[2].

وروى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيوبَ، وَدَعا بِدَعْوى الْجاهِلِيَّةِ»[3]؛ أي: قولهم في المصيبة: يا ثبوراه، يا ويلاه.

وروى الترمذي من حديثه ـ مرفوعاً، وصححه موقوفاً ـ قال: «إِيَّاكُمْ وَالنَّعْيَ؛ فَإِنَّ النَّعْيَ مِنْ عَمَلِ الْجاهِلِيَّةِ»[4].

---

(1) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٦٩٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٧).

(2) رواه مسلم (٩٣٤).

(3) تقدم تخريجه.

(4) رواه الترمذي (٩٨٤) مرفوعاً، و(٩٨٥) موقوفاً وقال: هذا أصح.

وروى مسلم، والترمذي عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة، والحالقة، والشاقة[1].

الصالقة: التي ترفع صوتها بالنوح والندب.

والحالقة: التي تحلق رأسها عند المصيبة.

والشاقة: التي تشق أثوابها لذلك.

والأحاديث في الباب كثيرة.

فإن قلت: صح أن النبي ﷺ نعى للناس النجاشيَّ في اليوم الذي مات فيه[2]، وأنه نعى للناس زيداً، وجعفراً، وعبدالله ابن رواحة رضي الله عنهم[3]، وصح في قصة الرجل الذي مات ليلاً فقال النبي ﷺ: «أَفَلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ»[4] الحديث، وذلك يدل على جواز النعي؟

فالجواب كما قال النووي، وغيره: إن النعي المنهي عنه إنما هو نعي الجاهلية، وكانت عادتهم إذا مات منهم شريف بعثوا راكباً يسير في الناس يقول: نعاء فلان، ويذكر مآثره، وربما اعتاد بعض العرب كون الذي ينعي الميت من النساء، ويكون مع النعي ضجيج وبكاء كما يفعله كثير من النسوة الآن إذا مات الميت خرجن في الأزقة، ومن بيت إلى بيت ينعينه ويندبنه.

---

(١) رواه مسلم (١٠٤)، وكذا البخاري (١٢٣٤).

(٢) رواه البخاري (١١٨٨)، ومسلم (٩٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (١١٨٩) عن أنس رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٤٤٦)، ومسلم (٩٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فأما إعلام أهل الميت وأقربائه وأصدقائه مجرداً عن النوح والندب فقد استحسنه المحققون والأكثرون من أصحابنا، وغيرهم.

وذكر صاحب «الحاوي» لأصحابنا وجهين في الاستحباب:

- الإيذان بالميت.
- وإشاعة موته بالنداء والإعلام.

فاستحب ذلك بعضهم للغريب والقريب لما فيه من كثرة المصلين عليه والداعين له، وقال بعضهم: يستحب ذلك للقريب، ولا يستحب لغيره.

قال النووي: والمختار استحبابه مطلقاً إذا كان مجرد إعلام[1].

٩٢ ـ ومن أعمال أهل الجاهلية: الوصية بالنوح، والتعديد، واللطم، وما ذكر معه.

روى الخطابي، وغيره أن أهل الجاهلية كانوا يوصون أهليهم بالبكاء عليهم، والنوح عليهم.

وكان ذلك مشهوراً من مذاهبهم، وهو موجود في أشعارهم كقول الشاعر: [من الطويل]

إِذا مِتُّ فَانْعِيْنِي بِما أَنا أَهْلُهُ وَشُقِّي عَلَيَّ الْجَيْبَ يا أُمَّ مَعْبَدِ[2]

---

(١) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ١٢٣).

(٢) انظر: «شرح السنة» (٥/ ٤٤٢). والبيت لطرفة بن العبد من معلقته، كما في «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي (ص: ١٣٤).

وأما حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في «الصحيحين»، وغيرهما: «الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِـبُكَاءِ أَهْلِهِ»[1].

وحديث أبيه رضي الله تعالى عنهما: «الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِما نِيحَ عَلَيْهِ»[2] فهو محمول على ما إذا أوصى بذلك، وعليه جرى المزني، وبقية الأصحاب، وجمهور العلماء[3].

٩٣ ـ ومنها: الإحداد على الميت أكثر من ثلاث لغير الزوجة، وإحداد الزوجة أكثر من أربعة أشهر وعشر، أو من مدة الحمل.

روى الشيخان، وأبو داود، والنسائي عن أم عطية رضي الله تعالى عنها قالت: قال النبي ﷺ: «لا يحل لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاثٍ إلا على زوجٍ أربعة أشهرٍ وعشراً؛ فإنها لا تكتحل، ولا تلبس ثوباً مصبوغاً»، الحديث[4].

وروى الإمام مالك، وهؤلاء، والترمذي عن حميد بن نافع، عن زينب بنت أم سلمة، عن أمها رضي الله تعالى عنها قالت: جاءت امرأة

---

(١) رواه البخاري (١٢٤٢)، ومسلم (٩٣٠).

(٢) رواه البخاري (١٢٣٠)، ومسلم (٩٢٧).

(٣) انظر: «الشرح الكبير» للرافعي (٥/ ٢٥١)، و«فتح الباري» لابن حجر (٣/ ١٥٤).

(٤) رواه البخاري (٣٠٧)، ومسلم (٩٣٨)، وأبو داود (٢٣٠٢)، والنسائي (٣٥٣٤).

إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن ابنتي توفي عنها زوجها، وقد اشتكت عينها، أفنكحلها؟

فقال رسول الله ﷺ: «لا»؛ مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول: «لا».

ثم قال النبي ﷺ: «إِنَّما هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ، وَقَدْ كانَتْ إِحْداكُنَّ فِي الْجاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعرةِ عَلى رَأْسِ الْحَوْلِ».

قال حميد: فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟

فقالت زينب: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حِفْشاً، ولبست شر ثيابها، ولم تمس طيباً حتى تمر بها سنة، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طائر، فتفتضُّ به، فقلما تفتضُّ بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها، ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره.

وسئل مالك رضي الله عنه: ما تفتضُّ؟

قال: تمسح به جلدها[1].

٩٤ ـ ومنها ـ وهو من جنس الإحداد ـ: أن يغير هيئته لموت أبيه، أو ابنه، أو قريبه، ويخرج بهيئة مزرية خلاف عادته إظهاراً للحزن.

وأشد منه تحميم الوجه، أو صبغ الثوب بالزُّرقة أو السواد، وذلك كله من الجهل والجزع المخالف لما أمره الله به من الصبر

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٩٧)، والبخاري (٥٠٢٤)، ومسلم (١٤٨٨)، وأبو داود (٢٢٩٩)، والترمذي (١١٩٧)، والنسائي (٣٥٠٢).

والرجوع إلى الله تعالى.

روى ابن ماجه عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما، وأبي برزة رضي الله تعالى عنه قالا: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فرأى قوماً قد طرحوا أرديتهم يمشون في قميص، فقال رسول الله ﷺ: «أَبِفِعْلِ الْجاهِلِيَّةِ تَأْخُذُونَ؟ أَوْ بِصُنْعِ الْجاهِلِيَّةِ تَتَشَبَّهُونَ؟ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَدْعُوَ عَلَيْكُمْ دَعْوةً تَرْجِعُونَ فِي غَيْرِ صُوَرِكُمْ».

قال: فأخذوا أرديتهم ولم يعودوا لذلك[1].

٩٥ ـ ومنها: أن يدفن مع الميت شيء من مال صامت، أو حيوان، أو يجعل عند قبره ليستأنس به، أو ليقيه من الأرض، أو لغير ذلك من الاعتقادات الفاسدة.

فإن دفن ما سوى الكفن والحنوط مع الميت إضاعة مال، وقد نهى عن إضاعة المال، وقد انقطع الميت عن الدنيا فلا يحس بشيء من الدنيا استئناساً أو استيحاشاً.

نعم، أنسه ووحشته بأعماله؛ أي: بما ترتب عليها من ثواب أو عقاب.

نعم، يستأنس بالذكر والقرآن والدعاء، وينتفع بذلك، وبالصدقات.

ذكر الشهرستاني في «الملل والنحل»: أن بعض العرب كان إذا حضره الموت قال لوليه: ادفنوا معي راحلتي حتى أحشر عليها[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (٢/ ٢٤٤).

وكانوا يربطون الناقة معكوسة إلى مؤخرها مما يلي ظهرها أو بطنها، ويتركونها حتى تموت عنده، ويسمونها: بلية.

وقال جريبة بن الأشيم الأسدي حين حضره الموت يوصي ابنه سعداً: [من الكامل]

يــا سَــعْدُ إِمَّــا أَهْلِكَــنَّ فَــإِنَّنِي　　أُوْصِيكَ إِنَّ أَخا الوُصاةِ الأَقْرَبُ
لا تَتْرُكَنْ أَخـاكَ يُحْـشَرُ راجِـلاً　　فِي الْحَشْرِ يُصْرَعُ لِلْيَدَيْنِ وَيُنْكَبُ
وَلَعَـلَّ فِيمـا قَـدْ تَرَكْـتُ مَطِيَّـةً　　فِي الْحَشْرِ أَرْكَبُها إِذا قِيلَ ارْكَبُوا

وقال الجوهري في «صحاحه»: البلية: الناقة التي كانت تُعقل في الجاهلية عند قبر صاحبها، فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت؛ أو يحفر لها حفرة، وتترك فيها إلى أن تموت؛ لأنهم كانوا يزعمون أن الناس يحشرون ركباناً على البلايا، أو مشاة إذا لم تُعكس مطاياهم على قبورهم، تقول منه: أَبْلَيتُ، وَبلَّيتُ؛ يعني: بالتشديد.

قال الطرمَّاح: [من الوافر]

مَنـازِلُ لا تُـرى الأَنْـصابُ فِيهـا　　وَلا حُفَــرُ الْمُبَلِّــي لِلْمَنُــونِ

أي: إنها منازل أهل الإسلام دون الجاهلية.

وقامت مبلِّيات فلان يَنُحْنَ عليه، وذلك أن يقُمن حول راحلته إذا مات[1].

وقال في مادة: (و ل ي): الوليَّة: البَرْذعة، ويقال: بل التي

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٢٨٥) (مادة: بلا).

تكون تحت البرذعة، والجمع الولايا، وقولهم:

كالبـلايـا رؤوســـها في الولايـــا

يعني: الناقة التي كان تعكس على قبر صاحبها، ثم تطرح الولية على رأسها إلى أن تموت، انتهى[1].

والعكس كما في «القاموس»، وغيره: أن يشد حبلاً في خطم البعير إلى يديه ليذل، وذلك الحبل عكاس ـ بالكسر ـ[2]، وهو أحد الوجهين اللذين ذكرهما الشهرستاني[3].

ولقد صادف الحق من اعتقد من العرب أن الناس منهم على مطايا، ولكنهم أخطؤوا فيما اعتقدوه من أن البلية تكون مطية إذا دفنت مع الميت أو عكست عنده حتى تموت صبراً، وهلا أوصوا بالصدقة بها، أو بلحمها، وأطعموه الفقراء؛ فإن فيه رجاء لذلك.

وفي الحديث: «اسْتَفْرِهُوا ضَحاياكُمْ؛ فَإِنَّها عَلى الصِّراطِ مَطاياكُمْ». رواه الديلمي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[4].

ويحتمل أن يكون التقدير: فإن ثوابها مطاياكم على الصراط.

---

(١) انظر: انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٥٣٠).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٧٢٠) (مادة: عكس).

(٣) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (٢/ ٢٤٤).

(٤) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٦٨).

٩٦ ـ ومن أخلاق أهل الجاهلية: معاداة أولياء الله تعالى، وإيذاؤهم، وإخراجهم من أوطانهم.

وقد فعلوا ذلك بالنبي ﷺ وبأصحابه حتى هاجروا إلى الحبشة، ثم إلى المدينة.

وروى أبو يعلى بسند حسن، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال: «أَما وَاللهِ إِنِّي لأَخْرُجُ مِنْكِ وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكِ أَحَبُّ بِلادِ اللهِ إِلَيَّ وَأَكْرَمُها عَلَيَّ، وَلَوْلا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي ما خَرَجْتُ»[١].

وروى البزار بسند صحيح، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ وقف على الحزورة فقال: «لَقَدْ عَلِمْتِ أَنَّكِ أَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ، وَلَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ أَخْرَجُونِيَ مِنْكِ لَما خَرَجْتُ»[٢].

٩٧ ـ ومنها: الغل، والحقد، والحسد، والعداوة، والبغضاء، والحمية.

ما لم تكن العداوة لنصرة الله وأمره، ومن ثم امتنَّ الله تعالى على أوليائه بقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[الحجر: ٤٧].

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٢٦٦٢)، وكذا الترمذي (٣٩٢٦) وحسنه بلفظ قريب.

(٢) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٠٥).

ومن ثم أيضاً أُمر النبي ﷺ أن يقول في تعوذه: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ٥].

وروى ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما: أن هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[الحجر: ٤٧] نزلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

قيل: وأي غل؟

قال: غل الجاهلية؛ إن بني تميم، وبني عدي، وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية غل، فلما أسلم هؤلاء تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل علي يسخِّن يده، فيكمِّد بها خاصرة أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، فنزلت هذه الآية[1].

وروى ابن إسحاق، وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم رحمهما الله تعالى قال: مر شاس بن قيس ـ وكان يهودياً ـ على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون، فغاظه ما رأى من تألُّفهم بعد العداوة، فأمر شاباً معه من يهود أن يجلس بينهم، فيذكرهم يوم بعاث، ففعل، فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان؛ أوس بن قيظي من الأوس، وجبار بن صخر من الخزرج، فتقاولا، وغضب الفريقان، وتواثبوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فجاء حتى وعظهم، وأصلح بينهم، فسمعوا وأطاعوا، فأنزل الله تعالى في أوس وجبار: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) ورواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ١٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٣٨).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٣] الآية[١].

وقال أهل الأخبار: كان الأوس والخزرج أخوين لأب وأم، فوقعت بين القبيلتين عداوة بسبب قتيل، فتطاولت تلك العداوة والحرب بينهم عشرين ومئة سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام، وألَّف بينهم برسوله ﷺ، فذكرهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣][٢].

قال [...][٣]: والآية شاملة للأنصار وغيرهم ممن كانوا متعادين في الجاهلية متدابرين حتى امتن الله عليهم بالإسلام، فتحابوا وتواصلوا في ذات الله، وتعاونوا على البر والتقوى.

وروى الإمام مالك، والشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقاطَعُوا،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٩٨)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١٦٤).

(٣) بياض في «أ» و«ت».

وَلا تَدابَرُوا، وَلا تَباغَضُوا، وَلا تَحاسَدُوا، وَكُونُوا عِبادَ اللهِ إِخْواناً، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ»[1].

ومن لطائف أبي نواس الحسن بن هانىء كما أورده عنه ابن كثير: [من السريع]

يـا سَـيِّدي عِنْـدَكَ لِـي مَظْلَمَـة	فاسْتَفْتِ فِيها ابْـنَ أَبِـي خَيْثَمَـة
فَإِنَّــهُ يَرْوِيـــهِ عَـــنْ جَـــدِّهِ	قالَ رَوى الضَّحَّاكُ عَنْ عِكْرِمَـة
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَـنِ الْمُـصْطَفى	مُحَمَّـدِ الْمَبْعُـوثِ بِالْمَرْحَمَـة
إِنَّ انْقِطـاعَ الْخِـلِّ عَــنْ خِلِّـهِ	فَــوْقَ ثَــلاثٍ رَبُّنـا حَرَّمَــه
وَأَنْـتَ مُـذْ شَـهْرٍ لَنـا هـاجِرٌ	أَمـا تَخـافُ اللهَ فِينـا أَمَّــه[2]

٩٨ ـ ومنها: الأمن من مكر الله تعالى، واليأس من رحمته، وكفران نعمه وشدة الفرح بالنعمة مع نسيان المنعم بها، والفخر بما لا يملك، والبطر والاغترار بالله تعالى، والجزع من الضراء والمصاب.

وكل ذلك أخلاق جاهلية منشؤها الجهل بالله وبالنفس وبالمال.

ومن هنا قال موسى عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[البقرة: ٦٧].

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٠٧)، والبخاري (٥٧١٨)، ومسلم (٢٥٥٩)، وأبو داود (٤٩١٠)، والترمذي (١٩٣٥).

(٢) وانظر: «روضة العقلاء» لابن حبان (ص: ٢٠٧).

وكان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته قال: «بِسْمِ اللهِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَزِلَّ، أَوْ أَضِلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ».
أخرجه الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، من حديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها[1].

وهو عند أبي داود بلفظ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»[2].

قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧ ـ ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩ ـ ١١].

قال ابن جريج رحمه الله تعالى في الآية: يا ابن آدم! إذا كان لك نعمة من الله من السَّعة والأمن، والعافية فكُفورٌ لما بك منها، وإذا

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٢١)، والنسائي (٥٤٨٦)، وابن ماجه (٣٨٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٠٧)، وكذا الترمذي (٣٤٢٧) وصححه.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٤).

نزعت منك يبتغي لك فراغك فيؤُوسٌ من رَوح الله، قَنُوطٌ من رحمته؛ كذلك أمر الكافر[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّئَاتُ عَنِّيٓ﴾[هود: ١٠] قال: غرة بالله، وجرأة عليه؛ إنه لفرح والله لا يحب الفرحين، فخور بما أعطى لا يشكر الله تعالى. رواه ابن جرير، وأبو الشيخ[2].

٩٩ ـ ومنها: الإصرار والتمادي في الضلال، وعدم الاتعاظ بالآيات، وعدم الاستكانة والتضرع عند نزول البليات تجلُّداً على الله تعالى، ومكابرة في المعاندة لأمر الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ﴾؛ يعني: قريشاً، وسائر العرب، وسائر الناس ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[المؤمنون: ٧٣ ـ ٧٧].

قال مجاهد في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾[المؤمنون: ٧٦]؛ يعني: السَّنَة والجوع. أخرجه ابن المنذر[3].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ٧)، وكذا ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ٢٠٠٧).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ٨).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١١١).

وروى العسكري في «المواعظ» عن علي رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾[المؤمنون: ٧٦] قال: لم يتواضعوا إلى الدعاء، ولم يخضعوا، ولو خضعوا لاستجاب لهم[١].

وروى ابن جرير عن الحسن رحمه الله تعالى في الآية قال: إذا أصاب الناس من قبل السلطان بلاءٌ فلا يستقبلوا نقمة الله بالحمية، ولكن استقبلوها بالاستغفار، واستكينوا وتضرعوا إلى الله تعالى[٢].

واعلم أن هذا الخلق الجاهلي قد يتفق لبعض الشُّطَّار إذا نزل بهم البلاء من القتل، أو الجلد، أو غيرهما من العذاب؛ تجلدوا، وأظهروا الصبر والشجاعة على ذلك مفتخرين بالتجلد، عائبين على من يجزع منهم في مثل هذه الحالة.

وبالجملة: فإن كل معصية فإنها تنشأ عن الجهل بالله تعالى، وأهل الجاهلية أشد جهالة بالله تعالى فهم أحق بأن تنسب كل معصية إليهم، ولكنا نبهنا في هذا الكتاب على هذه النبذة من أمهات أخلاقهم ليحذرها أهل المعرفة والديانة.

ولما كان أبو جهل بن هشام مسارعاً في عداوة النبي ﷺ متجرأً عليه سمي أبا جهل، كأن كل جهل فهو أصله، وهو منسوب إليه، وإنما كانت كنيته أبا الحكم.

ومن لطائف الشيخ أحمد بن علوان أحد أولياء اليمن وساداته:

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١١٢).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٨/ ٤٥).

أنه قال: ثلاث خصال من كن فيه فهو يكنى أبا الجهل وإن كان عالماً؛ الكبر، والحرص، والشح.

وثلاث خصال من كن فيه فهو يكنى أبا العلم وإن كان أمياً؛ التواضع، والزهد، والسخاء.

* **تَتِمَّةٌ:**

روى ابن أبي شيبة عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: كنا نأتي النبي ﷺ فيجلس أحدنا حيث ينتهي، وكانوا يتذاكرون الشعر وحديث الجاهلية عند رسول الله ﷺ فلا ينهاهم، وربما تبسم[1].

وعن عتبة بن عبد الرحمن، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: كنت أجالس أصحاب رسول الله ﷺ مع أبي في المسجد، فيتناشدون الأشعار، ويذكرون حديث الجاهلية[2].

وعن أبي سلمة ـ يعني: ابن عبد الرحمن ـ قال: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متحزِّقين ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحدهم على شيء من دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون[3].

فعلم من ذلك أن ذكر حديث الجاهلية ليظهر فضل العلم والمعرفة والدين، ولتحذر أخلاقهم المناقضة للعلم من جملة ما كان

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٠٦٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٠٦١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٠٦١).

عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم.

وإنما المذموم من ذكر حديث الجاهلية ما كان على سبيل الاهتمام به، والاستحسان له والترغيب فيه، وهو مما يغلب على شرار الناس في آخر الزمان عند قيام الساعة، وقد بدت أوائله الآن، وصنعت منه يد الحدثان.

روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أكثروا الطواف بالبيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه، وأكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع.

قيل: وكيف يرفع ما في صدور الرجال؟

قال: يسرى عليه ليلاً فيصبحون منه قَواء ينسون قول: لا إله إلا الله، ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم، فذلك حين يقع القول عليهم؛ أي: المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[النمل: ٨٢][1].

وروى الطبراني عنه قال: يسرى على القران ليلاً، فيذهب به من أجواف الرجال، فلا يبقى في الأرض منه شيء[2].

وروى هو وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والمفسرون، وصححه الحاكم، عنه قال: إن هذا القرآن سيرفع.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٢٩٢٢).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٠٠).

قيل: كيف يرفع وقد أثبته الله في قلوبنا، وأثبتناه في المصاحف؟

قال: يسرى عليه في ليلة واحدة فلا يترك منه آية في قلب ولا مصحف إلا رفعت، فتصبحون وليس فيكم منه شيء، ثم قرأ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[الإسراء: ٨٦][١].

وروى البيهقي في «الشعب» عنه قال: اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع؛ فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع.

قالوا: هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في الصدور؟

قال: يعدى عليه ليلاً فيرفع من صدورهم، فيصبحون يقولون: لكأنما كنا نعلم شيئاً، ثم يقعون في الشعر[٢].

وروى الحاكم وصححه، والبيهقي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْرُسُ الإِسْلامُ كَما يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لا يُدْرَى ما صِيامٌ وَلا صَدَقَةٌ وَلا نُسُكٌ، وَيُسْرَى عَلى كِتابِ اللهِ تَعالَى فِي لَيْلَةٍ فَلا يَبْقَى مِنْهُ فِي الأَرْضِ آيَةٌ، وَيَبْقَى الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ: أَدْرَكْنا آباءَنا عَلى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُها»[٣].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٩٨)، وسعيد بن منصور في «السنن» (٢/ ٣٣٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠١٩٣)، والطبري في «التفسير» (١٥/ ١٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٣٨).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٢٦).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٦٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٢٨)، وكذا ابن ماجه (٤٠٤٩).

يقال: درس الرسم دروساً: عفا وانمحى، ودرسَتْه الريح، يكون لازماً ومتعدياً.

وحقيقة الدروس الذهاب قليلاً قليلاً، وشيئاً بعد شي.

والمعنى: إن الإسلام تنقص أموره وتذهب واحداً بعد واحد حتى يؤول الأمر إلى الجاهلية، وأول الأمارات غرابة الإسلام كما في الحديث: «بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيباً، وَسَيُعُودُ غَرِيباً كَما بَدَأَ»[1].

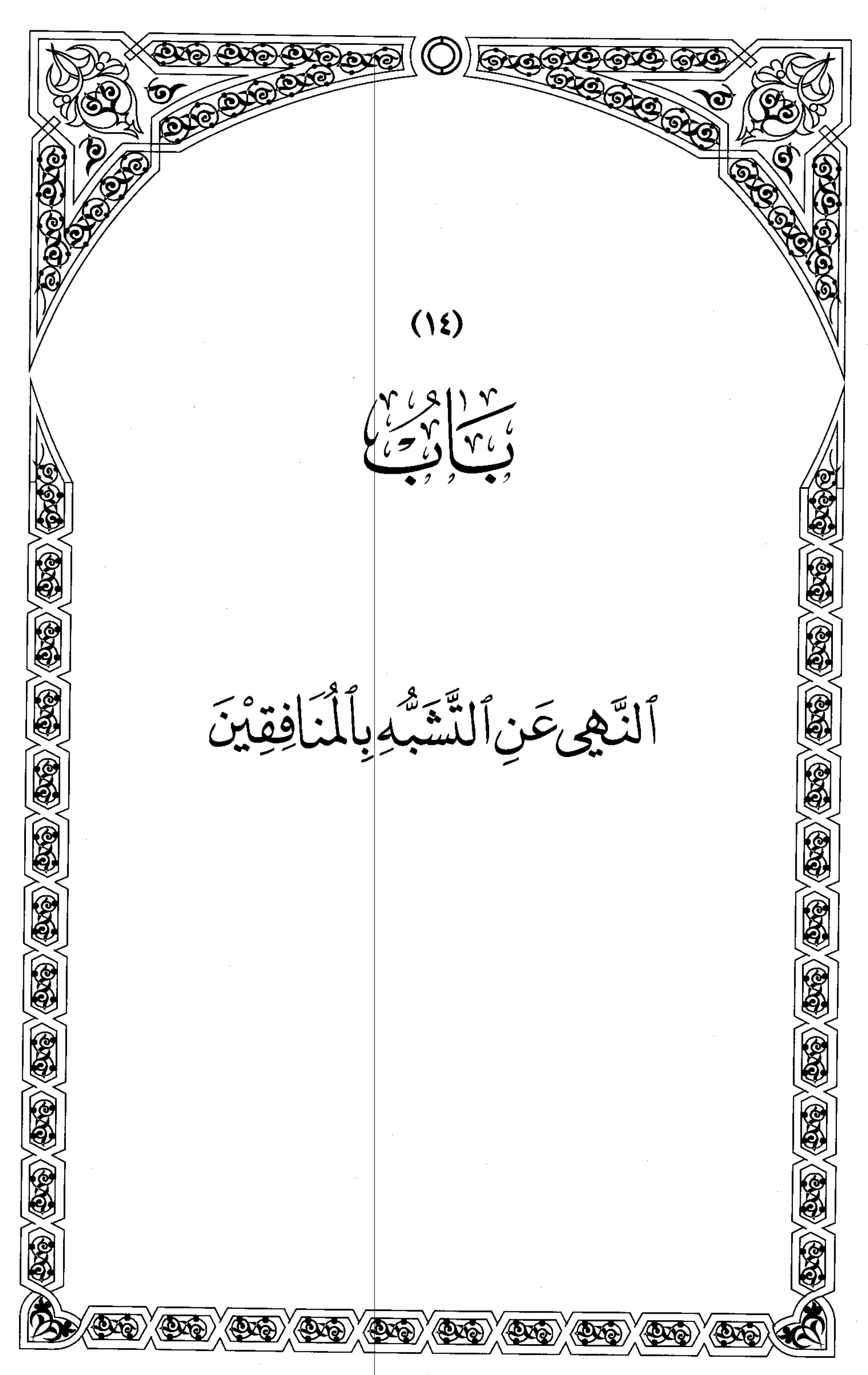
ثم ذهابه ـ والعياذ بالله تعالى ـ بالكلية حتى لا يبقى من يقول: لا إله إلا الله، وهي آخر ما يبقى منه، فعليهم تقوم الساعة.

وروى محمد بن نصر عن الليث بن سعد رضي الله تعالى عنه: إنما يرفع القرآن حين يقبل الناس على الكتب ـ أي: المخالفة له، أو المكتوبة برأيهم، وبما يستحسنونه ـ ويكُبُّون عليها، ويتركون القرآن[2].

❑ ❑ ❑

(١) رواه مسلم (١٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه محمد بن نصر كما في «مختصر قيام الليل» (ص: ٢٧٧)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٣٥).

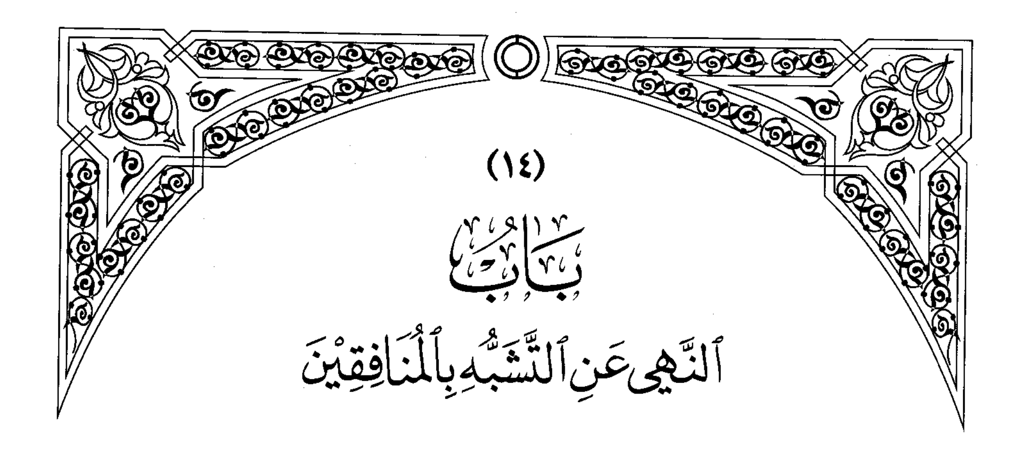


(١٤)

بَابُ

النَّهيِ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالمُنَافِقِيْنَ





(١٤)

بَابُ
النَّهيِ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْمُنَافِقِينَ

اعلم أن النفاق على قسمين:

ـ اعتقادي: وهو إبطان الكفر وإظهار الإسلام، وهو أشد أنواع الكفر، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وهذا يخلد صاحبه في النار.

ـ وعملي: بأن يعتقد اعتقاد المسلمين، ويعمل أعمال المنافقين، وهو من أشد المعاصي وأكبر الذنوب.

وسمي النفاق نفاقاً لأن المنافق يستر كفره أو فجوره، فأشبه الداخل في النفق، وهو السِّرب يستتر فيه، أو أشبه المنافق باليربوع، له جُحر يقال له: النافقاء، وآخر يقال له: القاصعاء، فإذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء، وكذلك المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي دخل منه فيه[1].

وأول من عرف بالنفاق من بني آدم كنعان بن نوح كما تقدم.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن سلام (٣/ ١٣).

وأول من عرف بالنفاق من هذه الأمة: عبدُالله بن أبيٍّ ابنُ سلول.

ولم يكن قبل الهجرة نفاق ولا بعدها حتى كانت وقعة بدر العظمى، وأعلى الله كلمته، وأظهر الإسلام وأعز أهله، قام عبدالله بن أبي، وكان رأساً في المدينة، وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين الخزرج والأوس في الجاهلية، وكانوا قد عزموا أن يملكوه عليهم، فجاءهم الخبر، فأسلموا واشتغلوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر قد توجه، فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته، وآخرون من اليهود، ومن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، ولذلك لم تذكر صفات المنافقين إلا في السور المدنية، وكل آية نزلت في المنافقين فهي بعد غزاة بدر.

واعلم أن من تشبه بالمنافقين في الاعتقاد كأن شك في شيء مما جاء به محمد ﷺ، أو أنكر شيئاً منه، وتلبس بأقوال الإسلام وأعماله ظاهراً تقية، وخوفاً على دمه أو ماله، فهذا منافق حقيقة، وهو كافر مخلد في الدرك الأسفل من النار إذا مات؛ والعياذ بالله على ذلك.

وقد سئل حذيفة رضي الله عنه: من المنافق؟

قال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به. رواه ابن أبي شيبة[1].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٤١٥).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: ما صدَّقَ أحدٌ بالنار إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النار خلف هذا الحائط لم يصدق بها حتى يتجهم عليها[1].

وأما من تشبه بالمنافقين في الأخلاق، أو الأعمال، أو الأحوال مع صحة الاعتقاد والتصديق، فهذا لا نحكم عليه بالكفر، ولا يستوجب الخلود في النار، لكنه عرض نفسه لأن يحشر معهم، ويكون في زمرتهم، وربما كان هذا مستجراً لهم إلى اعتقادهم.

روى ابن أبي شيبة عن علي رضي الله تعالى عنه قال: الإيمان يبدأ نقطة بيضاء في القلب، كلما ازداد الإيمان ازدادت بياضاً حتى يبيض القلب كله.

والنفاق يبدأ نقطة سوداء في القلب، كلما ازداد النفاق ازدادت سواداً حتى يسود القلب كله.

والذي نفسي بيده لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود[2].

وروى الإمام أحمد، والطبراني عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ؛ قَلْبٌ أجردٌ وَفِيهِ سِراجٌ يُزْهِرُ، فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ، وَقَلْبٌ أَسْودُ مَنْكُوسٌ، فَذَلِكَ قَلْبُ الْكافِرِ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبوطٌ عَلى غِلافِهِ، فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنافِقِ، وَقَلْبٌ

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٦٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٣٢١).

مُصفحٌ فِيهِ إِيْمانٌ وَنِفاقٌ، فَمَثَلُ الإِيْمانِ فِيْهِ مَثَلُ الْبَقْلَةِ يَمُدُّها الْماءُ الطَّيِّبُ، وَمَثَلُ النِّفاقِ فِيهِ مَثَلُ الْقَرْحَةِ فِيهِ يَمُدُّها الْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ، فَأَيُّ الْمادَّتَينِ غَلَبَتْ عَلَيهِ ذَهَبَتْ بِهِ»[1].

وهذا الحديث يدل على أن من النفاق ما لا يخرج من الإيمان، وهو ما لا يكون في الاعتقاد والتصديق، ولكن مهما لم يكن واعظ القلب مساعداً للإيمان، فربما غلبه النفاق فذهب بالقلب.

فمن ثم كان التشبه بالمنافقين شديد القبح، عظيم الخطر.

وقد قال الله تعالى في النهي عن التشبه بالمنافقين خاصة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

قال مجاهد: هذا قول عبدالله بن أبي، والمنافقين[2].

وقال في قوله: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٥٦]: يحزنهم قولهم لا ينفعهم شيئاً. رواهما ابن جرير، وابن أبي حاتم[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٧)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١٠٧٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٦٣): رواه الإمام أحمد والطبراني في «الصغير»، وفي إسناده ليث بن أبي سليم.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٤/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧٩٩).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٤/ ١٤٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧٩٩).

ولا يكاد المفسرون يختلفون في الآية نزلت في عبدالله بن أبي وأصحابه المنافقين.

والآية تحتمل أن تكون في النهي عن التشبه بهم في هذا القول، ويحتمل أن تكون في النهي عن التشبه مطلقاً في كل أمر من أمورهم، وهو الأقرب إلى التحقيق.

١ ـ فمن أخلاق المنافقين ـ وهو أقبحها ـ: الكفر بالله تعالى، أو بصفة من صفاته، أو بقضائه وقدره، وإنكار أن تكون الأشياء بمشيئته، وإنكار ما أخبر به على لسان رسله من المعاد والبعث والنشور، وما يكون في اليوم الآخر من الأمور.

وكفر المنافقين أشد الكفر، ولذلك كانوا في الدَّرْك الأسفل من النار.

وروى ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاء عبدالله بن أبي وفي يده عظم حائل إلى النبي ﷺ، فكسره بيده، ثم قال: يا محمد! كيف يبعثه الله وهو رميم؟

فقال رسول الله ﷺ: «يَبْعَثُ اللهُ هَذا، وَيُمِيتُكَ، وَيُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ».

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩][١].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٣/ ٣١).

٢ ـ ومنها: الاستهزاء بالدين وأهله.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥].

روى الثعلبي، وغيره بسند ضعيف، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبدالله بن أُبَيٍّ وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال عبدالله بن أُبَيٍّ: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، فذهب فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تيم، وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله ﷺ في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب، الفاروق، القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ، ثم أخذ بيد علي رضي الله تعالى عنه وقال: مرحباً بابن عم رسول الله ﷺ، وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسولَ الله، ثم افترقوا، فقال عبدالله بن أُبَيٍّ لأصحابه قبحهم الله: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأثنوا عليهم خيراً، ورجع أصحاب رسول الله ﷺ وأخبروه بذلك، فأنزلت هذه الآية[1].

---

(١) رواه الثعلبي في «التفسير» (١/ ١٥٥). قال ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٢٣٧): رواه الكلبي عن أبي صالح، والكلبي اتهموه بالكذب، وقد مرض، فقال لأصحابه في مرضه: كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب. =

وروى البيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾[البقرة: ١٥] قال: في الآخرة يفتح لهم باب في جهنم من الجنة، ثم يقال لهم: تعالوا، فيقبلون يسبحون في النار، والمؤمنون على الأرائك، وهي السُّرر في الحِجال ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم، فيضحك المؤمنون منهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾[البقرة: ١٥] في الآخرة، ويضحك المؤمنون منهم حين غلقت دونهم الأبواب، فذلك قوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾[المطففين: ٣٤][1].

وروى ابن أبي الدنيا، والبيهقي بإسناد حسن، عن الحسن رحمه الله تعالى ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّاسِ يُفْتَحُ لأَحَدِهِمْ بابٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيُقالُ: هَلُمَّ هَلُمَّ، فَيَأْتِيهِ بِكَرْبِهِ وَغَمِّهِ، فَإِذا أَتاهُ أُغْلِقَ دُونَهُ، فَما يَزالُ كَذَلِكَ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْتَحُ لَهُ البابُ، فَيُقالُ: هَلُمَّ هَلُمَّ، فَلا يَأْتِيهِ»[2].

= وآثار الوضع لائحة على هذا الكلام، وسورة البقرة نزلت في أوائل ما قدم رسول الله ﷺ المدينة، كما ذكره ابن إسحاق وغيره، وعلي إنما تزوج فاطمة رضي الله عنهما في السنة الثانية من الهجرة.

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣/ ٥٧). وفي سنده الكلبي عن أبي صالح، انظر التعليق السابق.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ١٦٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣١٠).

وروى الإمام أحمد، وغيره عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنا، وَيَعْرِفْ لِعالِمِنا حَقَّهُ»(١).

وروى الطبراني بإسناد حسن، عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ لا يَسْتَخِفُّ بِهِمْ إِلاَّ مُنافِقٌ؛ ذُو الشَّيْبَةِ فِي الإِسْلامِ، وَذُو الْعِلْمِ، وَإِمامٌ مُقْسِطٌ»(٢).

٣ - ومنها: إظهار الإيمان، والصلاح، والزهد والورع مع إبطان أضدادها.

وهو حقيقة النفاق كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ﴾[البقرة: ١٤]

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[البقرة: ٢٠٤].

روى ابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهما عن السدي قال في الآية: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي حليف لبني زهرة، أقبل إلى النبي ﷺ وقال: جئت أريد الإسلام، ويعلم الله إني لصادق،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨١٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٧): من رواية عبيدالله بن زحر عن علي بن يزيد، وكلاهما ضعيف.

فأعجب النبي ﷺ ذلك منه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ﴾[البقرة: ٢٠٤]، ثم خرج من عند النبي ﷺ فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع، وعَقَر الحمر، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[البقرة: ٢٠٥] الآية[١].

وروى عبد بن حميد عن قتادة رحمه الله تعالى في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٨] الآيات؛ قال: هذا نعت المنافق، نعت عبداً خائن السريرة، كثير خنع الأخلاق، يَعْرِف بلسانه ويُنكِر بقلبه، ويصدق بلسانه ويخالف بعمله، ويصبح على حال ويمسي على غيره، ويتكفأ تكفؤ السفينة، كلما هبت الريح هب فيها[٢].

وعن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى: كانوا يتخوفون من هذه الآية[٣].

وروى ابن المنذر عنه أنه قال: لم يكن عندهم أخوف من هذه الآية[٤].

٤ ـ ومنها: الإفساد في الأرض.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٣٦٤).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٧٤).

(٣) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٢٩).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٧٤).

﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٥].

والفساد شامل لإهلاك الحرث والنسل كما فعل الأخنس ابن شريق، ولغيره، فهو من عطف الخاص على العام، وهو ضد الصلاح كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[الأعراف: ٥٦].

وإن فسرنا الفساد بأخذ المال ظلماً كما ذكره في «القاموس»[1] فالعطف في الآية للمغايرة، فيكون وصفه بوصفين؛ أخذ المال لنفسه من صاحبه، وإتلافه على صاحبه، وهما من أعمال المنافقين.

٥ ـ ومنها: الظلم في الولاية، أو مطلقاً، ولا سيما في الولاية والعدوان.

سئل مجاهد رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾[البقرة: ٢٠٥]، قال: يلي في الأرض فيعمل فيها بالعدوان، فيحبس الله تعالى بذلك المطر، فيهلك الحرث والنسل، ثم قرأ مجاهد: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾[الروم: ٤١]. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[2].

وحيث استدل مجاهد بالآية فبيانه أن الناس إذا تظالموا ولَّى الله

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٣٩١) (مادة: فسد).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٣١٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٣٦٦).

تعالى عليهم ظالماً ينتقم به منهم كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[الأنعام: ١٢٩].

وإذا عاث ذلك الظالم فيهم وجارَ قحطت الأرض، فحبس المطر عنها، فيفسد زرعها ونسلها، فإنْ نُسب الفساد إلى ظلم الظالم كان صحيحاً، وإن نسب إلى كسب الناس كان صحيحاً لتسببه عنهما.

والآية الأولى من الأول، والثانية من الثاني.

واعلم أنا لم نرَ أحداً من طالبي الولايات كان في طلبه يعد من نفسه العدل والعفة والإصلاح، ثم تولى إلا رأيناه تولى عما كان يزعمه من نفسه، بل ربما ظهرت منه أنواع من الظلم والفساد، ولو تولى ما تولاه من كان يوعد من نفسه بمثل ذلك لقصر عنه، وسبب ذلك أن طالب الولاية قد كتم في نفسه خلاف ما يدعيه لها، فإذا أمكنه عَرْضه ظهرَ مرضه.

ولقد قلت في ذلك: [من السريع]

لِلَّـهِ كَـمْ مِـنْ رَجُـلٍ مُعْجَـبٍ ... لِلنَّـاسِ مـا قَـدْ قالَـهُ وَادَّعـى

قَـدْ وَعَـدَ الإِصْـلاحَ فِـي قَوْلِـهِ ... وَفِعْلِـهِ إِنْ فِـي الرَّعايـا رَعَـى

تَحْـسِبُهُ مِمَّـا تَـرى صـالِحاً ... لَكِنَّـهُ إِذا تَـوَلَّى سَـعَى

٦ ـ ومنها: أن المنافق يدعي أن إفساده إصلاح، وأن ظلمه عدل، وأن إساءته إحسان، وأن فجوره بِرٌّ؛ ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[الكهف: ١٠٤].

قال الله تعالى في المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾[البقرة: ١١ ـ ١٢].

قال مجاهد في الآية: إذا ركبوا معصية فقيل لهم: لا تفعلوا، قالوا: إنما نحن على الهدى. رواه ابن جرير[١].

* تَنْبِيهٌ:

أكثر المفسرين أن الآية نزلت في عبدالله بن أُبَيٍّ وأصحابه المنافقين، وهي شاملة لمن جاء بمثل ما جاؤوا به.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[البقرة: ١١]: أي: إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب. رواه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم[٢].

لكنهما رويا عن عباد بن عبدالله الأسدي قال: قرأ سلمان رضي الله عنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[البقرة: ١١]، فقال: لم يجىء أهل هذه الآية بعد[٣].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ١٢٦).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٤٥).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٤٥).

أشـــار ســـلمان رضي الله تعالى عنه: إلى أن الآية إنما هي فيمن بيدهم الإصلاح والإفساد، وهم الولاة؛ فإن المنافقين الذين كانوا في ذلك العهد ما كان لهم ولاية، وإنما كان إفسادهم على سبيل الدس والاختلاس، والآية معناها واضح في ولاة السوء؛ فإنهم يفسدون في الأرض وهم يدَّعون الإصلاح، ولهم من الجلساء والمترددين إليهم من يحسن لهم ما هم فيه، ويمالؤنهم على ما هم عليه، وإذا دخل على ذلك الــوالي من ينبهـه على حـاله إن أمكن تنبيهـه، أو التلـويح له عارضه أولئك الغاشُّون لأنفسهم ولرفيقهم، وزيفوا أمره، وتأولوا أمره ونهيه كيف أمكنتهم المعارضة، مشافهة له في حضرته، أو في غيبته بعد خروجه، ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ١٢]؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون!

٧ ـ ومنها: أن المنافق يُســفِّه المؤمـن، ويرى أنـه على ضـلال وباطل.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٣].

قال ابن مسعود، والربيع، وابن زيد في قوله: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: يعنون أصحاب النبي ﷺ. أخرجه ابن جرير[(١)].

وأخرج هو وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

---

(١) رواها الطبري في «التفسير» (١/ ١٢٨).

مثله، وزاد في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾، يقول: الجهال، ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: لا يعقلون[1].

فالمنافق من خلقه أنه يطعن على المؤمنين، ويجهِّل العلماء، ويسفِّه الفقهاء.

والشافعي رضي الله تعالى عنه: [من الوافر]

وَمَنْزِلَةُ الْفَقِيهِ مِنَ السَّفِيهِ ... كَمَنْزِلَةِ السَّفِيهِ مِنَ الْفَقِيهِ
فَهَذا زاهِدٌ فِي عِلْمِ هَذا ... وَهَذا مِنْهُ أَزْهَدُ مِنْهُ فِيهِ

٨ ـ ومنها: التلدُّد في الخصومة، وكثرة الخصومات ـ فإن كانت في غير الحق كانت أقبح ـ والجدال في القرآن، والمِراء والجدل، وهو القدرة على الخصومة، وإنما يباح من ذلك ما كان بقدر الحاجة في إظهار الحق، والتوصل إليه.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾[البقرة: ٢٠٤]؛ أي: [شديد] الخصومة، كما رواه ابن جرير عن ابن عباس[2].

وروى الشيخان، والترمذي، والنسائي عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «أَبْغَضُ الرِّجالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الْخَصِيمُ»[3].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ١٢٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٤٦).

(٢) ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٣٦٥).

(٣) تقدم تخريجه.

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْجِدالُ فِي الْقُرآنِ كُفْرٌ»[1].

وروى الفريابي عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: يهدِم الإسلامَ ثلاثٌ: زلة عالم، وجدال المنافق بالقرآن، وأئمة مضلون[2].

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كَفَى بِكَ إِثْماً أَنْ لا تَزالَ مُمارِياً، وَكَفَى بِكَ ظُلْماً أَنْ لا تَزالَ مُخاصِماً، وَكَفَى بِكَ كَذِباً أَنْ لا تَزالَ مُحَدِّثاً إِلاَّ حَدِيثاً فِي ذاتِ اللهِ تَعالَى»[3].

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: من كَثُرت خصومتُه لم يَسْلَم دينهُ. رواه الإمام أحمد[4].

وقال ابن شُبْرُمَة رحمه الله تعالى: من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها خصم، ولا يطيق الحق من يبالي على من به دار الأمر،

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٨٨٣). وكذا أبو داود (٤٦٠٣) بلفظ: «المراء في القرآن كفر».

(٢) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٥٤)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (١/ ٨٩).

(٣) روى الترمذي (١٩٩٤) منه «كفى بك ظلماً أن لا تزال مخاصماً» وقال: غريب.

ورواه بلفظ الأصل الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٣٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ١٢٥).

وفضل الصبر التصبر، ومن لزم العفاف هانت عليه الملوك والسُّوقة. رواه البيهقي في «الشعب»[1].

ولنا في عَقْدِه مع زيادة عليه: [من المنسرح]

مَنْ عَفَّ فِي كَسْبِهِ وَمَطْعَمِهِ ... هانَ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ وَالسُّوَقُ

وَالْحَقُّ ما اسْطاعَهُ سِوى رَجُلٍ ... لَمْ يُثْنِهِ الْخَوْفُ لا وَلا الْمَلَقُ

وَإِنْ تَصَبَّرْتَ كانَ لَكَ الصَّبْـ ... ـرُ قَرِيناً وَحَبَّذا الْخُلُقُ

وَحَيْثُ بالَغْتَ فِي الْخُصُومَةِ لَمْ ... تَسْلَمْ مِنَ الإِثْمِ هَكَذَا الْحَمَقُ

وَإِنْ تَقْصُرْ خُصِمْتَ فَالْهَ إِذَنْ ... عَنِ الْخُصُوماتِ حَتَّى يَذْهَبَ

وَلا يَغُرَّنَّكَ الْمَدِيحُ إذا ... أَثْنَى عَلَيْكَ الْوَرَى وَإِنْ صَدَقُوا

أَبْدَوْا لَكَ الْمَدْحَ ثُمَّتَ انْقَلَبُوا ... فَقَبَّحُوا فِي الثَّنا وَما رَفَقُوا

فَالْجَأْ إِلَى اللهِ إِنَّهُ الصَّمَدُ ... وَاهْرُبْ مِنَ النَّاسِ إِنَّهُمْ فُرُقُ

كُلُّ الأَذَى مِنْهُمْ إذا اعْتُبِروا ... وَالْغَيْظُ مَهْما نَظَرْتَ وَالأَرَقُ

٩ ـ ومنها: الفجور في الخصومة أو مطلقاً.

ولا شك أن المنافقين فجار، والمؤمنين أبرار.

روى الشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كانَ مُنافِقاً خالِصاً، وَمَنْ

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٦٢).

كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفاقِ حَتَّى يَدَعَها؛ إِذا اؤْتُمِنَ خانَ، وَإِذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذا عاهَدَ غَدَرَ، وَإِذا خاصَمَ فَجَرَ»[1].

١٠ ـ ومنها: التكبر عن امتثال الأمر بالتقوى، والأنفة من قبول الحق إذا دعي إليه.

بل مطلق الاستكبار من أخلاق المنافقين والفجار.

قال الله تعالى في الآية التي نزلت في الأخنس، وأمثاله من المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[البقرة: ٢٠٦].

روى البيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن من أكبر الذنب عند الله أن يقول الرجل لأخيه: اتق الله، فيقول: عليك نفسَك، أنت تأمرني[2]؟

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن: أن رجلاً قال لعمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه: اتق الله، فذهب رجل ليزجره، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: ما فينا خير إن لم نكن من التواضع، والقرب من الناس بحيث إنه يمكنهم أن يشافهونا بالنصيحة والتذكير،

---

(١) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، وأبو داود (٤٦٨٨)، والترمذي (٢٦٣٢)، والنسائي (٥٠٢٠).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٢٤٦).

والأمر بالتقوى، وما فيهم خير إن لم يكونوا من الصلابة في الدين، وقوة الإيمان، وعدم المداهنة في الحق بحيث يواجهوننا بالأمر بالتقوى[1].

وأراد عمر بقوله: (فينا) نفسَه، ومن كان مثله في الولاية من ولاة الأمور، وبقوله: (فيهم) جلساء الولاة والمترددين إليهم، وحال الولاة وأصحابهم على خلاف ذلك.

وروى ابن المنذر، والبيهقي عن سفيان قال: قال رجل لمالك ابن المِغْوَل رحمه الله تعالى: اتق الله، فسقط، فوضع خده على الأرض[2]؛ تواضعاً لله تعالى.

*** تَنْبِيهٌ:**

فَهِمَ عمر، وعلي، وابن عباس رضي الله عنهم ـ وناهيك بهم رؤوس العلم ـ من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٠٧]؛ أي: يبيع نفسه بعد قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾[البقرة: ٢٠٦] أن الناس ما دام فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مخلصاً لله تعالى يختلفون، ويقتتلون على الحق، وهو كذلك.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٥٧٥).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٢٤٧)، وكذا الطبراني في «المعجم الصغير» (٢٢٢).

فروى عبد بن حميد عن عكرمة: أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا تلا هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾[البقرة: ٢٠٤] إلى قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾[البقرة: ٢٠٧] قال: اقتتل الرجلان[١].

وروى هو والبخاري في «تاريخه»، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أنه قرأ هذه الآية فقال: اقتتلا وربِّ الكعبة[٢].

وروى عبد [بن حميد]، وابن جرير عن صالح أبي الخليل قال: سمع عمر رضي الله تعالى عنه إنساناً يقرأ هذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[البقرة: ٢٠٦] إلى قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٠٧]، فاسترجع، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ قام الرجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فقتل[٣].

وروى ابن جرير عن ابن زيد رحمه الله تعالى: أن ابن عباس قرأ هذه الآية عن عمر رضي الله تعالى عنهم فقال: اقتتل الرجال، فقال له عمر: ماذا؟

فقال: يا أمير المؤمنين! أرى هاهنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٥٧٨).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٣١٩)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٥٧٨).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٣٢٢).

العزة بالإثم، وأرى من يَشْري نفسه ابتغاء مرضاة الله؛ يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم، قال هذا: وأنا أشري نفسي، فقاتله.

فقال له عمر: لله درُّك يا ابن عباس(1)!

وصحح الحاكم عن ابن عباس قال: كنت قاعداً عند عمر إذ جاءه كتاب: أن أهل الكوفة قرأ منهم القرآن كذا وكذا، فكبر، فقلت: اختلفوا، قال: من أي شيء عرفت؟

قلت: قرأت: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، فإذا فعلوا ذلك لم يصبر صاحب القرآن.

ثم قرأت: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة: ٢٠٦] إلى قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] الآية، فقال: صدقت صدقت، والذي نفسي بيده(2).

١١ ـ ومن أخلاق المنافقين: اتباع الهوى.

قال الله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤].

روى القاضي أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي في كتاب «صفة

(1) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٣٢٠).

(2) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٣٠١).

المنافق» عن الحسن: أنه قال في هذه الآية: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[الفرقان: ٤٣]، قال: هو المنافق، لا يرى شيئاً إلا ركبه[1].

وروى عبد بن حميد عن الحسن أنه قيل له: أفي أهل القبلة شرك؟

قال: نعم، المنافق مشرك، إن المشرك يسجد للشمس والقمر من دون الله، وإن المنافق عَبَدَ هواه، ثم تلا هذه الآية[2].

وروى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تَحْتَ ظِلِّ السَّماءِ مِنْ إِلَهٍ فَيُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ هَوىً مُتَّبَعٍ»[3].

وروى أبو نعيم عن أبي قلابة رحمه الله تعالى قال: مثل أصحاب الأهواء مثل المنافقين؛ فإن الله تعالى ذكر المنافقين بقول مختلف وعمل مختلف، وجماع ذلك الضلال، وإن أهل الأهواء اختلفوا في الأهواء، واجتمعوا على السيف[4].

وأنشد ذو النون، وحماد: [من الخفيف]

---

(١) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٦٠)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٧٠٠) بمعناه.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٢٦١).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٠٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٨): فيه الحسن بن دينار، وهو متروك الحديث.

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٨٧).

قَــدْ بَقِينــا مُذَبْذَبــينَ حَيــارَى   نَطْلُبُ الصِّدْقَ مـا إِلَيْـهِ سَبِــيلُ

فَـدَواعِي الْهَـوى تخِـفُّ عَلَينــا   وَخِلافُ الْهَـوى عَلَينـا ثَقِيـلُ[1]

وروى الطبراني في «الأوسط» عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ نَفْسٍ تُحْشَرُ عَلى هَواها؛ فَمَنْ هَوِيَ الْكُفْرَ فَهُوَ مَعَ الْكُفَّارِ، وَلا يَنْفَعُهُ عَمَلُهُ شَيْئاً»[2].

* تَنْبِيهٌ:

إن قلنا بقول الحسن: إن قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[الفرقان: ٤٣] إلى آخره في المنافقين، فقد شُبِّهوا في الآية بالأنعام، ثم جعلوا أضل، ووجه جعلهم كالأنعام أنهم لا ينتفعون بالآيات التي دعوا بها إلى الله، وأن المنافق لا يهوى شيئاً إلا ركبه كما أن الأنعام كذلك.

ووجه كونهم أضل: أن الأنعام تنقاد لمتعهدها، وتُميِّز من أحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها، وتتجنب ما يضرها، والمنافقون لا ينقادون لربهم، ولا يشكرون إحسانه، ويعصونه، ويطيعون عدوه وعدوهم إلى غير ذلك.

لا جرمَ شبَّههم في موضع آخر بالجمادات، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩/ ١٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٩٧٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٥): في إسناده ضعفاء، وقد ضعفوا.

رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

قال ابن عباس في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾: نخل قيام. رواه ابن أبي حاتم[1].

وذلك أن الآية نزلت في عبدالله بن أُبَيٍّ وأصحابه، وكان جميل الصورة، حسن السيرة، وكان له ولأصحابه حلاوة لسان، فشبهوا بالنخل الطوال الحسان، إلا أنهن لا يعقلون شيئاً، ومآلهم إلى النار، فحسن الصورة والبزة والتزين في الهيئة لا تكون مكرمة في الإنسان وهو بهيمة في الأخلاق، جماد عند الاحتياج إليه.

وما أحسن قول بعض المتقدمين: [من الكامل]

أَأُخَيَّ إِنَّ مِنَ الرِّجَالِ بَهِيمَةً ... فِي صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ الْمُبْصِرِ

فَطِنٌ بِكُلِّ مُصِيبَةٍ فِي مالِهِ ... فَإِذا يُصابُ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرِ[2]

١٢ - ومن أخلاق المنافقين: الابتداع في الدين، ومجالسة المبتدعين.

روى الأصبهاني عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: إن لله ملائكة يطلبون حِلَقَ الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣٥٧).

(٢) نسب ابن عساكر البيتين لأبي عمرو العلاء، كما في «تاريخ دمشق» (٦٧/ ١١٨).

مع صاحب بدعة؛ فإن الله لا ينظر إليهم.

قال: وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة[1].

١٣ ـ ومنها: الخوض في الباطل واللعب.

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾[التوبة: ٦٥].

نزلت في رجل قال في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا، لا أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء، فلما سئل عن ذلك أجابوا بما حكى الله عنهم. كما رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهما عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما[2].

وقال قتادة: نزلت في ناس قالوا في غزوة تبوك: أيرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها، هيهات هيهات!

فقال النبي ﷺ: «قُلْتُمْ كَذا؟ قُلْتُمْ كَذا؟»

فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب. رواه ابن أبي حاتم، وغيره[3].

١٤ ـ ومنها: الوقيعة في أهل العلم، وحملة القرآن.

وهي من الكبائر، وإن كانت غيبة غيرهم من الصغائر على أصح

---

(١) ورواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٤).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٠/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٢٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٣٠).

القولين لما في حديث ابن عمر، وما حكاه عن المنافقين.

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال: ٤٩].

قال الحسن: هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسمُّوا منافقين. رواه عبد الرزاق، وغيره.

وقوله: ﴿غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾؛ أي: فرأوا أن نصرتهم يوم بدر مع قتلهم وكثرة العدو، فاغتروا بسبب دينهم، وهذا ليس من الغرور، بل من الإيمان، فسماه المنافقون غروراً، وعدُّوه عيباً على المؤمنين.

١٥ ـ ومنها: السرور بمصيبة المؤمن، والشماتة له، والحزن والمَساءة بنعمته وحسنته.

قال الله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة: ٥٠ ـ ٥١].

قال جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما: جعل المنافقون الذين تخلفوا في المدينة ـ يعني: عن تبوك ـ يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء، يقولون: إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرتهم وهلكوا، فبلغهم تكذيب حديثهم، وعافية النبي ﷺ وأصحابه، فبينما هم كذلك

فأنزل الله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾[التوبة: ٥٠]. رواه ابن أبي حاتم[١].

ولما كان اعتقاد المنافقين [كالقدريّة][٢]، لا يعتقدون أن النفع والضرر من الله تعالى، بل يشكون في ذلك.

قال الله تعـالى لنبيه آمراً له بإظهار اعتقاده: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[التوبة: ٥١].

قال مسلم بن يسار رحمه الله تعالى: الكلام في القدر واديان عريضان يهلك الناس فيهما لا يدرك غَورهما، فاعمل عمل رجل يعلم أنه لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل علم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له. رواه ابن أبي حاتم[٣].

وروى الإمام أحمد، والبزار عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَما بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الإِيْمانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ ما أَصابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَما أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»[٤].

* تَنْبِـيهٌ:

المؤمن بعكس المنافق؛ يفرح بنعمة المؤمن، ويسر بسروره،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨١٠).

(٢) بياض في «أ» و«ت»، ولعل المراد ما أثبت.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨١١).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٤١)، والبزار في «المسند» (٤١٠٧) وحسن إسناده.

ويساء بمساءته، ويحزن لمصيبته، ويهتم بهمه، ويعنى بأمره.

روى الطبراني، وأبو نعيم، والبيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ لا يَهْتَمُّ لِلْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ غَيْرُ اللهِ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»[1].

رواه الحاكم بنحوه من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه[2].

١٦ ـ ومنها: التكذيب بالخارق الذي يظهر على يد الصادق كمعجزة النبي، وكرامة الولي.

والإيمان بذلك من أصول السنة.

قال أبو تراب النخشبي رحمه الله تعالى: من لم يؤمن بكرامة الولي فقد كفر[3].

وهو على التغليظ، أو يريد كفران النعمة، أو من حيث إن كرامة الولي معجزة لنبيه، والتكذيب بالمعجزة كفرٌ حقيقة.

قال الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾[التوبة: ٦٤].

قال بعض العلماء: كانوا يظهرون الحذر من الفضيحة بالأمر

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٤٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٨٦) وقال: إسناده ضعيف.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩٠٢).

(٣) رواه القشيري في «الرسالة» (ص: ٤٠٢).

الخارق، ونزول السورة بهتك أستارهم استهزاء فلا يؤمنون بذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾.

ومثل هذا يتفق كثيراً في هذه الأزمنة من كثير من الفسقة إذا آذوا ولياً أو عالماً، أو من يستحق الإكرام والاحترام، إذا قيل له في ذلك يقول: دعه يعطبني، أو يقتلني بحاله.

وهذا من باب الاستهزاء بالمؤمنين، وهو من أخلاق المنافقين، وهو حرام، ومن باب إنكار كرامة الولي، وهي بدعة محرمة.

وكثيراً ما ينتهي أحدُ مَنْ هذا وصفُه إلى الهلاك والدمار، وخراب الديار، مع ما لعله يلقاه في دار القرار.

١٧ - ومنها: التهاون بالصلوات الخمس، أو بواحدة منها، والتشاغل عند القيام إليها، وتأخيرها إلى وقت لا يسعها، وترك الطمأنينة فيها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: ١٤٢].

قال قتادة رحمه الله تعالى: والله لولا الناس ما صلى المنافق، وما يصلي إلا رياء وسمعة. رواه ابن جرير وغيره(١).

وروى مسلم، وأبو داود عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تِلْكَ صَلاةُ الْمُنافِقِ؛ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذا

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ٣٣٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٠٩٦).

كانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيطانِ قامَ فَنقَرَ أَرْبعاً لا يَذْكُرُ اللهَ فِيها إِلاَّ قَلِيلاً»[1].

ورواه الأصبهاني، ولفظه: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِصَلاةِ الْمُنافِقِ؟ يَدَعُ الْعَصْرَ حَتَّى إِذا كانَتِ الشَّمْسُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطانٍ أَوْ عَلى قَرْنَيْ شَيْطانٍ قامَ فَنقَرَ كَنَقَراتِ الدِّيكِ لا يَذْكُرُ اللهَ فِيهِنَّ إِلاَّ قَلِيلاً»[2].

وروى الدارقطني، والحاكم وصححه، عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِصَلاةِ الْمُنافِقِ؟ أَنْ يُؤَخِّرَ الْعَصْرَ حَتَّى إِذا كانَتِ الشَّمْسُ كَثِرْبِ الْبَقَرِ صَلاَّها»[3].

وروى ابن أبي الدنيا في «الهواتف» عن عبد الملك بن عبد العزيز، وغيره قالوا: أخرَّ الوليد بن عبد الملك صلاة العصر بمِنى حتى صارت الشمس على رؤوس الجبال كالعمائم على رؤوس الرجال، فسمع صائحاً من الجبل: صلِّ لا صلى الله عليك، صلِّ لا صلى الله عليك[4].

* تَنْبِيهٌ:

روى أبو الشيخ في «الثواب» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فِي السِّرِّ رُفِعَ عَنْهُ اسْمُ النِّفاقِ».

---

(١) رواه مسلم (٦٢٢)، وأبو داود (٤١٣).

(٢) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٤٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٦٠).

(٣) رواه الدارقطني في «السنن» (١/٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٠٢). والثِّرْب: شحم رقيق على الكرش والأمعاء.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٦٩).

والمعنى أن الصلاة في السر أقرب إلى الإخلاص في العبودية، فإذا صلى العبد في السر كانت طاعة خالصة محضة، بها يحصل حقيقة الشكر المستوجب للزيادة، والزيادة من الإخلاص، فخلص من النفاق.

ثم نظير ذلك في امتحان نفسك في الإخلاص أن تنظر إلى ما بين حالك في الملأ، وحالك في الخلاء من اختلاف صلاتك وسائر عباداتك؛ إن أديتها في السر أحسن منها في العلانية، أو مثلها فأنت مخلص، وإلا فمُراءٍ ومستهزىء كما روى أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَسَّنَ الصَّلاةَ حَيْثُ يَراهُ النَّاسُ وَأَساءَها مِنْ حَيْثُ يَخْلُو، فَتِلْكَ اسْتِهانَةٌ اسْتَهانَ بِها رَبَّهِ»(١).

وليس وراء الاستهانة بأمر الله تعالى نفاقٌ، كما ليس مثل تعظيم الله تعالى وتعظيم أمره إيمانٌ.

* **تَنْبِيهٌ ثانٍ:**

على ذكر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾[النساء: ١٤٢] روى أبو الشيخ، وابن عساكر عن جابر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فِي خَلاءٍ لا يَراهُ إِلاَّ اللهُ وَالْمَلائِكَةُ كانَتْ لَهُ بَراءَةٌ مِنَ النَّارِ»(٢).

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٥١١٧)، وكذا عبد الرزاق في «المصنف» (٣٧٣٨). قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٧/ ٣٢٥): فيه إبراهيم بن مسلم الهجري، ضعف.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ١٩٧).

وروى ابن أبي الدنيا في «الصمت»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس: أنه كان يكره أن يقول الرجل: إني كسلان، ويتأول هذه الآية[1].

ومعناه أنه كان يكره ذلك تباعداً بالعبد عن إطلاق لفظٍ وَصَفَ الله تعالى به المنافقين على نفسه تبرِّياً من النفاق.

١٨ ـ ومن أخلاق المنافقين: القعود عن الجماعة، وعن شهود الجماعة في المسجد.

روى مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهن؛ فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته تركتم سنة نبيكم ﷺ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمَدُ إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحُطُّ عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا ولا يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف الأول، ولو صليتم في بيوتكم وتركتم مساجدكم

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٢٠٠)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨١٣).

تركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لكفرتم[1].

وروى الإمام أحمد، والطبراني عن معاذ بن أنس رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «الْجَفا كُلُّ الْجَفا، وَالْكُفْرُ وَالنِّفاقُ مَنْ سَمِعَ مُنادِيَ اللهِ يُنادِي إِلَى الصَّلاةِ فَلا يُجِيبُهُ»[2].

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَثْقَلُ الصَّلاةِ عَلى الْمُنافِقِينَ صَلاةُ الْعِشاءِ وَصَلاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما فِيهِما لأَتَوْهُما وَلَوْ حَبْواً، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَتُقامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ رِجالٌ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»[3].

روى الشافعي عن عبد الرحمن بن حرملة مرسلاً: أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَنا وَبَيْنَ الْمُنافِقِينَ شُهُودُ الْعِشاءِ وَالصُّبْحِ، لا يَسْتَطِيعُونَهُما»، أو نحو هذا[4].

---

(١) رواه مسلم (٦٥٤)، وأبو داود (٥٥٠)، والنسائي (٨٤٩)، وابن ماجه (٧٧٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٨٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٤٢): فيه زبان بن فائد؛ ضعفه ابن معين، ووثقه أبو حاتم.

(٣) رواه البخاري (٦٢٦)، ومسلم (٦٥١).

(٤) رواه الإمام الشافعي في «المسند» (ص: ٥٢)، ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٣٠) عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب.

وروى البزار، والطبراني، وابن خزيمة في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا الظن فيه[1].

وروى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى قال: والله إني لأجد صفة المنافقين في التوراة: شرَّابين للقهوات، تبَّاعين للشهوات، لعَّابين بالكعبات، رقَّادين عن العتمات، مفرطين في الغدوات، ترَّاكين للصلوات، ترَّاكين للجماعات، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾[مريم: ٥٩][2].

قوله: شرَّابين للقهوات، جمع قهوة، وهي من أسماء الخمر، فأشار إلى أن من أخلاق المنافقين إدمان شربها.

وأما إطلاق القهوة على المتخذة من البُن أو من قشره فإنه عرف حادث حدث بعد التسعمئة من الهجرة.

ويجوز أن يكون مراداً بما ذكره كعب عن كتاب الله تعالى التوراة، ويكون ذلك من باب إخبار الله تعالى بما يصير بعد، ولا يرد ذلك بأن قهوة البن مباحة بإجماع العلماء إلا قليلاً منهم أنكرها في أول خروجها، ثم تبين لأكثرهم إباحتها؛ إذ قد يكون من أخلاق المنافقين وأعمالهم

---

(١) رواه البزار في «المسند» (٥٨٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠٨٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٤٨٥).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٢٦).

ما ليس بحرام، فهو من قبيل اتباع الشهوات المعطوف عليها؛ إذ ليس كل شهوة حرام.

وقوله: رقَّادين عن العتمات، جمع عتمة، وهي صلاة العشاء.

وقوله: مفرطين في الغدوات، جمع غدوة، والمراد صلاة الغداة، وهي الصبح، وقد تقدم في حديثه ﷺ أنها أثقل الصلوات على المنافقين.

* تَنْبِيهٌ:

المحافظة على الجماعة من أخلاق المؤمنين كما علمت مما ذكرته آنفاً، وأوغل ما يكون المؤمن في الإيمان ما حافظ على التكبيرة الأولى مع الإمام.

وبعض السلف فاتته التكبيرة مع الإمام مرة فأعتق رقبة، فإن لم يتيسر له إدراك التكبيرة الأولى فالركعة الأولى لأنه - وإن أدرك الجماعة بإدراك بعض الصلاة مع الإمام - فإن إدراكها في الكل أتم.

روى عبد الرزاق عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ تَفُتْهُ الرَّكْعَةُ الأُوْلَى أَرْبَعِينَ صَباحاً كُتِبَ لَهُ بَراءَتانِ؛ بَراءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَراءَةٌ مِنَ النِّفاقِ»[1].

ورواه ابن ماجه عن عمر رضي الله تعالى عنه، ولفظه: «مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدٍ جَماعَةً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لا تَفُوتُهُ الرَّكْعَةُ الأُولَى مِنْ صَلاةِ الْعِشاءِ

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠١٩).

كَتَبَ اللهُ لَهُ بِها عِتْقاً مِنَ النَّارِ»[1].

١٩ ـ ومن أخلاق المنافقين: خروج من أدركه الأذان وهو في المسجد من المسجد قبل الصلاة إلا لعذر.

روى ابن ماجه عن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَدْرَكَهُ الأذانُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ خَرَجَ لَمْ يَخْرُجْ لِحاجَتِهِ، وَهُوَ لا يُرِيدُ الرَّجْعَةَ، فَهُوَ مُنافِقٌ»[2].

وروى أبو داود في «مراسيله» عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنَ الْمَسْجِدِ بَعْدَ النِّداءِ إِلاَّ مُنافِقٌ؛ إِلاَّ لِعُذْرٍ، أَخْرَجَتْهُ حاجَةٌ»[3].

---

(١) رواه ابن ماجه (٧٩٨)، وبمعناه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٨٧٦)، كلاهما عن أنس، عن عمر رضي الله عنهما.
وأشار إليه الترمذي (٢٤١) وقال: هذا حديث غير محفوظ، وهو حديث مرسل، وعمارة بن غزية لم يدرك أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه (٧٣٤) وفي سنده ضعيف، لكن روى مسلم (٦٥٥) بمعناه عن أبي الشعثاء قال: كنا قعوداً في المسجد مع أبي هريرة فأذن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ.

(٣) رواه أبو داود في «المراسيل» (ص: ٨٤)، وكذا عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٤٦).

٢٠ ـ ومنها: ترك الصف الأول رغبة عنه إلا لعذر.

قال القاضي عياض في حديث مسلم، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجالِ أَوَّلُها، وَشَرُّها آخِرُهَا»[١]: قد يكون سماه شراً لمخالفة أمره فيها عليه الصلاة والسلام، وتحذيراً من فعل المنافقين لتأخرهم عنه وعن سماع ما يأتي به، انتهى.

قلت: والذي يظهر أن الذي كان من أفعال المنافقين إنما هو اتخاذ التأخر عن الصف الأول عادة رغبة عنه، وعن القرب من الإمام بدليل حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يَزالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الأَوَّلِ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ إِلَى النَّارِ». رواه ابن ماجه[٢].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي سعيد رضي الله عنه نحوه[٣].

٢١ ـ ومنها: أن يعتاد أن لا يهتم بتكبيرة الإحرام.

وقد علمت أن الاهتمام بها من أخلاق المؤمنين، ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَ لَهُ بَراءَتانِ؛ بَراءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَراءَةٌ مِنَ النِّفاقِ». رواه الترمذي ووقفه

---

(١) رواه مسلم (٤٤٠)، والترمذي (٢٢٤).

(٢) ورواه أبو داود (٦٧٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٥٩).

(٣) رواه مسلم (٤٣٨)، وكذا ابن ماجه (٩٧٨).

عن أنس، وأخرجه البيهقي في «الشعب» مرفوعاً[1].

ووجهه أنه إذا لازم على تحصيل تكبيرة الإحرام [. . .][2]، صار عادة له، فيبرأ من النفاق؛ لأن ترك الاهتمام بها يؤدي إلى ترك الاهتمام بأصل الصلاة، وهو من خلق المنافقين.

ومن ثم قال إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يديك منه[3].

٢٢ ـ ومنها: ترك صلاة الجمعة ثلاثاً وَلاَءً لغير عذر، وإن صلاها ظهراً.

روى ابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحيهما» عن أبي الجعد ـ وكانت له صحبة ـ رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَرَكَ صَلاةَ الْجُمُعَةِ ثَلاثاً مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَهُوَ مُنافِقٌ»[4].

وروى الطبراني في «الكبير» عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ ثَلاثَ جُمُعاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ كُتِبَ مِنَ الْمُنافِقِينَ»[5].

وروى أبو يعلى، والمروزي في كتاب «الجمعة» عن محمد بن

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١) مرفوعاً وموقوفاً، ورجح الموقوف، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٨٧٢).

(٢) كلمة غير واضحة في «أ» و«ت».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٣٢).

(٤) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٨).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٢٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٩٣): فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف عند الأكثرين.

عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن عمه رضي الله تعالى عنه قال: من ترك الجمعة ثلاثاً طُبع على قلبه، وجعل قلبه قلب منافق[1].

وروى الشافعي، والبيهقي في «المعرفة» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ كُتِبَ مُنافِقاً»[2].

لم يقل في هذه الرواية: ثلاثاً.

٢٣ ـ ومنها: ثقل قراءة القرآن أو سماعه على القلب، والثاني أقبح.

روى ابن أبي شيبة، وأبو نعيم عن أبي الجوزاء رحمه الله تعالى قال: نقل الحجارة أيسر على المنافق من قراءة القرآن[3].

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] ففيه أوجه:

أحدها: أن العمل به ثقيل، كما أخرجه ابن المنذر، ومحمد بن نصر عن الحسن[4].

---

(١) قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٥٣): رواه المروزي في كتاب «الجمعة» وأبو يعلى، ورواته ثقات.

(٢) رواه الشافعي في «مسنده» (ص: ٧٠)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٢/ ٥٢٧) (١٨٠٩). قال الشافعي: وفي بعض الحديث: «ثلاثاً».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٠٦٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٨٠).

(٤) رواه محمد بن نصر كما في «مختصر قيام الليل» (ص: ٨)، وكذا الطبري في «التفسير» (٢٩/ ١٢٧).

والثاني: أنه ثقيل في الميزان يوم القيامة، أخرجه ابن المنذر أيضاً، وابن جرير عن الحسن أيضاً[1].

والثالث: أن المراد بثقله: ما كان يأخذ النبي ﷺ عند وحيه إليه؛ فإنه ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها[2]، فما تستطيع أن تتحرك حتى يُسَرَّى عنه.

وتلت عائشة رضي الله عنها ـ وهي التي روت هذا الحديث ـ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[المزمل: ٥] رواه الإمام أحمد، وغيره، وصححه الحاكم[3].

الرابع: أنه ثقيل على المنافق وإن كان المؤمنون يستسهلونه، ونظيره: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[البقرة: ٤٥]، وهذا يوافق ما نقلناه عن أبي الجوزاء.

الخامس: أن قوله: ﴿ثَقِيلًا﴾[المزمل: ٥] يعني: تاماً كاملاً من قولهم: دينار ثاقل؛ أي: كامل الوزن.

السادس: أنه بمعنى عظيماً كما يقال: فلان ملك ثقيل؛ أي: عظيم.

السابع: أنه نفيس، جليل المقدار، عظيم الخطر كما فسر به صاحب «النهاية» الحديث: «إِنِّي تارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ؛ كِتابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي»[4].

---

(١) ورواه محمد بن نصر كما في «مختصر قيام الليل» (ص: ٨).

(٢) الجران: باطن العنق مما يلي الأرض.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٦٥).

(٤) رواه مسلم (٢٤٠٨) بأطول من هذا عن زيد بن أرقم رضي الله عنهما.

قال: سماها ثقلين لعظم قدرهما، يقال لكل نفيس خطير: ثقيل[1].

الثامن: أن يكون معناه مصوناً عن التبديل والتحريف، فقد حكى في «القاموس» أن الثقيل كل نفيس مصون، وحمل عليه الحديث[2].

*** تَنْبِيهٌ:**

لا يقرأ المنافق القرآن ولا يثقل عليه لمحل نظر الناس إليه، وهذا لا يناقض ما رويناه عن أبي الجوزاء؛ لأن ثقله عليه حيث فقد المعنى المذكور هو أغلب أحواله، ومتى قرأ على وجه العبادة خالياً عن نظر الناس ثقل عليه واشتد، وكذلك حاله في سائر أعمال البر من الصلاة، والإيمان، والإقامة، والصيام، والحج، والعمرة، والصدقة، وغيرها؛ فإنها تخف على المنافق وترتاح نفسه إليها حين يكون بمَرْأى من الناس ومسمَع، وتثقل حيث يفقد هذا المعنى، ومن هنا فضل عمل السر على العلانية، وقال رسول الله ﷺ: «يُؤَذِّنُ الْمُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلاةَ قَومٌ وَما هُمْ بِمُؤْمِنينَ». رواه الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما[3].

٢٤ ـ ومن أخلاق المنافقين: الإقلال من ذكر الله تعالى.

قال الله تعالى في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: ١٤٢].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٢١٦).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٢٥٦) (مادة: ثقل).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٢٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١١٣): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه رجل لم يسم.

قال الحسن رحمه الله تعالى في الآية: إنما قل لأنه كان لغير الله. رواه ابن أبي شيبة[1].

ورواه ابن سعد في «طبقاته»، ولفظه: يكثر التقنع[2].

مع أخبار أخرى استوفاها السيوطي في جزء ألفه في الطيلسان.

والحق أنه لا تعارض بينهما وبين ما سبق؛ فإن الاستغشاء والتقنع والاستخفاء تارة يكون لغرض صحيح كالحياء من الله تعالى، أو من الناس، وحفظ البصر عن فضول النظر، والاستخفاء من عدو يقصده، أو عدو يبصره وهو مصر، أو للتدري من ريح أو برد، وغير ذلك؛ فهذا مباح، بل سنة.

وعليه: يحمل ما جاء في «الإرشاد»: أن التقنع تارة يكون لغرض فاسد كالاستخفاء في ريبة، أو لختل معصوم، أو من غريمه وهو موسر، وعليه حمل الحديث عن لقمان، ومنه كان استغشاء المنافقين كما حمل الآية عليه عبدالله بن شداد بن الهاد.

ومن الأول: استغشاء المؤمنين من الصحابة وغيرهم كما روى ابن أبي شيبة، والبيهقي في «الشعب» عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه خطب فقال: يا معشر المسلمين! استحيوا من الله؛ فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعاً

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣١٨).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٦٠).

بثوبي استحياءً من الله تعالى.

ولفظ ابن أبي شيبة: مغطياً رأسي[1].

وروى ابن عدي في «الكامل» عن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَغْطِيَةُ الرَّأْسِ بِالنَّهارِ فِقْهٌ، وَبِاللَّيْلِ رِيْبَةٌ»[2].

وروى ابن سعد عن حارثة بن مصعب قال: كان طاوس يتقنع، فإذا كان الليل حَسَر[3]؛ أي: كشف القناع.

٢٥ - ومن أعمال المنافقين، وأخلاقهم: البَذَاء والفحش، والبيان كل البيان، وتشقيق الكلام.

روى الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «الْحَياءُ وَالْعَيُّ شُعْبتانِ مِنَ الإِيْمانِ، وَالبَذاءُ وَالبَيانُ شُعْبَتانِ مِنَ النِّفاقِ»[4].

٢٦ - ومنها: كثرة الخصومات والمحاربات، والوكالة في

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٣٢).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٩).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ٥٣٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٩)، والترمذي (٢٠٢٧) وقال: حسن غريب، والحاكم في «المستدرك» (١٧).

الخصومة لغير غرض صحيح، ومشارَّة الناس خصوصاً إذا كان ذلك ممن له علم.

روى اللالكائي في «السنة» عن الأحنف بن قيس رضي الله تعالى عنه قال: لكثرة الخصومات تورث النفاق في القلب[1].

وعن جعفر بن محمد رحمهما الله تعالى قال: إياكم والخصومات في الدين؛ فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق[2].

وروى ابن عدي عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الكَذِبَ مِنْ أَبْوابِ النِّفاقِ، وَإِنَّ آيَةَ النِّفاقِ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ جَدِلاً خَصِيماً»[3].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم وصححاه، عنه: أن النبي ﷺ قال: «ما ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى إِلاَّ أُوْتُوا الْجَدَلَ»، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨][4].

وروى ابن أبي الدنيا في «المداراة» عن ابن عباس رضي الله تعالى

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٢٩).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٢٨).

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٢٩).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٢)، والترمذي (٣٢٥٣) وقال: حسن صحيح، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٧٤)، وكذا ابن ماجه (٤٨).

عنهما: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمشارَّةَ النَّاسِ؛ فَإِنَّها تَدْفِنُ الْمَبَرَّةَ، وَتُظْهِرُ العَوْرَةَ»[1].

وقال الماوردي في كتاب «أدب الدين والدنيا»: قال بعض الأدباء: ارْثُ لِروضَةٍ تَوَسَّطَها خنزير، وابْكِ لعلمٍ حواه شرير، انتهى[2].

وقلت في عقده: [من الرجز]

ارْثُ لِرَوْضَـــةٍ أَواهـــا خِنْزِيـــرْ وَابْـكِ لِعِلْـمٍ قَـدْ حَـواهُ شِـرِّيرْ
وَاحْذَرْ مِـنَ الـشَّرِّ وَأَنْـتَ عـالِمٌ وَانْظُـرْ فَمـا أَقْـبَحَ هَـذا التَّنْفِيـرْ

روى البخـاري في «التـاريخ» عن جـابر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «شِرارُ النَّاسِ شِرارُ الْعُلَماءِ فِي النَّاسِ»[3].

وفي حديث الأحوص بن حكيم، عن أبيه مرسلاً: أنه ﷺ سئل عن شرار الخلق فقال: «اللَّهُمَّ غُفْراً» حتى كرر عليه فقال: «الْعُلَماءُ إِذا فَسَدُوا».

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ١١٢)، وكذا الطبراني في «المعجم الصغير» (١٠٥٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٧٥): رواه الطبراني عن شيخه محمد بن الحسن بن هريم، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٩٤).

(٣) ورواه بهذا اللفظ البزار في «المسند» (٢٦٤٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٤٢) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وفي رواية «عُلَماءُ السُّوءِ»[1].

وروى ابن عدي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَخْوَفُ ما أَخافُ عَلى أُمَّتِي كُلُّ مُنافِقٍ عَلِيمِ اللِّسانِ»[2].

٢٧ ـ ومنها: التلاعن والتساب، والغلول والانتهاب، واللغط في المساجد، والصخب في الأسواق، والاستكبار، وإتيان الصلاة آخر الناس، بل والتكاسل عن كل خير ـ أي: وقته ـ إيثاراً للدَّعة، واعتزازاً بالصحة والقوة والغنى.

روى الإمام أحمد، ومحمد بن نصر المروزي في «الصلاة»، والبيهقي في «الشعب»، والأصبهاني في «الترغيب» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلْمُنافِقِينَ عَلاماتٍ يُعْرَفُونَ بِها؛ تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةٌ، وَطَعامُهُمْ نُهْبَةٌ، وَغَنِيمَتُهُمْ غُلُولٌ، لا يَقْرَبُونَ الْمَساجِدَ إِلاَّ هُجْراً، وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ دَبْراً مُتَكَبِّرِينَ، لا يَأْلَفُونَ وَلا يُؤْلَفُونَ، خُشُبٌ بِاللَّيْلِ، صُخُبٌ بِالنَّهارِ»[3].

---

(١) ورواه الدارمي في «السنن» (٣٧٠) بلفظ: «شر الشر شرار العلماء، وإن خير الخير خيار العلماء».

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠٤)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٢)، وابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ١١٠). قال الدارقطني في «العلل» (٢/ ٢٤٦) ما ملخصه: روي مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف أشبه بالصواب.

(٣) تقدم تخريجه.

قوله: «لا يَقْرَبُونَ الْمَساجِدَ إِلاَّ هُجْراً» ـ بضم الهاء، وإسكان الجيم ـ كما ضبطه ابن قتيبة، وقال: هو الخنا، والقبيح من القول[1].

وعليه فقوله: «هجراً» مصدر في موضع الحال؛ أي: هاجرين مُفْحشي القول.

وبعضهم يرويه: هجراً ـ بالفتح ـ أي: تركاً، فالاستثناء منقطع؛ أي: لا يأتونها، لكنهم يتركونها.

والوجهان ذكرهما صاحب «النهاية» في حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: وَلا يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ إِلاَّ هَجْراً[2].

وقد رواه الإمام أحمد في «الزهد»، وغيره عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: مالي أرى علماءكم يذهبون وأرى جهالكم لا يتعلمون؟

تعلموا العلم قبل أن يرفع؛ فإن رفع العلم ذهاب العلماء.

مالي أراكم تحرصون على ما قد تكفل لكم به، وتضيعون ما وُكلتم به؟

لأنا أعلم بشراركم من البيطار بالخيل؛ هم الذين لا يأتون الصلاة إلا دبراً، ولا يسمعون القرآن إلا هجراً[3].

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٢٧٣).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٢٤٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٤٤).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن سعيد بن مسروق قال: قدمت الدهاقين الكوفة على عهد ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، فجعلوا يتعجبون من صحتهم وحسن ألوانهم، فقال ابن مسعود ﷺ: ما تعجبون؟ تلقون المؤمن أصح شيء قلباً، وأمرض شيء جسماً، وتلقون الفاجر أو المنافق أصح شيء جسماً، وأمرضه قلباً؟ والله لو صحت أجسامكم ومرضت قلوبكم لكنتم أهون على الله من الجعلان[1].

وروى ابنه في «زوائده» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: لا تلقى المؤمن إلا شاحباً، ولا تلقى المنافق إلا وابصاً[2].

الشاحب ـ بالحاء المهملة ـ: المتغير اللون، والشحب لعارض كالمرض، والخوف، والحزن، والسفر[3].

والوابص ـ بالموحدة والمهملة ـ: من الوبيص، وهو البريق[4].

٢٨ ـ ومنها: التربص بالمؤمنين ولو بواحد منهم، وانتظار وقوع النوائب بهم، والشماتة بهم ـ وهو من الاغترار بالله ـ والأمن من مكر الله، والحسد، والحقد، وغير ذلك من قبائح القلوب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٦٣).

(٢) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٢٧٢).

(٣) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١/ ٤٨٥) (مادة: شحب).

(٤) انظر: «الفائق» للزمخشري (٤/ ٣٩).

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾[النساء: ١٤٠ ـ ١٤١].

قال مجاهد: هم المنافقون يتربصون بالمؤمنين. رواه ابن جرير، وابن المنذر[1].

٢٩ ـ ومنها: التمرد ـ وهو الإقدام ـ والعتو، والأَشَر، والبغي، والسعي في ضرر المسلمين، وقصدهم بالأذى، والتشرر عليهم، وتكرر ذلك من المرء حتى يتقى ويحذر، ويترك، أو يدارى اتقاء شره.

قال الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾[التوبة: ١٠١]؛ أي: مهروا فيه، واستمروا عليه مقدمين.

روى أبو نعيم عن صفوان بن عسال رضي الله تعالى عنه: قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فأقبل رجل، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال: «بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَبِئْسَ الرَّجُلُ».

ثم أدنيت مجلسه، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ مُنافِقٌ أُداريهِ عَنْ نِفاقِهِ، فَأَخْشَى أَنْ يُفْسِدَ عَلى غَيْرِهِ»[2].

وروى الإمام مالك في «الموطأ» عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على النبي ﷺ رجل فقال: «بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ»، ثم أمر بوسادة فألقيت له، فقام، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها لما خرج: يا رسول الله! قلت: «بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ»، ثم أمرت من يلقى إليه الوسادة؟

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٧١٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٩١) وقال: غريب.

فقال: «مِنْ أَشْرارِ النَّاسِ مَنْ يُكْرِمُونَهُمُ اتِّقاءَ شَرِّهِمْ»[1].

وتقدم بنحوه، وهو في «الصحيحين».

ومن ألفاظه: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَومَ القِيامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقاءَ فُحْشِهِ». أخرجه الشيخان، وأبو داود، والترمذي[2].

وروى ابن أبي الدنيا في «الغيبة» عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «شَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيامَةِ مَنْ يُخافُ لِسانُهُ، أَوْ يُخافُ شَرُّهُ»[3].

وأخرجه الطبراني في «الأوسط»، ولفظه: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَومَ القِيامَةِ مَنْ يَخافُ النَّاسُ شَرَّهُ»[4].

٣٠ ـ ومنها: إرادة الفتنة بالمسلمين، وتخذيلهم، وولاية أعدائهم عليهم.

قال الله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾[التوبة: ٤٧]؛ أي: أسرعوا ركائبهم تخذيلاً وإظهاراً للهزيمة،

---

(١) ذكره الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٠٣) بلاغاً بمعناه. وهو بهذا اللفظ عند أبي نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٣٥).

(٢) رواه البخاري (٦٧٨٠)، ومسلم (٢٥٩١)، وأبو داود (٤٧٩١)، والترمذي (١٩٩٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ٣٥).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٣٠٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧): فيه عثمان بن مطير، وهو ضعيف جداً.

أو أسرعوا بينكم بالإفساد كما تقدم.

﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وفيكم سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٧ ـ ٤٨].

نزلت في عبدالله بن أُبَيٍّ، وأصحابه المنافقين؛ انصرفوا عن النبي ﷺ يوم أحد، وتخلفوا عنه في غزوة تبوك خذلاناً له، وطلباً للفتنة[١].

وروى أبو القاسم الرافعي في «تاريخ قزوين» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْفِتْنَةُ نائِمَةٌ؛ لَعَنَ اللهُ مَنْ أَيْقَظَها»[٢].

وروي نعيم بن حماد في «الفتن» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ: «الْفِتْنَةُ راتِعَةٌ فِي بِلادِ اللهِ، نَطَأُ فِي خِطامِها، لا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يُوْقِظَها، وَيْلٌ لِمَنْ أَخَذَ بِخِطامِها»[٣].

٣١ ـ ومنها: أن المنافق يرى أنه في فتنته على الحق، وأن خصمه المحق هو المفتتن.

ومن هنا استعاذ النبي ﷺ من الفتنة، وقال: «إِنَّ السَّعِيْدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ»[٤].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ١٤٤).

(٢) رواه الرافعي في «تاريخ قزوين» (١/ ٢٩١).

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ٣١).

(٤) رواه أبو داود (٤٢٦٣) عن المقداد بن الأسود ﷺ.

وذلك لأن الفتنة تبدو مشبهة، ثم ينحل أمرها.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[التوبة: ٤٩].

نزلت في الحر بن قيس حين قال النبي ﷺ: «يا حُرُّ بْنَ قَيْسٍ! ما تَقُولُ فِي مُجاهَدَةِ بَنِي الأَصْفَرِ؟».

فقال: يا رسول الله! إني امرؤ صاحب نساء، ومتى أرى نساء بني الأصفر أفتتن. أخرجه الطبراني عن ابن عباس(١).

وأخرج عنه أيضاً أن النبي ﷺ قال: «اغْزُوا تَغْنَمُوا بَناتِ بَنِي الأَصْفَرِ»؛ يعني: الروم.

فقال ناس من المنافقين: إنه ليفتنكم بالنساء، فنزلت(٢).

وروى سعيد بن منصور عن أبي عمرو الشيباني رحمه الله تعالى ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نالَ قَوْمٌ بِفِتْنَةٍ إِلاَّ أُوْتُوا بِها جَدَلاً، وَما نالَ قَوْمٌ فِي فِتْنَةٍ إِلاَّ كَانُوا لَها حزراً، إِنْ كانَتِ الْفِتْنَةُ إِثْماً قاطِعةً حاصِدَةً، وَهُمْ مَحْصُودُونَ بِها»(٣).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٥٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٠): فيه يحيى الحماني، وهو ضعيف.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٥٢)، وكذا البزار في «المسند» (٤٨٩٩) وقال: هذا الحديث لا نعلم له طريقاً غير هذا، وإبراهيم بن عثمان لين الحديث، وإنما نذكر من حديثه ما لا نحفظه إلا عنه.

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٣٨٦).

وهو معنى ما اشتهر على الألسنة: لا تكرهوا الفتن؛ فإن بها حصاد المنافقين.

وقد أنكر هذا اللفظ الأئمة.

نعم، روى ابن أبي شيبة، وأبو نعيم، والديلمي عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَكْرَهُوا الْفِتْنَةَ فِي آخِرِ الزَّمانِ؛ فَإِنَّها تبيرُ الْمُنافِقِينَ»[1]؛ أي: تهلكهم.

قال السخاوي: وهو ضعيف، انتهى[2].

قلت: والحكمة في ذلك أن تبير الفتنة إنما يتبر بها ليتبر مال غيره أو نفسه، فعادت عليه الإبارة والإهلاك عقوبة له، وهذا قد يشاهد في الفتن كثيراً.

٣٢ ـ ومنها: الخديعة، والمكر، واللؤم.

وهما من الكبائر.

قال الله تعالى في المنافقين: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ٩].

وروى البيهقي في «الشعب» عن قيس بن سعد رضي الله تعالى

---

(١) رواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٧٦)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٧٣٩٠). قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٤): رواه أبو نعيم وفي سنده ضعيف ومجهول، ونقل عن ابن بطال رد الحديث.

(٢) انظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٧٢٢).

عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ»[1].

وأجاد أبو العتاهية في قوله: [من الخفيف]

لَيْسَ دُنْياً إلاَّ بِـدِيْنٍ وَلَـيْسَ الـدِّ ... يــنُ إلاَّ مَكــارِمَ الأَخْــلاقِ

إِنَّما الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَـةُ فِـي النَّـا ... رِ هُما مِنْ خِصالِ أَهْلِ النِّفاقِ[2]

وروى أبو داود، والترمذي، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيْمٌ، وَالْمُنافِقُ خَبٌّ لَئِيمٌ»[3].

والخب ـ بالفتح، وقد تكسر ـ: الْخَدَّاع الذي يسعى بين الناس بالفساد.

واللئيم من اللؤم، وهو ضد الكرم، وهو وإن كان خلقاً فقد يحصل بالتكلف والتقصد، وقد يكون طبيعة فيجتهد الإنسان في التبري منها، وتكلف الكرم، وهذا من خلق المؤمن كما أن ضده من خلق المنافق.

٣٣ ـ ومنها ـ ويدخل في ابتغاء الفتنة ـ: تتبع زلات العلماء.

وهو على قسمين:

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٦٨)، وكذا ابن عدي في «الكامل» (٢/ ١٦١). قال ابن حجر في «فتح الباري» (٤/ ٣٥٦): إسناده لا بأس به.

(٢) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٢٤/ ٣٣٤).

(٣) تقدم تخريجه.

- تتبع رخص العلماء وزلاتهم ليحتج بها على معصية الله تعالى، وهو حرام.

- وتتبع سقطات العلماء، وإظهارها، وإشاعتها لتنفير الناس عنهم وعن الاقتداء بهم.

وكلاهما من أخلاق المنافقين.

وقد روى الإمام أحمد، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ لِيَسْمَعَ الْحِكْمَةَ وَلا يُحَدِّثُ عَنْ صاحِبِهِ إِلاَّ بِشَرٍّ ما يَسْمَعُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى راعِياً فَقالَ: يا راعِي! اجْزُرْ لِي شَاةً مِنْ غَنَمِكَ، قالَ: اذْهَبْ فَخُذْ بِأُذُنِ خَيْرِها شَاةً، فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلْبِ الْغَنَمِ»[1].

وقال الشعبي رحمه الله تعالى: لو أصبت تسعاً وتسعين، وأخطأت واحدة، لأخذوا الواحدة وتركوا التسع والتسعين[2].

٣٤ - ومنها: الخيانة والكذب - ولاسيما مع اليمين والحلف - وعصيان أولي الأمر، والخروج عليهم.

قال الله تعالى في المنافقين: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[التوبة: ٤٢].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٢٠).

وقال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[التوبة: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧]

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾[المنافقون: ١ ـ ٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾[النساء: ١٠٧ ـ ١٠٨].

نزلت في طعمة بن أبيرق؛ كان من الأنصار، ثم من بني ظفر، سرق درعاً لعمه كانت وديعة عندهم، ثم ألقاها في بيت يهودي، فهم النبي ﷺ بعذره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾[النساء: ١٠٧ ـ ١١٢].

فلما بيَّن الله تعالى شأن طعمة نافق ولحق بالمشركين. أخرجه ابن المنذر، وابن جرير عن قتادة[1].

وروى الشيخان، والترمذي، والنسائي عن أبي هريرة رضي الله

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ٢٧١).

تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آيَةُ الْمُنافِقِ ثَلاثَةٌ: إِذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذا اؤْتُمِنَ خانَ»[1].

وروى القاضي أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي في كتاب «صفة المنافق» عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ثلاث من كن فيه فهو منافق؛ منها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان.

ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ [التوبة: ٧٥] الآية[2].

ورواه مرفوعاً، وهو في «الصحيحين» بزيادة[3].

وروي بألفاظ من طرق عن ابن مسعود، وأنس، وغيرهما[4].

وروى الخرائطي عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْكَذِبَ بابٌ مِنْ أَبْوابِ النِّفاقِ»[5].

وروى البيهقي في «الشعب» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن

---

(١) رواه البخاري (٥٧٤٤)، ومسلم (٥٩)، والترمذي (٢٦٣١)، والنسائي (٥٠٢١).

(٢) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٤٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: «صفة المنافق» للفريابي (ص: ٤٦ ـ ٤٨).

(٥) رواه الخرائطي في «مساوىء الأخلاق» (١/ ١١٧)، وكذا ابن عدي في «الكامل» (١/ ٢٩).

النبي ﷺ قال: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلى كُلِّ خُلُقٍ لَيْسَ الْخِيانَةَ وَالْكَذِبَ»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال: الكذب يجانب الإيمان[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن قال: الكذب جماع النفاق[3].

وروى أبو الحسن بن قانع في «معجم الصحابة» عن ثعلبة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَيُّ امْرِىءٍ اقْتَطَعَ مالَ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كاذِبَةٍ كانَتْ نُكْتَةً سَوْداءَ أَوْ نِفاقاً فِي قَلْبِهِ، لا يُغَيِّرُها شَيْءٌ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ»[4].

وروى الفريابي عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: المنافق الذي إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا غنم غَلَّ، وإذا أمر عصى، وإذا لقي جبن؛ فمن كن فيه ففيه النفاق كله،

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨١١)، وكذا ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٥٣)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٢٣) وقال: الوصافي ضعيف جداً.

وللحديث شواهد ورجح البيهقي وقفه.

(٢) وانظر: «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٦/ ١٠١٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٧٨).

(٤) رواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (١/ ١٢١)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٠٠).

ومن كان فيه بعضهن ففيه بعض النفاق[1].

* **تَنْبِيهاتٌ:**

الأَوَّلُ: الكذب لا يختص باللسان.

قال الله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[يوسف: ١٨].

وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أفلِّي رأس أخي عبد الرحمن، وأنا أُفقِّع أظفاري على غير شيء؛ قال: «مَهْلاً يا عائِشَةُ، أَما عَلِمْتِ أَنَّ هَذا مِنْ كَذِبِ الأَنامِلِ؟»[2].

التَّنْبِيهُ الثَّانِي: هذه الأحاديث مما عدَّه بعض العلماء مشكلاً من حيث إن هذه الخصال توجد في المصدق الذي ليس له شك، وقد أجمعوا أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه، وفعل هذه الخصال لا يكون كافراً، ولا هو منافق يخلد في النار، وقد اجتمع في إخوة يوسف عليهم السلام أكثر هذه الخصال.

والذي قال المحققون والأكثرون ـ قال النووي وهو الصحيح ـ: إن المعنى: أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافق فيها، متخلق بأخلاق المنافقين؛ فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وإضمار ما يظهر خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون

---

(١) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٥١).

(٢) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٤٧٤) مختصراً.

نفاقه في حق من حدَّثه، أو وعده، أو ائتمنه، أو خاصمه، أو عصاه، أو غل منه[1].

وروى أبو يعلى عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: أنه قال: «لَيْسَ الْخُلْفُ أَنْ يَعِدَ الرَّجُلَ وَمِنْ نِيَّتِهِ أَنْ يَفِيَ، وَلَكِنَّ الْخُلْفَ أَنْ يَعِدَ وَمِنْ نِيَّتِهِ أَنْ لا يَفِيَ»[2].

وروى الطبراني في «الكبير» عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: دخل أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «مِنْ خِلالِ الْمُنافِقِ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذا ائْتُمِنَ خانَ».

فخرجا من عند رسول الله ﷺ وهما ثقيلان، فلقيتهما فقلت: ما لي أراكما ثقيلين؟

فقالا: حديثاً سمعناه من رسول الله ﷺ؛ قال: «مِنْ خِلالِ الْمُنافِقِ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذا ائْتُمِنَ خانَ».

قلت: أولا سألتماه؟

قالا: هِبنا رسول الله ﷺ.

قلت: لكني سائله.

قال: فدخلت على رسول الله ﷺ قلت: لقيني أبو بكر وعمر وهما ثقيلان، وذكرت ما قالا.

---

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٢/ ٤٦).

(٢) ورواه بمعناه أبو داود (٤٩٩٥)، والترمذي (٢٦٣٣) وضعفه.

فقال: «حَدَّثْتُهُما، وَلَمْ أَضَعْهُ عَلى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَضَعانِهِ، وَلَكِنَّ الْمُنافِقَ إِذا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ حَدَّثَ بِهِ، وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يَكْذِبُ، وَإِذا وَعَدَ وَعَدَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يُخْلِفُ، وَإِذا ائْتُمِنَ ائْتُمِنَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يَخُونُ»[١].

ثم رأيت في الحديث تأويلاً آخر: أنه محمول على من صار الكذب والخلف والخيانة عادةً متكررةً منه، وخلفاً مستمراً من أخلاقه.

روى الخطيب في «تلخيص المتشابه» عن الشعبي رحمه الله تعالى قال: لا أدري ما تقولون: من كان كذاباً فهو منافق[٢]!

وأنت خبير بما في صفة فَعَّال من المبالغة والتكثير.

وفي الحديث: «وَلا يَزالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً»[٣].

التَّنْبِيهُ الثَّالِثُ: روى الإمام أحمد في «الزهد»، وأبو نعيم عن سعيد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام: إن أعظم الذنوب أن يقول الرجل: الله يعلم أني صادق، والله

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦١٨٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٨): فيه أبو النعمان عن أبي وقاص، وكلاهما مجهول؛ قاله الترمذي، وبقية رجاله موثقون.

(٢) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٣٦).

(٣) رواه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢٦٠٧) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

يعلم أنه كاذب[1].

قلت: هذا يقع كثيراً في كلام بعض الناس إذا أراد تأكيد الحديث، وقد علمت ما فيه.

وتقدم أن الأخنس بن شريق قال للنبي ﷺ: جئت أريد الإسلام، ويعلم الله أني لصادق، فأعجب النبي ﷺ ذلك منه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾[البقرة: ٢٠٤].

ومن هنا كان من الألفاظ المذمومة ما يعتاده كثيرون؛ يريد أن يحلف على شيء فيتورع عن قوله: (والله) كراهية الحنث، أو إجلالاً لله تعالى وصوناً عن الحلف، ثم يقول: الله أعلم ما كان كذا، أو لو كان كذا، ونحوه.

وفي هذه العبارة خطر؛ فإن قالها صاحبها وهو على يقين مما أكد بها فلا بأس، وإلا تعرض للكذب على الله تعالى، بل فيه التعرض للكذب على الله تعالى، بل فيه التعرض لوصفه تعالى بأنه يعلم الأمر بخلاف ما هو، ولو اعتقد ذلك كفر، كما نص عليه النووي في «الأذكار»[2].

*** تَتِمَّةٌ:**

روى الطبراني في «الأوسط»، وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٢٥).

(٢) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٢٩٢).

قال: لا يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجز له؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْعِدَةُ دَيْنٌ»(١).

وروى الخرائطي في «المكارم» عن الحسن مرسلاً: أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئاً فلم تجده عنده، فقالت: عدني، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعِدَةَ عَطِيَّةٌ»(٢).

وفي ذلك إشارة إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يعد وعداً إلا وهو جازم بالوفاء له، ولو للصبي الصغير لأجل شغله عن البكاء ونحوه، بل ينبغي للمؤمن إذا وعد أن يكون فعله أبلغ من قوله، ووفاؤه أحسن من وعده وأكمل، ولا يكون كما قال الشاعر: [من الطويل]

لِسانُكَ أَحْلَى مِنْ جَنَى النَّحْلِ مَوْعِداً
وَكَفُّكَ بِالْمَعْرُوفِ أَضْيَقُ مِنْ قُفْلِ

تَمَنَّى الَّذِي يَأْتِيكَ حَتَّى إذا انْتَهَى
إِلَى أَمَدٍ نَاوَلْتَهُ طَرَفَ الْحَبْلِ(٣)

---

(١) هذا الحديث مجموع خبرين رواهما الطبراني في «المعجم الأوسط»؛ فروى كلام ابن مسعود (٧٨٧١) في أثر طويل، وروى المرفوع (٣٥١٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٦٦): فيه حمزة بن داود، ضعفه الدارقطني.
وكلام ابن مسعود ﷺ رواه كثيرون كالإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤١٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٧).

(٢) ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٠٢٦)، وأبو داود في «المراسيل» (ص: ٣٥٢).

(٣) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٥٢١).

وروى الخرائطي عن عبد الرحمن بن أبزى رحمه الله تعالى قال: كان داود عليه السلام يقول: لا تعدن أخاك شيئاً لا تنجزه له؛ فإن ذلك يورث بينك وبينه عداوة[1].

٣٥ ـ ومن أعمال المنافقين، وأخلاقهم: دعوى الدين ومقاماته لغير غرض صحيح، وخصوصاً التقصير في العمل الموافق للدعوى.

روى الفريابي عن الأوزاعي قال: إن المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل، وإن المنافق يكثر الكلام ويقل العمل[2].

٣٦ ـ ومنها: ترك العمل بالعلم، والإرشاد إلى البر مع رفض التلبس به.

روى ابن أبي شيبة، والفريابي من طريقه عن حذيفة رضي الله تعالى عنه: أنه سئل عن المنافق فقال: الذي يَصِفُ الإسلام ولا يعمل به[3].

وروى الإمام أحمد، والفريابي عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ عَلى أُمَّتِي مُنافِقٌ عَلِيمُ اللِّسانِ»[4].

---

(١) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ٥٥).

(٢) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٧٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٤١٥)، والفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٦٦).

(٤) تقدم تخريجه.

وروى الفريابي عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه سئل: كيف يكون المنافق العليم؟

قال: عالم اللسان، جاهل القلب والعمل[1].

وروى الخطيب في «تلخيص المتشابه» عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لا أَخافُ عَلى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلا كافِراً؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَحْجُزُهُ إِيْمانُهُ، وَأَمَّا الكافِرُ فَيَقْمَعُهُ كُفْرُهُ، وَلَكِنْ أَخافُ عَلَيْهِمْ مُنافِقاً عَلِيمَ اللِّسانِ، يَقُولُ ما يَعْلَمُونَ، وَيَفْعَلُ ما يُنْكِرُونَ»[2].

٣٧ ـ ومنها: المبادرة إلى التكلم بالشيء قبل تدبر عواقبه.

روى الخرائطي في «مكارم الأخلاق» عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: كانوا يقولون: إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه، ثم أمضاه بلسانه، وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا همَّ بالشيء أمضاه بلسانه، ولم يتدبره بقلبه[3].

وروى الإمام أحمد، وابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَسْتَقِيمُ إِيْمانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ،

---

(١) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٥٣).

(٢) ورواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (١/ ٩٩)، والديلمي في «مسند الفردوس» (١٨٠).

(٣) انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (٢/ ٧٧٠).

وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسانُهُ»[1].

٣٨ ـ ومنها: الحرص على طلب الدنيا، والانهماك فيها، والاهتمام بتحصيلها، وركوب كل صعب وذلول في ذلك بحيث لا يبالي بجمعها من حلال أو حرام.

روى البخاري في «تاريخه» عن كعب بن عاصم رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ، حَذِرٌ، وَقَّافٌ، مُتَثَبِّتٌ لا يَعْجَلُ، عالِمٌ وَرِعٌ، وَالْمُنافِقُ هُمَزَةٌ، لُمَزَةٌ، حُطَمَةٌ، لا يَقِفُ عِنْدَ شُبْهَةٍ وَلا عِنْدَ مُحَرَّمٍ».

ورواه الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، وزاد فيه: «كَحاطِبِ اللَّيْلِ؛ لا يُبالِي مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ وَفِيما أَنْفَقَ»[2].

٣٩ ـ ومنها: طلب رضى الناس بما يسخط الله تعالى، والحلف الكاذب لذلك.

قال الله تعالى في المنافقين: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة: ٩٦].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٤٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٣): وفي إسناده علي بن مسعدة، وثقه جماعة وضعفه آخرون.

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥٤٤)، وكذا الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ٢٦).

بيَّن أنهم يطلبون رضى الناس دون رضى الله لأنهم يخافونهم دونه، والله أحق بالرضى والمخافة؛ فإن العبد إذا خاف الناس وأرضاهم بما يسخط الله لم يغنوا عنه شيئاً إذا ظهر فيه عقوبة تسخط الله تعالى.

وقد روى الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَرْضى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ، وَمَنْ أَسْخَطَ النَّاسَ بِرِضَا اللهِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ»[١].

وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» ـ وإسناده كما قال الحافظ ابن حجر على شرط الشيخين[٢] ـ ولفظه: «مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَرْضى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ»[٣].

وروى الحاكم وصححه، والديلمي عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَرْضى سُلْطاناً بِما يُسْخِطُ اللهَ ﷻ خَرَجَ مِنْ دِينِ اللهِ»[٤].

وروى الطبراني في «الصغير»، والديلمي عن أنس ﷺ قال: قال

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٤) بمعناه، وفي سنده من لم يسم.

(٢) انظر: «الأمالي المطلقة» لابن حجر (ص: ١١٩).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٧٧).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٠٧١)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٩٢٧).

رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ مِنْ أَخْلاقِ الإِيْمانِ: مَنْ إِذا غَضِبَ لَمْ يُدْخِلْهُ غَضَبُهُ فِي باطِلٍ، وَمَنْ إِذا رَضِيَ لَمْ يُخْرِجْهُ رِضاهُ مِنْ حَقٍّ، وَمَنْ إِذا قَدِرَ لَمْ يَتَعاطَ ما لَيْسَ لَهُ»[1].

٤٠ ـ ومنها: أن يظهر للناس أنه على خوف من الله تعالى وخشية، أو تقوى فوق ما عنده.

فإن أظهر ما ليس فيه بالكلية، بل هو على خلافه كان أبلغ.

وروى الديلمي، وابن النجار عن أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَرى النَّاسَ فَوْقَ ما عِنْدَهُ مِنَ الْخَشْيَةِ فَهُوَ مُنافِقٌ»[2].

وروى الحاكم في «تاريخه» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَهَيَّأَ لِلنَّاسِ بِقَوْلِهِ وَلِباسِهِ، وَخالَفَ ذَلِكَ فِي أَعْمالِهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

٤١ ـ ومنها: سوء الظن بالله تعالى، وسوء الاعتقاد.

وروى الفريابي عن الحسن: أنه قال في هذه الآية: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾[الحاقة: ١٩ ـ ٢٠] قال: إن المؤمن

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١٦٤)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٤٦٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٠٦): فيه بشر بن الحسين، وهو متروك كذاب.

(٢) تقدم تخريجه.

أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل[1].

٤٢ ـ ومنها: إساءة الظن بالمسلمين فيما أحسنوا فيه، وحمل ذلك منهم على الرياء والغرض الفاسد.

والمؤمن يحمل أعمال المسلمين الحسنة على الكمال والإخلاص.

نعم من تظاهر بالريب والظلم فهو أولى بإساءة الظن به.

روى البخاري في «تاريخه»[2] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَساءَ بأَخِيهِ الظَّنَّ فَقَدْ أَساءَ بِرَبِّهِ ﷻ؛ إِنَّ اللهَ تَعالَى يَقُولُ: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾[الحجرات: ١٢]».

والقرآن العظيم ناطق بأحوال المنافقين في إساءة الظن بالنبي ﷺ وأصحابه الكرام كقوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾[التوبة: ٥٨].

كان لمزهم إياه في الصدقات مبني على إساءة ظنهم؛ فإن الآية نزلت فيمن قال عن قسمة قسمها رسول الله ﷺ: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله كما يثبت في «صحيح البخاري»، وغيره[3].

---

(١) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٧٥)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٩١).

(٢) لعله ابن النجار في «تاريخه» كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٥٦٦)، ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٨٢٥).

(٣) رواه البخاري (٦٥٣٤) عن أبي سعيد ﷺ.

٤٣ ـ ومنها: الرضا عند حصول الدنيا، والسخط بتحولها.

كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[التوبة: ٥٨].

وروى الطبراني في «الصغير» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ حَزِيناً عَلى الدُّنْيا أَصْبَحَ ساخِطاً عَلى رَبِّهِ ﷻ»[1].

وروى الترمذي عن أنس، والطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِناهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيا وَهِيَ راغِمَةٌ، وَمَنْ كانَتِ الدُّنْيا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيا إِلاَّ ما قُدِّرَ لَهُ»[2].

وأخرجه ابن ماجه، والطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه، ولفظه: «مَنْ كانَتْ نِيَّتُهُ الآخِرَةَ جَمَعَ اللهُ لَهُ شَمْلَهُ وَجَعَلَ غِناهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيا راغِمَةً، وَمَنْ كانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيا فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٧٢٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٨): فيه وهب بن راشد البصري، وهو متروك.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٦٥) عن أنس ﷺ. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٥٧): فيه يزيد الرقاشي، وقد وثق، ولا بأس به في المتابعات.
والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦٩٠) عن ابن عباس ﷺ.

وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيا إِلاَّ ما كَتَبَ اللهُ لَهُ»[1].

وفي وضع الظاهر موضع المضمر في الروايتين دقيقة، وهي: أن ما يأتيه من الدنيا قد يكون بعض ما طلبه بعينه، ولا يتم له كله، وقد لا يكون عين مطلوبه ولا بعضه، بل هو نوع آخر منها غير ما طلب منها، والألف واللام للجنس لا للعهد.

والحاصل: أن اهتمام العبد بالدنيا لا يفيد شيئاً غير ما كتب له وقدر، بل يعاقب عليه بالحرمان بالكلية، أو بحرمان البعض، أو بالتنغيص والتكدير فيه، وبتفريق الأمر، وتشتيت الشمل، وانتصاب الفقر بين عينيه، وذلك يحزنه على ما فات، والحزن على ما فات من الدنيا تسخط لمقدور الله تعالى.

وفي الحديث: «مَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[2].

٤٤ ـ ومنها: شهود العطاء والمنع من غير الله تعالى.

روى الفريابي عن أبي مليكة الذماري رحمه الله تعالى قال: إن الرجل ليدخل على الإمام فما يخرج إلا مشركاً أو منافقاً؛ إن أعطاه نسي الذي أعطاه وحمده، وإن منعه خرج يذمه ويعيبه، فإذا فعل هذا

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٨٩١)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (٦٨٠).

(٢) تقدم تخريجه.

بالإمام فقد نافق وأشرك، وإنما يعطي ويمنع الله[1].

وفي المعنى قلت: [من البسيط]

لا تَغْضَبَنْ عَلى خَلْقٍ إِذا مَنَعُوا ... وَلا تَرى الْفَضْلَ مِنْهُمُ إِنْ هُمُ

بَلِ اشْهَدِ الْمَنْعَ مِنْ مَوْلاكَ وَارْضَ ... فَالْخَيْرُ فِي عَيْنِ مَنْعِ اللهِ يُلْتَمَحُ

وَحَيْثُ أَعْطاكَ بَعْضُ النَّاسِ نافِلَةً ... فَاللهُ أَعْطَى وَمِنْهُ تُشْهَدُ الْمِنَحُ

٤٥ ـ ومنها: غلبة الفرح واللهو واللعب على العبد.

روى الفريابي عن الحسن رحمه الله تعالى قال: لا تلقى المؤمن إلا شاحباً، ولا تلقى المنافق إلا وباصاً[2].

وقال محمد بن علي رحمه الله تعالى: المؤمن بِشْره في وجهه، وحزنه في قلبه، والمنافق بشره في قلبه، وحزنه في وجهه[3].

وروى ابن أبي شيبة عن الحسن رحمه الله تعالى قال: إن المؤمنين عجلوا الخوف في الدنيا، فأمنهم الله يوم القيامة، وإن المنافقين أخَّروا الخوف في الدنيا، فأخافهم الله يوم القيامة[4].

٤٦ ـ ومنها: الأمن من مكر الله تعالى، ومن سوء الخاتمة، والتحول من الإيمان إلى النفاق؛ والعياذ بالله.

---

(١) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٨٠).

(٢) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٨٢).

(٣) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٧٧).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٢١٣).

روى الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً قال له: إني أخاف أن أكون منافقاً.

قال: لو كنت منافقاً ما خفت ذلك[1].

وروى الفريابي عن جبير بن نفير رحمه الله تعالى: أنه سمع أبا الدرداء رضي الله تعالى عنه وهو في آخر صلاته وقد خرج من التشهد يتعوَّذ بالله من النفاق، فأكثر التعوذ منه، قال: فقال جبير: ما لك يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟

فقال: دعنا عنك؛ والله إن الرجل لينقلب عن دينه في الساعة فيخلع منه[2].

وقال أبو إدريس الخولاني رحمه الله تعالى: ما على ظهرها من بشر لا يخاف على إيمانه أن يذهب إلا ذهب[3].

وقال أبو عثمان الجعد: قلت لأبي رجاء العطاردي رحمه الله تعالى: هل أدركت من أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ يخشون النفاق؛ وكان قد أدرك عمر رضي الله تعالى عنه؟

قال: نعم، قد أدركت منهم صدراً حسناً، نعم شديداً، نعم شديداً.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٩١).

(٢) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٦٩).

(٣) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٧١).

وقال الحسن رحمه الله تعالى: إن القوم لما رأوا أن هذا النفاق يغول الإيمان لم يكن لهم هم غير النفاق[١].

وسأل أبان الحسن: تخاف النفاق؟

وقال: وما يؤمنني وقد خاف عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه[٢].

وقال المعلى بن زياد رحمه الله تعالى: سمعت الحسن يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط وما بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن.

وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى: لم يكن شيء أخوفَ عَلَيَّ مِنْ قالٍ هذا القول من هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٨][٣].

روى هذه الآثار الفريابي في كتابه في «صفة المنافق».

وروى عبد بن حميد عن محمد بن سيرين قال: كانوا يتخوفون من هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٨][٤].

---

(١) رواهما الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٧١).

(٢) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٧١).

(٣) رواهما الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٧٣).

(٤) تقدم تخريجه.

وأخرجه ابن المنذر، ولفظه: لم يكن عندهم شيء أخوف من هذه الآية[1].

وروى عبد بن حميد عن يحيى بن عتيق قال: كان محمد - يعني: ابن سيرين - يتلو هذه الآية عند ذكر الحجاج، ويقول: أنا لغير ذلك أخوف: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾[البقرة: ٨]. إلى آخرها[2].

٤٧ - ومن أخلاق المنافقين: قلة المروءة، وعدم الغيرة، والقيادة، والدياثة.

روى البزار، والبيهقي في «الشعب»، والديلمي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «الْغَيْرَةُ مِنَ الإِيْمانِ، وَالْمَذاءُ مِنَ النِّفاقِ»[3] - بالمعجمة -: عدم غيرة الرجل على أهله.

وقال في «القاموس»: مذا، وأمذى: قاد على أهله، وأشار إلى أنه واوي.

قال: والمذاء - كسماء -: جمع النساء والرجال، وتركهم يلاعب بعضهم بعضاً، أو هو الدياثة. انتهى[4].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٧٤).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤١١)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٤٣٢٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٢٧): رواه البزار، وفيه أبو مرحوم، وثقه النسائي وغيره، وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٧١٩) (مادة: مذي).

وذكر في «النهاية» حديث: «الْمَذالُ مِنَ النِّفاقِ».

قال في «القاموس»: والمذال: المذاء، وأن يقلق الرجل بفراشه الذي يضاجع فيه حليلته، ويتحول عنه حتى يفترشها غيره[1].

وعلى هذا اقتصر في «النهاية»، لكن وقع في عبارة السيوطي في «مختصر النهاية»: فيفترشه غيره[2] ـ بعود الضمير إلى الفراش ـ وهو أعم من عوده إلى المرأة؛ إذ هو شامل لمطلق الإعراض عن مضاجعة الزوجة كراهية للعمل بالسنة من استحباب المضاجعة؛ إذ فيه هجر المرأة، وهو إيذاء لها وتعريض لفراشها أن يفترشه غيره، والغير شامل للذكر والأنثى، فربما دعا هجر المرأة أن تستبدل غير الرجل رجلاً بالمعاهرة، أو امرأة بالمساحقة.

وقد روى ابن حبان في «صحيحه» عن عائشة، وابن ماجه عن ابن عباس، والطبراني في «الكبير» عن معاوية رضي الله عنهم: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي»[3].

وأخرجه ابن عساكر من حديث علي رضي الله تعالى عنه، وزاد: «ما أَكْرَمَ النِّساءَ إِلاَّ كَرِيْمٌ، وَلا أَهانَهُنَّ إِلاَّ لَئِيْمٌ»[4].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٣٦٦) (مادة: مذل).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٣١٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

وقد سبق أن اللؤم من صفة المنافقين.

والمراد إكرام النساء وإهانتهن من حيث إنهن ضعاف لا يحتملن الانتقام، والعاقل لا يرى التشفي بالانتقام ممن هو أضعف منه.

وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِلنِّساءِ»[1].

٤٨ ـ ومنها: التبتل.

وهو ترك النكاح رغبة عن السنة، بخلاف تركه لمن لا حاجة له إليه، وهو لا يجد طَولاً.

روى عبد الرزاق، والإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: دخل على رسول الله ﷺ عكاف بن بشر التميمي، فقال له النبي ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ زَوْجَةٍ؟»

قال: لا.

قال: «ولا جارِيةٍ؟»

قال: لا.

قال: «وَأَنْتَ مُوْسِرٌ بِخَيْرٍ؟»

قال: وأنا موسر بخير.

قال: «أَنْتَ إِذاً مِنْ إِخْوانِ الشَّياطِينِ، لَوْ كُنْتَ مِنَ النَّصارَى كُنْتَ مِنْ

---

(١) تقدم تخريجه.

رُهْبانِهِمْ، إِنَّ مِنْ سُنَّتِنا النِّكاحَ، شِرارُكُمْ عُزَّابُكُمْ، وَأَراذِلُ مَوْتاكُمْ عُزَّابُكُمْ، بِالشَّيْطانِ تَتَمَرَّسُونَ، ما لِلشَّيْطانِ مِنْ سِلاحٍ أَبْلَغَ فِي الصَّالِحِينَ مِنَ النِّساءِ، إِلاَّ الْمُتَزَوِّجِينَ؛ أُولَئِكَ الْمُطَهَّرُونَ الْمُبَرَّؤُونَ مِنَ الْخَنا، وَيْحَكَ يا عكافُ! إِنَّهُنَّ صواحِبُ أَيُّوبَ، وَداودَ، وَيُوسُفَ، وَكرسُفَ».

فقال له بشر بن عطية: ومن كرسف يا رسول الله؟

قال: «رَجُلٌ كانَ يَعْبُدُ اللهَ بِساحِلِ الْبَحْرِ ثَلاثَمِئَةِ عامٍ، يَصُومُ النَّهارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ، ثُمَّ إِنَّهُ كَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ فِي سَبَبِ امْرَأَةٍ عَشِقَها، وَتَرَكَ ما كانَ عَلَيْهِ مِنْ عِبادَةِ رَبِّهِ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَهُ اللهُ بِبَعْضِ ما كانَ مِنْهُ فَتابَ عَلَيْهِ.

وَيْحَكَ يا عكافُ! تَزَوَّجْ وَإِلاَّ فَأَنْتَ مِنَ الْمُذَبْذَبِينَ»[1].

والمذبذبون: هم المنافقون لأن الله تعالى قال في وصفهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[النساء: ١٤٣].

وأصل الذبذبة: تردد الشيء المعلق بالهواء.

٤٩ ـ ومنها: تبرج المرأة بالزينة.

يقال: تبرجت المرأة: إذا أظهرت زينتها للرجال.

وأصله من برج ـ كفرح ـ: إذا اتسع أمره في المأكل والمشرب.

أو من البرج ـ بالتحريك ـ: وهو أن يكون بياض العين محدقاً بالسواد كله.

---

(١) تقدم تخريجه.

كأن المرأة تظهر للرجال حتى يحدقوا بها، وينظروا إليها.

روى أبو نعيم، والخطيب عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «الْمُتَخَلِّعاتُ وَالْمُتَبَرِّجاتُ هُنَّ الْمُنافِقاتُ»(١).

وروى البيهقي عن ابن أبي أذينة الصدفي ـ مرسلاً ـ وعن سليمان ابن يسار ـ مرسلاً ـ قالا رحمهما الله تعالى: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ نِسائِكُمُ الوَلُودُ الوَدُودُ، وَالْمُواسِيَةُ الْمُواتِيَةُ إِذا اتَّقَيْنَ اللهَ، وَشَرُّ نِسائِكُمُ الْمُتَبَرِّجاتُ الْمُتَخَيِّلاتُ، وَهُنَّ الْمُنافِقاتُ، لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلاَّ مِثْلُ الْغُرابِ الأَعْصَمِ»(٢).

والأعصم: أبيض الجناحين.

وقيل: أبيض الرِّجْل.

وقال في «القاموس»: الأحمر الرجلين والمنقار، أو في جناحيه ريشة بيضاء(٣).

واقتصر في «الصحاح» على الأخير(٤).

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٧٦)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٥٨).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٨٢). وقال: وروي بإسناد صحيح عن سليمان بن يسار عن النبي ﷺ مرسلاً إلى قوله: «إذا اتقين الله».

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٤٧٠) (مادة: عصم).

(٤) وانظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٤٠٦) (مادة: عصم).

٥٠ ـ ومنها: اختلاع المرأة نفسها من زوجها لغير ضرورة، وسؤالها إياه الطلاق من غير بأس.

وروى النسائي عن أبي هريرة، والطبراني في «الكبير» عن عقبة بن عامر قالا رضي الله تعالى عنهما: قال رسول الله ﷺ: «الْمُتَخَلِّعاتُ هُنَّ الْمُنافِقاتُ».

وفي لفظ للطبراني: «إِنَّ الْمُتَخَلِّعاتِ وَالْمُتَبَرِّجاتِ هُنَّ الْمُنافِقاتُ»[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححاه، عن ثوبان رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَيُّما امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَها الطَّلاقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرامٌ عَلَيْها رائِحَةُ الْجَنَّةِ»[2].

٥١ ـ ومنها: النثار، وانتهاب النثر في الولائم.

والنِّثار ـ بكسر النون ـ والنَّثر ـ بفتحها وإسكان المثلثة في الأصل ـ: رمي الشيء مفرقاً.

---

(١) رواه النسائي (٣٤٦١) عن أبي هريرة ﷺ، وقال: الحسن لم يسمع من أبي هريرة ﷺ.
والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٣٩) عن عقبة بن عامر ﷺ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٧)، وأبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧) وحسنه، وابن ماجه (٢٠٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤١٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٠٩).

والنَّثَر ـ بفتحتين ـ: ما تناثر.

والنثار في الولائم، وانتهاب ما ينتثر مكروه على المذهب.

واستدل له الأذرعي بما في «مسند الإمام أحمد» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلْمُنافِقِينَ عَلاماتٍ يُعْرَفُونَ بِها؛ تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةٌ، وَطَعامُهُمْ نُهْبَةٌ»[1].

وتقدم الحديث بزيادة.

٥٢ ـ ومنها: سوء الخلق، والملل من الزوج، أو الصاحب، أو الثوب، أو غير ذلك مما يلائم أشراً وبطراً، وهو داخل في سوء الخلق.

والفرق بين سوء الخلق والحدة التي تعتري خيار الأمة كما تقدم: أن الحدة لا تخرج صاحبها إلى باطل، وفيئتها قريبة، وسوء الخلق يخرج صاحبه عن الحق، وينقلب فيصير عداوة وحقداً.

ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ لَهُ تَوْبَةٌ، إِلاَّ صاحِبَ سُوءِ الْخُلُقِ؛ فَإِنَّهُ لا يَتُوبُ مِنْ ذَنْبٍ إِلاَّ عادَ فِي شَرٍّ مِنْهُ». رواه الطبراني، وغيره عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وإسناده ضعيف[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٥٣). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٣٩).

وكان رسول الله ﷺ يدعو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الأَخْلاقِ». رواه أبو داود، والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1].

لا يقال: هذا الحديث يدل على أن سوء الأخلاق ليس من النفاق لأن العطف يقتضي المغايرة، بل هو من عطف الخاص على العام لمزيد الاعتناء به.

وروى محمد بن نصر المروزي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْماناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَكُونُ مُؤْمِناً وَإِنَّ فِي خُلُقِهِ شَيْئاً، فَيَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ إِيْمانِهِ»[2].

ومفهوم الحديث: أن أكمل المنافقين نفاقاً أسوؤهم أخلاقاً.

وقد يقال: إن سوء الخلق وحده لا يكون نفاقاً حتى ينضم إليه البخل لما رواه البخاري في «الأدب المفرد»، والترمذي عن أبي سعيد ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «خَصْلَتانِ لا يَجْتَمِعانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ»[3].

وفي حديث رافع بن مُكيث ـ بالتصغير ـ وكان ممن شهد الحديبية ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «حُسْنُ الْخُلُقِ نَماءٌ، وَسُوءُ الْخُلُقِ

---

(١) رواه أبو داود (١٥٤٦)، والنسائي (٥٤٧١).

(٢) رواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٤٤٢).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٢)، والترمذي (١٩٦٢) وقال: غريب.

شُؤْمٌ». أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود[1].

وروى الخطيب عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «سُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ، وَشِرارُكُمْ أَسْوَؤُكُمْ أَخْلاقاً»[2].

وروى الطبراني في «الكبير»، والخرائطي في «مكارم الأخلاق»، وأبو الشيخ في «طبقات الأصبهانيين» بإسناد جيد، عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجاتِ الآخِرَةِ وَشَرَفَ الْمَنازِلِ، وَإِنَّهُ لَيَضْعُفُ عَنِ الْعِبادَةِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرْكِ جَهَنَّمَ»[3].

ولا شك أن هذا منزل المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[النساء: ١٤٥].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٥٠٢)، وأبو داود (٥١٦٢). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٧٧): رواه أحمد وأبو داود باختصار، وفي إسنادهما راو لم يسم، وبقية إسناده ثقات.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ٢٧٦)، وكذا السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٨٤).
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٨٥) بلفظ: «الشؤم سوء الخلق». وضعف الصنعاني إسناده في «سبل السلام» (٤/ ٢٠١).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٤)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤/ ٣٣٧). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٣٩): إسناده جيد.

وروى ابن أبي الدنيا في «المداراة» عن عبد العزيز بن حصين قال: بلغني أن عيسى عليه السلام قال: من ساء خلقه عذب نفسه، ومن كثر كذبه ذهب جماله، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته، ومن كثر همه سقم بدنه[1].

وروى ابن السني، وأبو نعيم؛ كلاهما في «الطب» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ساءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ، وَمَنْ كَثُرَ هَمُّهُ سَقُمَ بَدَنُهُ، وَمَنْ لاحى الرِّجالَ ذَهَبَتْ كَرامَتُهُ وَسَقَطَتْ مُرُوءَتُهُ»[2].

وروى ابن مردويه، والأصبهاني عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لا أمل ثوبي ما وسعني، ولا أمل زوجتي ما أحسنت عشرتي، ولا أمل دابتي ما حملت رحلي؛ إن الملالة من سيِّىءِ الأخلاق[3].

وفيه ذم الملالة والسآمة مما يلائم الإنسان من أهل، أو دابة، أو ثوب، أو طعام؛ فإن الاجتزاء بما يسوء من عوز من خلق المؤمن.

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً؛ إِنْ كَرِهَ مِنْها خُلُقاً رَضِيَ مِنْها غَيْرَهُ»[4].

والفِرك ـ بالكسر ـ: البغض من الزوجين.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ٨٦).

(٢) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٧٥١).

(٣) رواه ابن عساكر في «ابن عساكر» (٤٦/ ١٨٣).

(٤) تقدم تخريجه.

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «تَزَوَّجُوا وَلا تُطَلِّقُوا؛ فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الذَّوَّاقِينَ وَلا الذَّوَّاقاتِ»(1).

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «أَحَبُّ الأَعْمالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُها وَإِنْ قَلَّ»(2).

وروى مسلم، وأبو داود عنها أن النبي ﷺ كان إذا عمل عملاً أثبته(3)؛ أي: جعله ثابتاً لا يفارقه، ولا يتركه في وقته؛ أي: داوم عليه.

٥٣ ـ ومنها: العبادة على جهل، و[...](4) والتشاؤم بالعبادة والتطير بها.

وذلك من آثار سوء الخلق، ومن أقبح الْمَلَل.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾؛ أي: على جهل. ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[الحج: ١١].

قال ابن عباس في الآية: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاماً وأنتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته

---

(1) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٨٤٨)، وكذا البزار في «المسند» (٣٠٦٤).

(2) تقدم تخريجه.

(3) رواه مسلم (٧٤٦)، وأبو داود (١٣٦٨).

(4) بياض في «أ» و«ت» بمقدار كلمة.

ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء. رواه البخاري[1].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[العنكبوت: ١٠ ـ ١١].

قال قتادة: هذا الآيات نزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة؛ أي: وقد خرجوا مهاجرين.

قال: وهذه الآيات العشر ـ أي: من أول سورة العنكبوت إلى ختام هذه الآية ـ مدنية. أخرجه ابن جرير[2].

وروى ابن أبي شيبة، والمفسرون عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[العنكبوت: ١١] قال: أناس يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم وأموالهم افتتنوا، فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة[3].

٥٤ ـ ومنها: الفرح بالدنيا، والترح بإدبارها، والغضب لها، والغرام بها.

وإذا كان حب الدنيا رأس كل خطيئة فهي منبع النفاق.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٦٥).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢٠/ ١٣٣).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢٠/ ١٣٢)، ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩/ ٣٠٣٧).

ألا ترى أن عبدالله بن أُبَيٍّ ابن سلول حين أراد أهل المدينة أن يتوجوه ويملكوه عليهم، فأدركه الإسلام وحال بينهم وبين ذلك، ثم هاجر إليهم النبي ﷺ فأقبلوا عليه، وأعرضوا عما همُّوا به من تتويج ابن أُبَيٍّ، كان ذلك داعياً لابن أُبَيٍّ إلى النفاق، وإضمار العداوة للنبي ﷺ وأصحابه، وكان قد أظهر الإسلام لئلا يخرج عن قومه، ومنه أخذ المنافقون واقتدى به الأرذلون؟

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[التوبة: ٥٨].

وفي تغيير الخطاب إشارة إلى أن السخط خلقهم اللازم لهم، والرضا طارىء عليهم بسبب ما يعرض عليهم من العطاء، فإذا انقطع العطاء عنهم عادوا إلى مكرهم.

والآية نزلت في أبي الجواظ، وفي حرقوص بن زهير الملقب بذي الخويصرة، وهو رأس الخوارج، وكلاهما من المنافقين، قال كل منهما في قسمة قسمها رسول الله ﷺ: إنه لم يعدل فيها، فبين الله سبحانه أن ذلك من القائل إنما نشأ لشدة انكلابه على الدنيا، وطمعه فيها، ورضاه لها، وسخطه لمنعها، فأدى ذلك به إلى وقوعه في حق النبي ﷺ بما هو كفر صريح، ولو أنه رضي بالله تعالى ورسوله، واكتفى بما قسمه الله له لأغناه الله تعالى كما قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[التوبة: ٥٩]؛ أي: لكان ذلك خيراً لهم، وأعود عليهم.

وهذه صفة المؤمنين إذا ابتلاهم الله تعالى بالفقر والبلاء صبروا، وإذا أعطاهم العافية والدنيا لم يركنوا إليها، ولم يغتروا بها كما قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[الحديد: ٢٢ ـ ٢٣].

ومن العجائب أن المنافق في عمره كله بين غرة بماله، وفرح بإقباله، وحزن لما فاته، واغتمام بإدباره عنه حتى يدركه الموت على ذلك، فإن أدركه على غمه فغم الموت انضم إلى غم الفوت، وإن أدركه على غرته فأَعْظِم بحسرته!

وما أحسن موعظةَ عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إذ كتب إلى يزيد بن عبد الملك: إياك أن تدركك المصرعة عند الغرة، فلا تقال العثرة، ولا تمكن من الرجعة، ولا يحمدك من خلفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به، والسلام. رواه الإمام أحمد في «الزهد»(١).

وروى فيه عن يزيد بن ميسرة قال: كان رجل ممن مضى جمع مالاً وولداً فأوعى، ثم أقبل على نفسه وهو في أهله قد جمع، فقال: أنعمي سنين! فأتاه ملك الموت عليه السلام فقرع الباب، فخرجوا إليه

(١) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٦).

وهو متمثل بمسكين، فقال لهم: ادعوا لي صاحب الدار، فقالوا: يخرج سيدنا إلى مثلك؟ فودعوه، ثم مكث قليلاً، ثم عاد فقرع باب الدار، وصنع مثل ذلك، فقال: أخبروه أني ملك الموت، فلما سمع سيدهم قعد فزعاً، وقال: لينوا له بالكلام.

فقالوا: ما تريد غير سيدنا بارك الله فيك؟

قال: لا.

فدخل عليه فقال له: قم فأوص ما كنت موصياً؛ فإني قابضٌ نفسك قبل أن أخرج.

فصاح أهله وبكوا، ثم قال: افتحوا له الصناديق والتوابيت، وافتحوا أوعية المال، وافتحوا أوعية الذهب والفضة.

ففتحوا جميعاً، فأقبل إلى المال يلعنه ويسبه، ويقول: لعنت من مال، أنت الذي أنسيتني ربي تبارك وتعالى، وأغفلتني عن العمل لآخرتي حتى بلغني أجلي.

فتكلم المال فقال: لا تسبني! ألم تكن وضيعاً في أعين الناس فرفعتك؟ ألم ير عليك من أثري؟ وكنت تحضر سدد الملوك فتدخل، ويحضر عباد الله الصالحون فلا يدخلون؟ ألم تكن تخطب بنات الملوك والسادة فتنكح، ويخطب عباد الله الصالحون فلا ينكحون؟ ألم تكن تنفق في سبيل الخبيث فلا أتعاص ولو أنفقتني في سبيل الله لم أتعاص عليك؟ وأنت اليوم تلومني؟ إنما خلقت أنا وأنتم يا بني آدم من تراب، فمنطلق ببـرٍ ومنطلق بإثم.

ثم قال يزيد بن ميسرة: فهكذا يقول المال؛ فاحذروا[1]!

قلت: ولما كشفت هذه الحقيقة للعارفين بالله آثروا الحياة الباقية على الحياة الدنيا الفانية، فلم يطلبوا عزها، ولم يجزعوا لذلها، بل أمكنتهم فتركوها وتبرؤوا منها، وخطبتهم فَقَلُوها وأعرضوا عنها، فكانوا هم السابقين إلى نعيم الجنة، الظافرين بعظيم المنة.

وقد روى الإمام أحمد في «الزهد» عن العباس بن سالم اللخمي قال: بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبي سالم الخشني، فحمل إليه على البريد ليسأله عن الحوض، فقدم به عليه، فسأله فقال: سمعت ثوبان رضي الله تعالى عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ حَوْضِـيَ مِنْ عَدَنٍ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقاءِ، ماؤُهُ أَشَدُّ بَياضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَكاوِيْبُهُ عَدَدَ النُّجُومِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَها أَبَداً، أَوَّلُ النَّاسِ وُرُوداً عَلَيْهِ فُقَراءُ الْمُهاجِرينَ».

فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: من هم يا رسول الله؟

قال: «هُمُ الشُّعْثُ رُؤُوساً، الدُّنْسُ ثِياباً، الَّذِينَ لا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّماتِ، وَلا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوابُ السُّدَدِ».

فقال عمر بن عبد العزيز: لقد نكحت المتنعمات؛ فاطمة بنت عبد الملك، وقد فتحت لي السدد إلا أن يرحمني الله ﷻ، لا جرم لا أدهن

---

(١) تقدم تخريجه.

رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ[1].

وعن الحسن رحمه الله تعالى قال: نعمت الدار كانت الدنيا للمؤمن، وذاك أنه عمل فيها قليلاً، فأخذ زاده منها إلى الجنة، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق، وذلك أنه ضيع لياليه، وكان منها زاده إلى النار[2].

وعن مالك بن دينار قال: سألنا الحسن عن عقوبة العالم.

قال: موت القلب.

قيل: وما موت القلب؟

قال: طلب الدنيا بالآخرة[3].

وموت القلب هنا كناية عن خلوه عن الخير كما عبر بالمرض عن النفاق، والموت أشد الأمراض.

٥٥ ـ ومن أخلاق المنافقين: طلب الدنيا بعمل الآخرة وذكرِ الله، والقلبُ مصر على المعصية، وذكرُه تعالى وهو يريد بذكره غرضاً فاسداً.

والمؤمن مطمئن القلب بذكر الله تعالى، لا يريد به غيره،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٥)، وكذا الترمذي (٢٤٤٤) عن أبي سلام، وقال: غريب.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٨٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٦٥)، وكذا ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٥٣٢).

ولا يعمل لغير وجهه.

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: في زبور داود عليه السلام يقول: المنافق يسمي الله تعالى، وليس الله في كل همومه.

وقال بعض العارفين: المؤمن همه البر، والمنافق همه دنياه.

روى الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم عن الجارود بن المعلى رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ طَلَبَ الدُّنْيا بِعَمَلِ الآخِرَةِ طُمِسَ وَجْهُهُ وَمُحِقَ ذِكْرُهُ، وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فِي أَهْلِ النَّارِ»[1].

وقوله: «طُمِسَ وَجْهُهُ»؛ أي: في الآخرة، أو: طمس قلبه أراد بالوجه القلب، وبطمسه: الطبع عليه، كما يراد بالوجه القلب في دعاء الافتتاح.

وقوله: «وَمُحِقَ ذِكْرُهُ» يعني: في الدنيا بأن يطلق الله على ألسنة الناس بالثناء السيىء إظهاراً لسريرته.

وروى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢١٢٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ٦٠٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٠): فيه من لم أعرفهم.

«مَنْ طَلَبَ الدُّنْيا بِعَمَلِ الآخِرَةِ فَلَيْسَ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيْبٍ»[1].

وقال بعض السلف: طلب الدنيا بالدف والمزمار أهون من طلبها بعمل الآخرة[2].

وروى الإمام أحمد عن شميط بن عجلان رحمه الله تعالى قال: إن الدينار والدرهم أَزِمَّةُ المنافقين بها يقادون إلى السوءات[3].

وعن سفيان، عن رجل من أهل البصرة قال: رأيت في النوم عجوزاً عليها من كل الثياب، قلت: من أنت؟

قالت: أنا الدنيا.

قلت: أعوذ بالله منك.

قالت: لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدينار والدرهم[4].

وروى ابنه في «زوائده» عن شميط قال: كان يقال: علامة المنافق قلة ذكر الله ﷻ[5].

وكان يقول: الذهب والفضة أَزِمَّةُ المنافقين بها يقادون إلى السوءات[6].

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٢٦١) بمعناه عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٣٤) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٦)، وكذا ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (ص: ٢٩).

(٤) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٠٤)، وروى نحوه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١/ ٢٩) عن العلاء.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه قريباً.

وعنه قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: ألا ترى إلى المنافق كيف يخادعني وأنا أخدعه، يسبِّحني بطرف لسانه وقلبه بعيد مني[1]؟

*** تَنْبِيهٌ:**

قَلَّ في هذه الأزمنة المتأخرة في سائر الآفاق من يسلم من هذا الخلق وغيره من أخلاق أهل النفاق.

روى أبو عبد الرحمن السلمي، والديلمي عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي عَلى النَّاسِ زَمانٌ هَمُّهُمْ بَطْنُهُمْ، وَشَرَفُهُمْ مَتاعُهُمْ، وَقِبْلَتُهُمْ نِساؤُهُمْ، وَدِيْنُهُمْ دَراهِمُهُمْ وَدَنانِيْرُهُمْ؛ أُوْلَئِكَ شَرُّ الْخَلْقِ، لا خَلاقَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ تَعالَى»[2].

وروى الإسماعيلي في «معجمه»، والديلمي ـ وأنكره الذهبي ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَأْتِي عَلى النَّاسِ زَمانٌ يَكُونُ عامَّتُهُمْ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي الْعِبادَةِ، يَسْتَعْمِلُونَ أَهْلَ الْبِدَعِ ـ أي: يتخذونهم عمالاً وولاة ـ يُشْرِكُونَ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ، يَأْخُذُونَ عَلى قِراءَتِهِمْ وَعِلْمِهِمُ الْوَرِقَ ـ أي: الفضة ـ يَأْكُلُونَ الدُّنْيا بِالدِّينِ، هُمْ أَتْباعُ الدَّجَّالِ الأَعْوَرِ»[3]؛ أي: مثلهم، أو

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٦٨٨).

(٣) رواه الإسماعيلي في «معجمه» (٢/ ٦١١)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٨٦٨٥).

هم أتباعه لو خرج فيهم.

ويؤخذ منه: أن أتباع أعور الدجال من أماراتهم اتصافهم بذلك.

وروى ابن السني، والديلمي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي عَلى النَّاسِ زَمانٌ يَسْتَخْفِي الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ كَما يَسْتَخْفِي الْمُنافِقُ فِيكُمْ»[1].

ووجهه: كثرة المنافقين ورواج النفاق في الناس، وقلة المؤمنين مع مباينتهم لهم في زيهم وسمتهم ومطلوباتهم.

٥٦ ـ ومن أعمال المنافقين: ركوب الأمور التي يعتذر منها، وارتكاب ما يستحى به، وعدم تذكر العواقب، والغش.

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن مالك بن دينار قال: سألني ناس من التمَّارين، عن تمر واحد يأخذون منه الراق المتكسر يجعلونه فوقه وهو تمر واحد، فقلت لهم: لا أدري حتى أسأل الحسن، فأتيت الحسن فسألته، فقال الحسن رحمه الله تعالى: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالنِّفاقِ؟».

فغطى رأسه ووجهه، وأخرج عيناً له واحدة، ثم قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالإِيْمانِ؟».

فألقى عنه ثوبه.

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٦٧٩)، وكذا الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٣٨). وفيه يحيى بن أبي أنيسة، وهو ضعيف.

وروى الحاكم عن سعد بن أبي وقاص، والطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر، وابن عساكر عن أبي أيوب قالوا ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكَ وَما يُعْتَذَرُ مِنْهُ»(١).

ورواه الضياء المقدسي في «المختارة» عن أنس رضي الله تعالى عنه، ولفظه: «إِيَّاكَ وَكُلَّ ما يُعْتَذَرُ مِنْهُ»(٢).

وليس كل اعتذار صحيحاً ولا مقبولاً.

ومن ثم لم يعذر المنافقون في تخلفهم عن النبي ﷺ، واستهزائهم به وبأصحابه كما قال الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾[التوبة: ٦٤ - ٦٦].

وقوله: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾[التوبة: ٦٦] أراد بالطائفة مخشي بن حمير؛ كان يضحك ولا يخوض، وكان ليمشي مجانباً للمنافقين، وربما أنكر ما وقع، فلما نزلت الآية تاب عن نفاقه، وأخلص،

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩٢٨) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤٢٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٢٨٢) عن أبي أيوب رضي الله عنه.

(٢) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢١٩٩).

وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم مقتله، فقتل يوم اليمامة لا يعلم مقتله ولا من قتله، ولا يرى له عين ولا أثر كما أخرجه ابن أبي حاتم عن كعب ابن مالك رضي الله تعالى عنه[1].

والطائفة: رجل فصاعداً[2].

وفي لفظ: الرجل والنفر[3].

أخرجه بالأول عبد بن حميد، وبالثاني ابن أبي حاتم [عن ابن عباس رضي الله عنه].

وروى ابن المنذر عن الكلبي: أن المستهزئين المذكورين في الآية كانوا ثلاثة رهط؛ كان رجل منهم لم يمالهم في الحديث يسير مجانباً لهم، يقال له: يزيد بن وديعة، فنزلت: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾[التوبة: ٦٦] فسمي طائفةً وهو واحد كأنه يشير إلى أنه قام مقام جماعة[4].

ونظيره الأمة: يقال للواحد والجماعة.

قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: رأيت عبدالله بن أُبَيٍّ وهو يشتد قُدَّام النبي ﷺ والأحجار تنكسه، وهو يقول: يا محمد! إنما كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول: «﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٣١).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٣١).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٣١).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٣١).

﴿ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[التوبة: ٦٥]؟». أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وغيره[(١)].

* تَنْبِيهٌ:

في هذا أن المنافق والكاذب في اعتذاره قد لا يوفق إلى اعتذار مقبول، بل يكون عذره أقبح من فعله، ألا ترى إلى اعتذار عبدالله بن أُبَيٍّ ابن سلول رأس المنافقين؟ يقول: إنما كنا نخوض ونلعب؛ فإن الخوض واللعب [بالله][(٢)] وآياته ورسوله كفر، فكان عذره أقبح من فعله.

٥٧ ـ ومن قبائح المنافقين: سوء الاعتقاد، والشك في موعود الله تعالى، والاستخفاف بأمره.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[الأحزاب: ١٢].

نزلت في قول معتب بن قشير ومن كان معه على رأيه في غزوة الأحزاب: كان محمد يرى أن يأكل من كنوز كسرى، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط! ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً؛ كما ذكره المفسرون[(٣)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٢٩).

(٢) بياض في «أ» و«ت».

(٣) انظر «تفسير الطبري» (٢١/ ١٣٣).

٥٨ ـ ومنها: الفرار من الزحف، والتولي، ونقض المعاهدة على الثبات، بل وغيره من الأمور كما تقدم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٥ ـ ١٧].

والفرار من الزحف من الكبائر.

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥ ـ ١٦].

٥٩ ـ ومنها: التعويق عن الخير، والتثبيط عنه؛ جهاداً وغيره.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨ ـ ١٩].

نزلت في ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحماً لانتهبهم أبو سفيان وأصحابه،

دعوا هذا الرجل فإنه هالك. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة[1].

ورويا عنه في قوله: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾[الأحزاب: ١٩] قال: أما عند الغنيمة فأشح قوم، وأسوأ مقاسمة، أعطونا، أعطونا؛ إنا قد شهدنا معكم، وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق[2].

ودلت الآية على أن من أخلاق المنافقين الطمع والشح، وهو أعم من البخل، وقد تقدم أنه من أخلاقهم.

وقد روى الطبراني في «الأوسط» عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالطَّمَعَ؛ فَإِنَّهُ فَقْرٌ حاضِرٌ»[3].

وروى أبو داود وصححه الحاكم، وغيره، عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ؛ أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا»[4].

وفي الأخبار استعاذة النبي ﷺ من البخل، ومن نفس لا تشبع،

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢١/ ١٣٩)، وكذا عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ١١٤).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢١/ ١٤١).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٧٥٣).

(٤) رواه أبو داود (١٦٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٥١٦).

ومن طمع يجر إلى طبع.

٦٠ ـ ومنها: العجب، والتكبر، والتجبر، والفساد اعتماداً على ما أوتيه من قوة الجسد، ودوام الصحة، وكثرة الأموال والأولاد، والتكبر وسيلة الاستكبار، وتكلف الكبر، ودعواه للنفس.

والكبر ـ بالكسر والضم ـ: الشرف.

والكبرياء: أعظمه، ولا تصلح إلا لله تعالى.

وفي الحديث القدسي: «الْكِبْرِياءُ رِدائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزارِيْ؛ فَمَنْ نازَعَنِي فِيهِما قَصَمْتُهُ»[1].

والتجبر: التكبر، أو أبلغ منه.

والجبار: المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً كما في «القاموس»[2]، بل يرى لنفسه الحق على كل أحد.

أو الجبار: العيَّار، كما فسره به ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥][3].

والعيار: الكثير المجيء والذهاب كأنه لا يرضى بحالة واحدة إعجاباً بنفسه، فلا يكون في أمر معجب إلا طلب لنفسه غيره؛ من عار البعير يعير: إذا ترك الشوك وانطلق إلى غيره.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٤٦٠) (مادة: جبر).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٥) إلى الطستي.

وقد سبق أن المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين.

والاسم: العيارة، ويقال: هو عيير وحده؛ أي: معجب برأيه، أو العمل وحده.

والعناد: مخالفة الحق، ورده وهو عارف به.

والمعاندة: المفارقة، والمجانبة، والمعارضة بالخلاف.

وكل ذلك من أخلاق المنافقين.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: أنتم أيها المنافقون كالذين من قبلكم.

﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾؛ أي: بنصيبهم من ملاذ الدنيا.

﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾[التوبة: ٦٨ - ٦٩]: خضتم في الباطل واللهو في الدنيا معرضين عن الحق والآخرة؛ أي: كالخوض الذي خاضوه، مستعار من الجَوَلان في الماء، ولا يستعمل إلا في الباطل.

وفي الحديث: «رُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِي مَالِ اللهِ، لَهُ النَّارُ يَومَ الْقِيامَةِ»[1].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٤/ ٢٣١)، عن خولة بنت قيس رضي الله عنها.

وقال الله تعالى في المنافقين ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾[التوبة: ٦٥].

وقال تعالى ـ حكاية عن أهل سقر، وهي الدرك الأسفل من النار، وهو منزل المنافقين ـ: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[المدثر: ٤٥]؛ أي: كلما غوى غاوٍ غوينا معه، كما رواه ابن المنذر عن قتادة[1].

وروى الترمذي وصححه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيامَةِ لَهُ عينانِ يُبْصِرانِ، وَأُذُنانِ يَسْمَعانِ، وَلِسانٌ يَنْطِقُ، فَيَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعا مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ»[2].

وروى ابن أبي شيبة عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وادٍ يُقالُ لَهُ هَبْهَب؛ حَقٌّ عَلى اللهِ أَنْ يُسْكِنَهُ كُلَّ جَبَّارٍ»[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن عبدالله بن دينار: أن داود عليه السلام كان يقول: كما أن أقرب الناس من الله تعالى يوم القيامة

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٣٧)، وكذا الطبري في «التفسير» (٢٩/ ١٦٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٧٤) وقال: حسن غريب صحيح.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٥٩)، وكذا الدارمي في «السنن» (٢٨١٦). قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٢/ ٩٤٣): فيه أزهر بن سنان لا شيء في الحديث.

المتواضعون، كذلك أبعد الناس من الله الجبارون.

والتواضع صفة النبيين؛ ألا ترى قوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[ق: ٤٥]؟

وفي عيسى عليه السلام: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[مريم: ١٤]؟

وقال حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[مريم: ٣٢]؟

والجبار الشقي: الذي يقتل على الغضب كما رواه ابن أبي حاتم عن سفيان.

وقال العوام بن حوشب رحمه الله تعالى: إنك لا تكاد تجد عاقاً إلا تجده جباراً، ثم قرأ الآية. رواه ابن أبي حاتم[1].

٦١ ـ ومنها: استصغار الذنب، والاستخفاف به، والأمن من عقوبته، وعدم مراقبة الله تعالى في كل الأحوال.

قال الله تعالى في أهل الإفك: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٥].

وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ـ وأبهم رفعه ـ والبيهقي موقوفاً على ابن مسعود، ومرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ يَرى ذَنْبَهُ كَالْجَبَلِ فَوْقَهُ يَخافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَالْمُنافِقُ يَرى ذَنْبَهُ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٠٩).

كَذُبابٍ مَرَّ عَلى أَنْفِهِ فَأَطارَهُ»[1].

وروى ابن أبي الدنيا في «الإخلاص» عن أبي قلابة رحمه الله تعالى ـ مرسـلاً ـ قال: «أَبْعَدُ النَّاسِ مِنَ اللهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ رَجُلٌ لا يُراقِبُ اللهَ ﷻ فِي السِّرِّ، وَرَجُلٌ يُجالِسُ الأُمَراءَ، كُلَّما قالَ شَيْئاً قالَ: صَدَقَ الأَمِيرُ».

٦٢ ـ ومنها: تمني المغفرة مع الإصرار على المعاصي.

روى الإمام أحمد في «الزهد»، وأبو الشيخ، وأبو نعيم عن الحسن رحمه الله تعالى قال: المؤمن يعلم أن ما قال الله كما قال الله، والمؤمن أحسن الناس عملاً، وأشد الناس خوفاً، لو أنفق جبلاً من مال ما أمن دون أن يعاين، لا يزداد صلاحاً وبراً وعبادة إلا ازداد فرقاً، يقول: لا أنجو.

والمنافق يقول: سواد الناس كثير، وسيغفر لي، ولا بأس علي، فينسى العمل، ويتمنى على الله تعالى[2].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الحذر» عن فضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: إنما هو الأمن والخوف؛ فالمؤمن خائف وَجِلٌ وإن كان محسناً، والمنافق آمن متمنٍّ وإن كان مسيئاً.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٤٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٨٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٥٣)، وكذا ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٨٨)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٥٩٤).

وروى ابن المبارك في «الزهد» عن الحسن قال: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمناً، وتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون: ٥٧ ـ ٥٨].

قال: وقال في المنافق: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[القصص: ٧٨][1].

٦٣ ـ ومنها: الاعتذار عن المعاصي والظلم بما ليس بعذر.

كما يحتج كثير ممن يدخل المداخل المحرمة لتحصيل الدنيا بالعيال، وكما يحتج الظلمة عن الظلم بجريان العادة، أو بكثرة ما عليهم من المؤنة.

قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾[الفتح: ١١] الآية.

٦٤ ـ ومنها: التسويف بالتوبة حتى يدركه الموت.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[النساء: ١٧ ـ ١٨].

قال أبو العالية رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٥٠).

الآية [النساء: ١٧]: هذه للمؤمنين.

وفي قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النساء: ١٨] قال: هذه لأهل النفاق.

وأنزل: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[النساء: ١٧] قال: هذه لأهل الشرك. رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتم(١).

والمعنى: أن المنافقين من شأنهم الإصرار على المعصية، والتسويف بالتوبة من حين إلى حين حتى يعاين أحدهم الموت، ويغرغر بروحه فيحال بينه وبين التوبة، وحينئذ يتوب فلا تنفعه التوبة؛ إذ «تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْعَبْدِ ما لَمْ يُغَرْغِرْ»(٢) كما صح في الحديث.

٦٥ ـ ومنها: إظهار التوبة، وطلب الدعاء من الصالحين باللسان، والقلبُ على خلاف ذلك.

قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾[الفتح: ١١].

وقالت رابعة العدوية رحمها الله تعالى: استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين(٣).

والمنافقون أكذبهم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٩٠٠ ـ ٩٠١) مفرقاً.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٣٧) وحسنه.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٧٧) من قول ذي النون.

٦٦ ـ ومنها ـ وهي أقبح أعمال المنافقين وأجمعها للشر ـ: تشبههم بمن سلف قبلهم من اليهود والنصارى، والمشركين، والمنافقين، والفجار.

كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة: ٦٩].

وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحشر: ١١] الآيات إلى قوله تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر: ١٤ ـ ١٥].

قال مجاهد في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ١٥]: هم كفار قريش(١).

وقال قتادة: هم بنو النضير(٢).

وقيل: هم بنو قينقاع(٣).

ورجحه الوالد في «تفسيره».

وقيل: بنو قريظة(٤).

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٨/ ٨٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣٤٧).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢٨/ ٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٨٤).

وكل هؤلاء يهود.

وقيل: هم كل الأمم السالفة من عهد نوح عليه السلام إلى زمان النبي ﷺ.

وإنما قال ﴿قَرِيبًا﴾ لأن مسافة الدنيا كلها قريبة لانقضائها، وكما أن كل آتٍ قريب فكل ماض منها قريب لتتابعه.

أو قال: ﴿قَرِيبًا﴾ من حيث إن القرآن قرب أحوالهم منهم مما جمعه من أخبارهم، وقصه من سننهم ووقائعهم.

واعلم أن قبائح المنافقين كثيرة لا تنحصر فيما ذكرناه.

وبالجملة لا يفعل المنافق طاعة إلا معلولة، ولا يبتعد عن معصية إلا تقية، أو في ظاهر الحال، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[التوبة: ٦٧]؛ أي: المتلبسون بالفسق حقيقة لأنهم خارجون عن الأمر حقيقة بخلاف المؤمن؛ فإنه إذا وقعت منه معصية فعلى سبيل الزلة والخطأ، ولو التمس قلبه لوجده مصدقاً، ولذلك يخاف من ذنبه ويندم على فعله، ويكره ذلك من نفسه، فالفسق على ظاهره، والإيمان في قلبه، وإنما سمي إذا فعل كبيرة أو أصر على صغيرة فاسقاً احتياطاً للشهادة، وزجراً له عن المعصية، وتبكيتاً به ليرجع ويتوب، ومن ثم سمى أهل السنة الفاسق غير المنافق مؤمناً خلافاً للخوارج والمعتزلة؛ فإن الخوارج يسمونه كافراً، والمعتزلة يقولون: هو بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر.

وروى الإمام أحمد، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» عن عمر رضي الله تعالى عنه، والإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، والطبراني عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَساءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»[1].

وأنشد الحافظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى لنفسه عقب إملاء هذا الحديث كما أخبرنا شيخ الإسلام والدي عن مشايخه، عنه: [من الكامل]

الْمَرْءُ يَذْهَلُ حِينَ يَفْعَلُ سَيِّئاً ... وَيَعُودُ بِالإِيْمانِ وَالإِحْسانِ

فَإِذا نَدِمْتَ عَلى الْخَطَأ وَفَرِحْتَ بِالْـ ... ـحُسْنَى فَذَاكَ عَلامَةُ الإِيْمانِ

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن عمران العَمِّي قال: جاء رجل إلى حذيفة رضي الله تعالى عنه فقال: يا أبا عبدالله! إني أخشى أن أكون منافقاً.

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (1/ 18)، والنسائي في «السنن الكبرى» (9222)، وابن حبان في «صحيحه» (6728)، وكذا الترمذي (2165) وصححه عن عمر رضي الله تعالى عنه.
والإمام أحمد في «المسند» (5/ 251)، وابن حبان في «صحيحه» (176)، والحاكم في «المستدرك» (35) عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه.
والإمام أحمد في «المسند» (4/ 398) عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه.

قال: تصلي إذا خلوت؟ وتستغفر إذا أذنبت؟

قال: نعم.

قال: اذهب، فما جعلك الله منافقاً[1].

وروى الإمام أحمد ـ وحسنه ابن حجر ـ عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَالإِيمانِ مَثَلُ فَرَسٍ فِي آخِيَتِهِ[2]، يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَتِهِ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ؛ فَأَطْعِمُوا طَعامَكُمُ الأَتْقِياءَ، وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمْ»[3].

وروى البزار، والطبراني بإسناد حسن، عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: المؤمن واهٍ راقعٌ، وسعيدٌ من مات على رقعة[4].

وقوله: واهٍ راقعٌ؛ أي: مذنب مستغفر، مِنْ وَهَى السِّقاء: إذا انفتق خرزه.

وروى عبد بن حميد، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٢٥١).

(٢) الآخية: العروة التي تشد بها الدابة.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٥٥)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (٦١٦).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٦٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠١): رواه البزار والطبراني وفيه سعيد بن خالد الخزاعي، وهو ضعيف.

عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ ذَنْباً يَعْتادُهُ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، أَوْ ذَنْباً لا يَتْرُكُهُ حَتَّى يَمُوتَ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ خَطَّاءً نَسَّاءً، فَإِذا ذُكِّرَ ذَكَرَ»[1].

والفينة ـ بفتح الفاء، وسكون الياء التحتانية، وبعدها نون ـ: الحالة، والساعة.

والحاصل: أن المؤمن ـ وإن جرى عليه الحكم بالفسق والذنب ـ فإنه يرجع إلى تصديق قلبي، وإيمان سري، فكأنه بصدد التوبة في كل وقت وحين.

على أن المنافق ـ وإن توغل في النفاق، وتمحض قلبه به ـ فباب التوبة له مفتوح أيضاً كسائر المشركين، فهو ـ وإن تمادى في أنواع النفاق وأخلاق المنافقين ـ فالتوبة غير محجوبة عنه.

حتى إن من الناس من تجري عليه أحوال المنافقين والمارقين سائر عمره، فيتداركه الله تعالى بإيمان مقبول، وتوبة صحيحة، ولو قبل الغرغرة بالموت.

وقد يتخلق بأخلاق المؤمنين ويعمل أعمال المسلمين سائر عمره، ثم يختم له بالنفاق؛ والعياذ بالله تعالى.

---

(١) رواه عبد بن حميد في «المسند» (٦٧٤) (١/ ٢٢٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٢٤).

ومصداق ذلك في الحديث الصحيح[1].

وتأمل أمر إخوة يوسف عليه وعليهم السلام كيف جرى منهم أخبارهم لقتل يوسف وتغريبه، ثم طرحهم إياه في الجب، ثم كذبهم لأبيه على الذئب أنه أكله، وتزويرهم على قميصه بالدم، ثم إغلاظهم عليه، ثم بيع أخيهم بالثمن البخس، و[. . .][2] ثم قولهم: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل، ثم تلافاهم الله بالتوبة، وجعلهم أنبياء، وختم لهم بالحسنى، ولم يَجْرِ عليهم نفاقُ الكفرة وإنما جرى منهم مثل أفعال المنافقين.

وقصتهم أدل دليل على أنه ليس كل من جرى عليه مثل أعمال المنافقين يكون منافقاً خالصاً، بل هو متعرض له، وجائز عليه أن يتوب ويقلع، فيعود إلى آخية الإيمان وعقدة التصديق، ويستمر حتى يطهره الله تعالى من تلك الأدناس.

نعم، توبة المنافق ينبغي أن تكون أبلغ من توبة غيره.

ومن ثم اشترط الله تعالى على التائبين من المذنبين شرطين،

---

(١) روى البخاري (٦٢٢١)، ومسلم (٢٦٤٣) عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها».

(٢) بياض في «أ» و«ت» بمقدار كلمة.

واشترط على التائبين من المنافقين أربعة شروط.

فقال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾[النساء: ١٤٦] لأنهم كانوا يعتصمون بالناس وبالأموال، وكانوا يراؤون الناس بالأعمال، ولذلك اشترط عليهم الاعتصام بالله والإخلاص لله، فينبغي أن تكون توبة كل عبد على قدر معاصيه، قليلاً بقليل، وكثيراً بكثير، ويكون التائب في الإصلاح والإحسان على قدر ما كان أفسد ليكون كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾[الكهف: ٣٠]، و﴿أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾[الأعراف: ١٧٠] كذلك. ذكره أبو طالب في كتاب «القوت»[1]، وهو حسن.

* **تَتِمَّةٌ:**

لا يخفى أن الإيمان والنفاق صفتان قلبيتان متقابلتان متضادتان، فأي خلق أو عمل اندرج في الإيمان كان علامة عليه، أو تتمة له، كان ضده مندرجاً في النفاق أو عَلَماً عليه، فينبغي أن نذكر هنا نبذة من الآيات والأحاديث الواردة في صفات المؤمن ليستدل بها على أضدادها فتجتنب.

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[البقرة: ٢٨٥] الآيتين.

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (١/ ٣١٧).

روى أبو داود في «مراسيله» عن جبير بن نفير، والحاكم وصححه، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ خَتَمَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ بِآيَتَيْنِ أَعْطانِيهِما مِنْ كَنْزِهِ الَّذِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَعَلَّمُوهُنَّ، وَعَلِّمُوهُنَّ نِساءَكُمْ وَأَبْناءَكُمْ؛ فَإِنَّها صَلاةٌ وَقُرْآنٌ وَدُعاءٌ»(1).

وقال الله تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٧٥].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[الأنفال: ٢ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الحجرات: ١٠].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢

---

(1) رواه أبو داود في «المراسيل» (ص: ١٢٠) عن جبير بن نفير.
والحاكم في «المستدرك» (٢٠٦٦) عن أبي ذر ﷺ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

والصفات هاهنا كاشفة مبينة لصفات المؤمنين.

وأما الأحاديث فنذكرها مسرودة من غير ذكر صحابتها، ولا مخرجها لأنها توجد في هذا الكتاب، أو أكثرها مخرجة، فآثرنا الاختصار هنا.

قال رسول الله ﷺ: «الإيْمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً: أَفْضَلُها قَوْلُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْناها إِماطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الإِيْمانِ»(١).

و«الإِيْمانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(٢).

«لا يَذُوقُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإِيْمانِ حَتَّى يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُما»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

«خَمْسٌ مِنَ الإِيْمانِ، مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُنَّ فَلا إِيْمانَ لَهُ: التَّسْلِيمُ لأَمْرِ اللهِ، وَالرِّضَا بِقَضاءِ اللهِ، وَالتَّفْوِيضُ إِلَى اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلى اللهِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»(1).

«الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيْمانِ، وَالْيَقِينُ الإِيْمانُ كُلُّهُ»(2).

«الإِيْمانُ الصَّبْرُ وَالسَّماحَةُ»(3).

«الإِيمانُ نِصْفانِ؛ فَنِصْفٌ فِي الصَّبْرِ، وَنِصْفٌ فِي الشُّكْرِ»(4).

«أَفْضَلُ الإِيْمانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُما كُنْتَ»(5).

---

(1) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٦): رواه البزار، وفيه سعيد بن سنان، ولا يحتج به.

(2) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥/ ٩٣١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٤) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٤٤) موقوفاً عليه. قال ابن حجر في «تغليق التعليق» (٢/ ٢٢) ـ ما معناه ـ: الموقوف صحيح، والمرفوع لا يثبت.

(3) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠١٤) عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

(4) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨١٥)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٣٧٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه يزيد الرقاشي ضعيف، كما قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠١١).

(5) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٧٩٦)، وأبو نعيم في «حلية =

«لا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيْقَةَ الإِيْمـانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ ما أَصابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَما أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»[1].

و«لا يَسْتَقِيمُ إِيْمانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَخَلائِقُهُ»[2].

«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْماناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً»[3].

«أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ سَمْحُ الْبَيعِ، سَمْحُ الشِّراءَ، سَمْحُ الْقَضاءِ سَمْحُ الاقْتِضاءِ»[4].

«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[5].

«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هُواهُ تَبعاً لِما جِئْتُ بِهِ»[6].

= الأولياء» (٦/ ١٢٤) عن عبادة بن الصامت ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٦٠): تفرد به عثمان بن كثير، ولم أر من ذكره بثقة ولا جرح.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه بمعناه ولفظه: «لا يَسْتَقِيمُ إِيْمانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسانُهُ».

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَأْمَنَ جارُهُ بَوائِقَهُ»[1].

«مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[2].

«مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ»[3].

«يا مُعاذُ! إِنَّ الْمُؤْمِنَ قَيَّدَهُ الْقُرْآنُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ هَوى نَفْسِهِ»[4].

«الطُّهورُ شَطْرُ الإِيْمانِ»[5].

«لا يُحافِظُ عَلى الْوُضوءِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ»[6].

«السِّواكُ نِصْفُ الإِيْمانِ، وَالْوُضوءُ نِصْفُ الإِيْمانِ».

«الْبَذاذَةُ مِنَ الإِيْمانِ»[7].

«إِذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيْمانِ»[8].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الحكيم الترمذي في «العقل والهوى» (ص: ٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٣١٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٠): رواه الطبراني، وفيه عمرو بن الحصين، وهو متروك.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) تقدم تخريجه.

«الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ مُؤْمِنٍ»[1].

«الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لا يَدَعُ نَصِيحَتَهُ عَلَى كُلِّ حالٍ»[2].

«الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ فَلا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلا يَخْطِبَ عَلى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَذَرَ»[3].

«الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ واحِدٍ، إِذا اشْتَكَى رَأْسَهُ تَداعَى لَهُ سائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»[4].

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسانِهِ»[5].

«إِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الإِيْمانِ»[6].

«الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلا خَيْرَ فِيْمَنْ لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ»[7].

«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْعَطَّارِ؛ إِنْ جالَسْتَهُ نَفَعَكَ، وَإِنْ ماشَيْتَهُ نَفَعَكَ، وَإِنْ شارَكْتَهُ نَفَعَكَ»[8].

---

(١) تقدم تخريجه بلفظ: «بيت كل تقي».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (١٤١٤) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٥٦٦٥)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٢٢) عن عائشة رضي الله عنها.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٥٤١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٣): فيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس.

«الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلى أَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ»[1].

«لا إِيْمانَ لِمَنْ لا أَمانَةَ لَهُ»[2].

«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»[3].

«الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيْمٌ»[4].

«الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ»[5].

«الْمُؤْمِنُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ تَخالُهُ مِنَ اللِّينِ أَحْمَقَ»[6].

«الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنونَ لَيِّنونَ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ؛ إِنْ قِيدَ انْقادَ، وَإِنْ أُنِيخَ عَلى صَخْرَةٍ اسْتَناخَ»[7].

«الْمُؤْمِنُ يَسِرُ الْمُؤْنَةِ»[8].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٢٧) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٤٩٩٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٢٧) وقال: تفرد به يزيد بن عياض وليس بالقوي وروي من وجه آخر صحيح مرسلاً.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦١٧٧)، والقضاعي في «مسند =

«الْمُؤْمِنُ واهٍ راقعٌ؛ فَالسَّعِيدُ مَنْ ماتَ عَلى رُقْعَةٍ»[1].

«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ السُّنْبُلَةِ؛ يَمِيلُ أَحْياناً، وَيَقُومُ أَحْياناً»[2].

«مِنْ تَمامِ إِيْمانِ الْعَبْدِ أَنْ يَسْتَثْنِيَ فِي كُلِّ حَدِيثِهِ»[3].

«ثَلاثَةٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيْمانِ: الإِنْفاقُ فِي الإِقْتارِ، وَبَذْلُ السَّلامِ لِلْعالَمِ، وَإِنْصافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِهِ»[4].

«ذاقَ طَعْمَ الإِيْمانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلامِ دِيْناً،

= الشهاب» (١٢٧)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣١٤) عن أبي هريرة ﷺ، وقال: قال الدارقطني: محمد بن سهل العطار ممن يضع الحديث.

قلت: ليس في إسناد البيهقي والقضاعي محمد بن سهل هذا، لكن فيه ابن لهيعة.

(١) رواه الدارقطني في «المعجم الأوسط» (١٨٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٢٣) عن جابر ﷺ. وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٢٠٠).

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (٣٠٨٠)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٧٥٩) عن أنس ﷺ، وله شواهد في الصحيحين.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٧٥٦) عن أبي هريرة ﷺ. قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٦/ ٤٥٤): معارك بن عباد، قال البخاري: منكر الحديث، قلت: وشيخه عبدالله واه، وهذا الحديث باطل.

(٤) تقدم تخريجه.

وَبِـمُحَمَّدٍ ﷺ نبِـيّاً»[1].

«خَصْلَتانِ لا يَجْتَمِعانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ»[2].

«ثَلاثَةٌ مَنْ كانَتْ فِيهِ اسْتَكْمَلَ إِيماناً: رَجُلٌ لا يَخافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، وَلا يُرائِي بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ، وَإِذا عَرَضَ عَلَيْهِ أَمْرانِ أَحَدُهُما لِلدُّنْيا وَالآخَرُ لِلآخِرَةِ اخْتارَ أَمْرَ الآخِرَةِ عَلى الدُّنْيا»[3].

«مِنْ أَخْلاقِ الْمُؤْمِنِ حُسْنُ الْحَدِيثِ إِذا حَدَّثَ، وَحُسْنُ الاسْتِماعِ إِذا حُدِّثَ، وَحُسْنُ الْبِـشْرِ إِذا لَقِيَ، وَوَفاءٌ بِالْوَعْدِ إِذا وَعَدَ»[4].

مثل المؤمن كمثل اللؤلؤة الحسنة؛ أين مالت فحسنها معها. وهذا أثر.

«ثَلاثَةٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُما، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَما يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»[5].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٤٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٦): وفيه سالم المرادي، ضعفه ابن معين والنسائي، ووثقه ابن حبان.

(٤) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٩٩٧) عن أنس رضي الله عنه.

(٥) تقدم تخريجه.

«مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيْمانَ»[1].

«ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ اسْتَوْجَبَ الثَّوابَ وَاسْتَكْمَلَ الإِيْمانَ: خُلُقٌ يَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ، وَوَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنْ مَحارِمِ اللهِ، وَحِلْمٌ يَرُدُّهُ عَنْ جَهْلِ الْجاهِلِ»[2].

«ثَلاثٌ مِنْ أَصْلِ الإِيْـمانِ: الْكَـفُّ عَنْ مَنْ قــالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَلا يُكَفِّرُ بِذَنْبٍ، وَلا يُخْرِجُهُ مِنَ الإِسْلامِ بِعَمَلٍ»[3].

«ثَلاثٌ مِنْ أَخْلاقِ الإِيْمانِ: مَنْ إِذا غَضِـبَ لَمْ يُدْخِلْهُ غَضَبُهُ فِي باطِلٍ، وَمَنْ إِذا رَضِـيَ لَمْ يُخْرِجْهُ رِضاهُ مِنْ حَقٍّ، وَمَنْ إِذا قَدِرَ لَمْ يَتَعاطَ ما لَيْسَ لَهُ»[4].

«ما آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحارِمَهُ»[5].

«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ»[6].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البزار في «المسند» (٦٤٤٣) عن أنس ﷺ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٧): فيه عبدالله بن سليمان، قـال البزار: حـدث بأحـاديث لا يتابع عليها.

(٣) رواه أبو داود (٢٥٣٢) عن أنس ﷺ.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه الترمذي (٢٩١٨) عن صهيب ﷺ. وقال: ليس إسناده بالقوي.

(٦) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٣) عن جابر ﷺ.

«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْماناً رَجُلٌ يُجاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفْسِهِ وَمالِهِ، وَرَجُلٌ يَعْبُدُ اللهَ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعابِ قَدْ كَفَى النَّاسَ شَرَّهُ»[1].

«الْمُؤْمِنُ لا يَزِيدُهُ طُولُ الْعُمُرِ إِلاَّ خَيْراً»[2].

«الْمُؤْمِنُ ينضي شَيْطانهُ كَما ينضي أَحَدُكُمْ بَعيرَهُ [في السفر]»[3].

«الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ بِشَهْوَةِ عِيالِهِ»[4].

«الْمُؤْمِنُ مُكَفَّرٌ»[5]؛ [يعني] أَنْ يَصْطَنِعَ الْمَعْرُوفَ فَلا يُشْكَرُ عَلَيْهِ[6].

«الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ»[7].

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٨٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٣) عن عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٨٠). فيه ابن لهيعة، لكن من رواية قتيبة ابن سعيد عنه، وهي مقبولة كما أشار إلى ذلك الذهبي وغيره.

(٤) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥٤٧) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٥) رواه البزار في «المسند» (١١٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٦) أدخل الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥٥٠). هذا الشرح في الحديث مع أن غالب العلماء قالوا في شرح الحديث: «مكفر» أي مرزأ في نفسه وماله لتكفر خطاياه. انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٦٩٠)، و«غريب الحديث» لابن الجوزي (٢/ ٢٩٦)، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١٨٩).

(٧) رواه أبو داود (٤٩١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وحسن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٧٩).

«الْمُؤْمِنُ كَالْغَرِيبِ فِي الدُّنْيا لا يُنافِسُ فِي عِزِّها، وَلا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّها، النَّاسُ مِنْهُ فِي راحَةٍ، وَجَسَدُهُ مِنْهُ فِي عَناءٍ»(١).

«الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخافَتَيْنِ: ذَنْبٍ قَدْ مَضَى لا يَدْرِي ما يَصْنَعُ اللهُ فِيهِ، وَعُمُرٍ قَدْ بَقِيَ لا يَدْرِي ماذا يُصِيبُ فِيهِ»(٢).

«الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعاءٍ واحِدٍ، وَالْكافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعاءٍ»(٣).

«الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعاءٍ واحِدٍ»(٤).

«الْمُؤْمِنُ يَغارُ وَاللهُ أَشَدُّ غَيْرَةً»(٥).

«الْمُؤْمِنُ لا يَشْفِي غَيْظَهُ»(٦).

«الْمُؤْمِنُ حاكِمٌ عَلى نَفْسِهِ، خاشِعٌ مُتَواضِعٌ، قَدْ بَرِيءَ مِنَ الْكِبْرِ، حَسَنُ الْخُلُقِ»(٧).

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥٦٥) عن أنس ﷺ، والمشهور أنه من قول الحسن كما في «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٢١٠).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (ص: ١٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٨١) عن الحسن البصري عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(٣) رواه البخاري (٥٠٧٩)، ومسلم (٢٠٦٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه مسلم (٢٠٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم (٢٧٦١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤/ ١٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٩٥) عن أنس رضي الله عنه.

«الْمُؤْمِنُ حَقّاً الَّذِي إِذا أَحْسَنَ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَإِذا أَساءَ ساءَتْهُ سَيِّئَتُهُ»[1].

«الْمُؤْمِنُ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الإِيْمانِ»[2].

«إِنَّ مِنْ أَخْلاقِ الْمُؤْمِنِ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِيْنٍ، وَإِيْماناً فِي يَقِيْنٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَشَفَقَةً فِي مِقَةٍ، وَحِلْماً فِي عِلْمٍ، وَقَصْداً فِي غِنَىً، وَعَمَلاً فِي فاقَةٍ، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَبْعٍ، وَكَسْباً فِي حَلالٍ، وَبِراءً فِي اسْتِقامَةٍ، وَنَشاطاً فِي هُدىً، وَنَهْياً عَنْ شَهْوَةٍ، وَرَحْمَةً لِلْمَجْهُودِ.

وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ عِبادِ اللهِ، لا يَحِيفُ عَلى مَنْ يُبْغِضُ، وَلا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ، وَلا يُضَيِّعُ ما اسْتُوْدِعَ، وَلا يَحْسُدُ، وَلا يَطْعَنُ، وَلا يَلْعَنُ، وَيَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ وَإِنْ لَمْ يُشْهَدْ عَلَيْهِ، وَلا يُنابِزُ بِالأَلْقابِ، فِي الصَّلاةِ مُتَخَشِّعاً، إِلَى الزَّكاةِ مُسْرِعاً، فِي الْبَلاءِ وَقُوراً، وَفِي الرَّخاءِ شَكُوراً، قانِعاً بِالَّذِي لَهُ، لا يَدَّعِي ما لَيْسَ لَهُ، لا يَغْلِبُهُ الشُّحُّ عَنْ مَعْرُوفٍ يُرِيدُهُ، يُخالِطُ النَّاسَ كَيْ يُفْهِمَ، وَإِنْ ظُلِمَ أَوْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ الرَّحْمَنُ هُوَ الَّذِي يَنْتَصِرُ لَهُ»[3].

---

(١) تقدم تخريجه بمعناه، وبهذا اللفظ رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥٤٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٦).

(٣) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ١) عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه.

«يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلى كُلِّ خُلُقٍ لَيْسَ الْخِيانَةَ وَالْكَذِبَ»[1].

«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الْفاحِشِ وَلا الْبَذِيْءِ»[2].

«لا يَبْهَتِ الْمُؤْمِنُ بَهْتَةً يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصارَهُمْ».

«إِنَّ الإِيْمانَ قيد الْفَتْك؛ لا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ»[3].

«مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوالِيْهِ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ»[4].

«لا يَزْنِي الزَّانِي حِيْنَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِيْنَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِيْنَ يَشْرَبُها وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[5].

«مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يَلْبَسْ حَرِيْراً وَلا ذَهَباً»[6].

«مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً»[7].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو داود (٢٧٦٩) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٣٢) عن جابر ﷺ، وهو عند مسلم (١٥٠٧) بمعناه.

(٥) رواه البخاري (٦٣٩٠)، ومسلم (٥٧).

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٦٩) عن أبي أمامة ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٤٧): رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٧) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٤٨٧) عن سليمان بن صرد ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٥٤): من رواية ابن عيينة عن =

«لَيْسَ الإِيْمانُ بِالتَّحَلِّي وَلا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ ما وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ»[1].

«لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مُسْتَكْمِلِ الإيْمانِ مَنْ لَمْ يَعُدَّ الْبَلاءَ نِعْمَةً وَالرَّخاءَ مُصِيْبَةً»[2].

«لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مُسْتَكْمِلِ الإِيْمانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي غَمٍّ ما لَمْ يَكُنْ فِي صَلاةٍ لأَنَّ الْمُصَلِّيَ يُناجِي رَبَّهُ، وَإِذا كانَ فِي غَيْرِ صَلاةٍ إِنَّما يُناجِي ابْنَ آدَمَ»[3].

«لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ واحِدٍ مَرَّتَيْنِ»[4].

«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خامَةِ الزَّرْعِ؛ مِنْ حَيْثُ أَتَتْها الرِّيْحُ كَفَتْها،

= إسماعيل ابن مسلم؛ فإن كان هو العبدي فهو من رجال الصحيح، وإن كان هو المكي فهو ضعيف، وبقيه رجاله ثقات.

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (١٧٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأعله بمحمد ابن عبد الرحمن بن مجبر، وقال: روى عن الثقات بالمناكير، وعن أبيه عن مالك بالبواطيل، والحديث من روايته عن أبيه عن مالك.
والمشهور أنه من قول الحسن كما في «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٠٣٥١)، و«الزهد» للإمام أحمد (ص: ٢٦٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٩٦): فيه عبد العزيز بن يحيى المدني، قال البخاري: كان يضع الحديث.

(٣) هو تتمة الحديث السابق.

(٤) رواه البخاري (٥٧٨٢)، ومسلم (٢٩٩٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فَإِذا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ»[1].

«لَنْ يَشْبَعَ الْمُؤْمِنُ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُوْنَ مُنْتَهاهُ الْجَنَّةَ»[2].

«الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ؛ حَيْثُ وَجَدَها فَهُوَ أَحَقُّ بِها»[3].

«الْعِلْمُ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ، وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ، وَالْعَمَلُ قَيِّمُهُ، وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ، وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ، وَالرِّفْقُ والِدُهُ، وَالدِّينُ أَخُوهُ»[4].

«الصَّلاةُ نُورُ الْمُؤْمِنِ»[5].

---

(١) رواه البخاري (٧٠٢٨)، ومسلم (٢٨٠٩) والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥٢٣)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٨٦) عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وقال: حسن غريب.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٢١٠) عن ابن عباس ﷺ.
والديلمي في «مسند الفردوس» (٤٦٥٩) عن أنس ﷺ.
والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٥٣) عن أبي هريرة ﷺ، و(١٥٢) عن أبي الدرداء ﷺ.
قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٦١): رواه أبو الشيخ في كتاب «الثواب وفضائل الأعمال» من حديث أنس بسند ضعيف، ورواه القضاعي في «مسند الشهاب» من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة، وكلاهما ضعيف.

(٥) رواه ابن ماجه (٤٢١٠)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٦٥٥) عن أنس ﷺ.
وأعله ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٤٧) بعيسى بن أبي عيسى الحناط، وهو متروك.

«الشِّتاءُ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ؛ قَصُرَ نَهارُهُ فَصامَ، وَطالَ لَيْلُهُ فَقامَ»[1].

«الدُّنْيا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَسَنَتُهُ، فَإِذا فارَقَ الدُّنْيا فارَقَ السِّجْنَ وَالسَّنَةَ»[2].

«الدُّعاءُ سِلاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمادُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ»[3].

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ القائِمِ الصَّائِمِ»[4].

«أَكْيَسُ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً لِلْمَوْتِ، وَأَحْسَنُهُمْ لَهُ اسْتِعْداداً»[5].

«الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ عَلى كُلِّ حالٍ؛ تُنْزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ تَعالَى»[6].

* * *

(١) روى شطره الأول الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧٥) عن أبي سعيد الخدري ﷺ. وأعله ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٢) وقال هذا الحديث مما استنكر على دراج.
وروراه بتمامه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٤٠).

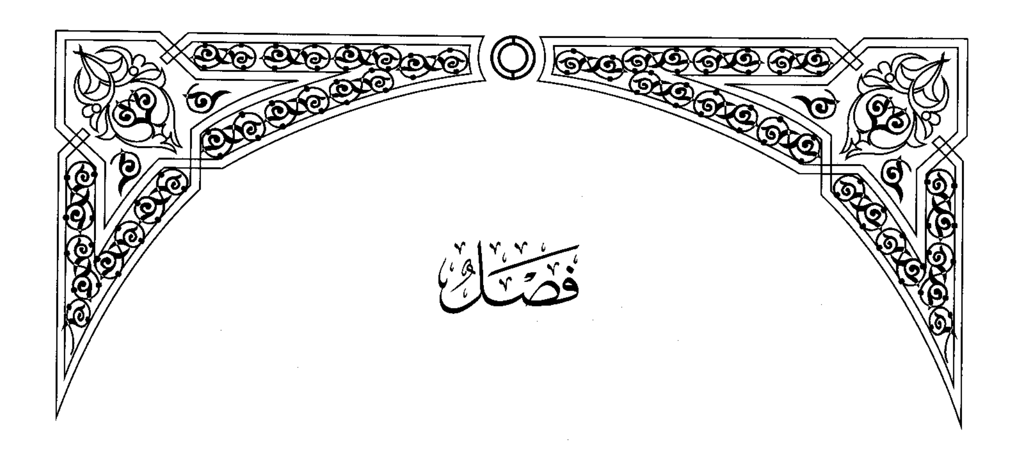
(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٨١٢) عن علي ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٦): فيه محمد ابن الحسن بن أبي يزيد، وهو متروك.

(٤) رواه أبو داود (٤٧٩٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٥) رواه ابن ماجه (٤٢٥٩)، عن عبدالله بن عمر ﵄. وفيه فروة بن قيس، قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ٤٤٤): مجهول. ورواه البيهقي بسند آخر في «شعب الإيمان» (١٠٥٤٩).

(٦) رواه النسائي (١٨٤٣) عن ابن عباس ﵄.



فصل

اعلم أن من كان متحلياً بهذه الأوصـاف الجميلة نشـهد له بالإيمان، ولا نشهد على من اتصف بأضدادها بالنفاق مهما كان مقراً بالشهادتين؛ لأن النفاق أمر باطني لم نطلع عليه.

نعم، نقول إذا ارتكب كبيرة، أو أصر على صغيرة وهو مقر بالشهادتين: هو فاسق، ولا نقول: منافق.

ولكن هذه الأعمال القبيحة والأفعال السيئة أماراتٌ على النفاق مَظِنَّاتٌ له، وعلى كل مؤمن أن يتفقد قلبه كلما حصلت منه زلة، فيتنزه عنها خشية أن يركن إليها، وتسترسل فيها نفسه، فتكون عاقبته إلى النفاق؛ والعياذ بالله!

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧].

ألا ترى أن أصل زلة هؤلاء حب الدنيا؟

وحب الدنيا رأس كل خطيئة، فركنوا إلى حب الدنيا ومالوا إليها، وزين لهم أنهم إذا حصلت لهم وكثرت لديهم تصدقوا بها، وكانوا صالحين في التصرف بها، ولم يتدبروا عواقبها ويحذروا نوائبها، فحملهم الطيش على طلبها من الله ﷻ معاهدين له أن يتصدقوا ويكونوا صالحين، فلما أوتوها ابتلوا بحبها لأن طلبهم لها كان عن هوى وشهوة، ولم يكن عن حاجة وضرورة، فبخلوا بها، ثم آل بهم البخل إلى النفاق.

ومن ثم كان السلف الصالحون يخافون على أنفسهم النفاق كثيراً كما تقدم، وكانوا يرون أن الخوف من النفاق علامة البراءة منه لأن العبد لا يخلو من معصية ما، والمعصية قد تجر إلى النفاق كما علمت، بل قد تدعو إلى التجاهر بالكفر؛ والعياذ بالله!

والدليل على ذلك قوله تعالى في اليهود: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[البقرة: ٦١].

فقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الذل، والبواء بالغضب إنما حصل لهم بسبب أنهم كانوا يكفرون بالآيات، ويقتلون الأنبياء عليهم السلام.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ ثانياً؛ أي: الكفر، وقتل الأنبياء؛ إنما كان معهم بسبب العصيان والعدوان على غير الأنبياء.

كانوا يستخفون المعصية فيما بينهم وبين الله تعالى، والتعدي على أداني الناس حتى صار ذلك لهم عادة ودَيدناً، فاسترسلوا في العصيان والعدوان حتى هان عليهم الكفر بآيات الله، فكفروا بها، فصغُر عندهم التعدي على الأنبياء حتى تجرؤوا عليهم، فقتلوهم.

والحاصل: أن العبد إذا تعاطى المكروه، وتكرر منه استجره إلى الصغيرة، فإذا فعلها وتكررت منه استجر إلى غيرها من المعاصي، ثم إلى الوقوع في الكبائر، ثم إلى الكفر والنفاق نعوذ بالله منها، وسبب ذلك غفلة العبد عن تفقد أحوال نفسه في كل وقت، وعدم الخوف على نفسه من النفاق، واغتيال القلب والتهاون بما يفعله من الذنوب، وعدم التدارك بالتوبة والاستغفار، وذلك كله خذلان من الله تعالى؛ إذ هو المقلب للقلوب، والمصرف لها، فهو الذي يلقي الغفلة عليها، ويقلبها ويصرفها كيف يشاء.

ومن ثم استعاذ النبي ﷺ من النفاق وكان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّقاقِ، وَالنِّفاقِ، وَسُوءِ الأَخْلاقِ». رواه أبو داود، والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1].

وروى الحكيم الترمذي في «النوادر»، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة»، والخطيب عن أم معبد الخزاعية رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِيَ مِنَ النِّفاقِ،

---

(١) رواه أبو داود (١٥٤٦)، والنسائي (٥٤٧١).

وَعَمَلِيَ مِنَ الرِّياءِ، وَلِسانِيَ مِنَ الْكَذِبَ، وَعَيْنِيَ مِنَ الْخِيانَةِ؛ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن رحمه الله تعالى: إن النفاق ليغتال قلب المؤمن اغتيالاً.

* تَنْبِيهٌ:

روى الطبراني بسند صحيح، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كنت عند رسول الله ﷺ إذ جاءه حرملة بن زيد فجلس بين يدي رسول ﷺ، فقال: يا رسول الله! الإيمان هاهنا ـ وأشار إلى لسانه ـ والنفاق هاهنا ـ وأشار إلى صدره ـ ولا نذكر الله إلا قليلاً.

فسكت عنه النبي ﷺ، فردد ذلك عليه حرملة رضي الله عنه، فأخذ النبي ﷺ بطرف لسان حرملة، فقال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ لِساناً صادِقاً، وَقَلْباً شاكِراً، وَارْزُقْهُ حُبِّي وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّنِي، وَصَيِّرْ أَمْرَهُ إِلى الْخَيْرِ».

فقال حرملة رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله! إن لي إخواناً منافقين كنت فيهم رأساً، ألا أدلك عليهم؟

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٢٧)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٥٥٩)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٦٧). قال ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ٣٠٩): قال ابن السكن: في إسناده نظر، وهو كما قال، فإنه من رواية فرج بن فضالة، عن ابن أنعم وهما ضعيفان.

فقال النبي ﷺ: «مَنْ جاءَنا كَما جِئْتَ اسْتَغْفَرْنا لَهُ، وَمَنْ أَصَرَّ عَلى ذَنْبِهِ فَاللهُ أَوْلَى بِهِ، وَلا نَخْرِقُ عَلى أَحَدٍ سِتْراً»[1].

قلت: فينبغي لمن عرف من نفسه النفاق، أو ظنه فيها، أو وجد من نفسه خلقاً من أخلاق المنافقين أن يتوب إلى الله تعالى كما تاب حرملة؛ فإن توبته من خالص قلبه وكان صادقاً فيها، وهذا هو حقيقة التوبة النصوح، فلما كان من الصدق بهذه المرتبة أكرمه الله تعالى بدعاء النبي ﷺ.

وفي قوله: «لا نَخْرِقُ عَلى أَحَدٍ سِتْراً» إشارة إلى أنه من تاب إلى الله تعالى من ذنب لا ينبغي له أن يفضح من هو عاكف عليه، ولا يكشف عنه ستره، بل ينصحه.

ثم إني رأيت في قوله ﷺ لحرملة: «مَنْ جاءَنا كَما جِئْتَنا اسْتَغْفَرْنا لَهُ» حيث لم يقيد المجيء بالظرف بأن يقول: من جاءنا من إخوانك، أو منهم إشارة إلى حصول تلك السعادة لكل من جاء النبي ﷺ من أمته في حال حياته ﷺ وبعد مماته تائباً مستغفراً؛ فإنه حي في قبره.

وهذا يوضحه غاية الإيضاح قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٧٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤١٠): رجاله رجال الصحيح.

ومن ثم استحسن العلماء من أصحابنا وغيرهم من أصحاب المناسك من جميع المذاهب لزائر قبر النبي ﷺ أن يقول ما روي عن محمد العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول - وفي رواية: يا خير الرسل - إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾[النساء: ٦٤] الآية، وقد جئتك مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم بكى وأنشد: [من البسيط]

يا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي القاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطابَ مِنْ طِيْبِهِنَّ القاعُ وَالأَكَمُ

نَفْسِي الْفِداءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ ساكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

قال: ثم استغفر وانصرف، فحملتني عيناي، فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عتبي! الحق الأعرابي فبشره بأن الله قد غفر له، فخرجت خلفه فلم أجده[1].

---

(١) ذكر القصة كثيرون عن العتبي دون سند، كالماوردي في «الأحكام السلطانية» (ص: ١٢٤)، وابن قدامة المقدسي في «المغني» (٣/ ٢٩٨).
وروى القصة البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٧٨) عن أبي حرب الهلالي.
قال ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص: ٣٣٧ - ٣٣٨): وهذه الحكاية التي ذكرها بعضهم يرويها عن العتبي بلا إسناد، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي، وقد ذكرها البيهقي في كتاب «شعب الإيمان» بإسناد مظلم، وقد وضع لها بعض الكذابين إسناداً إلى علي بن =

وعندي أن من أراد أن يتنصل من ذنبه فتمام توبته أن يتوجه بقلبه إلى روح النبي ﷺ حيثما كان من الأرض مهما لم يمكنه إتيان قبره الشريف، فذلك ما يمكنه من المجيء إليه، ثم يستغفر ويرجو من النبي ﷺ شفاعته له في حصول المغفرة من الله تعالى؛ فإن لذلك تأثيراً عظيماً في حصول المقصود كما قلت: [من الوافر]

إذا قارَفْــتَ ذَنْبــاً ثُــمَّ أَمْــسى ... فُــؤادُكَ مِــنْ نَدامَتِــهِ كَئِيبــاً

وَرُمْــتَ سَــلامَةً وَنَجــاحَ أَمْــرٍ ... بِخــالِصِ تَوْبَــةٍ تَمْحُــو الــذُّنُوبا

فَوَجِّــهْ وَجْــهَ قَلْبِــكَ نَحْــوَ طَــهَ ... فَإِنَّــكَ سَــوْفَ تَلْقَــاهُ قَرِيبــاً

وَكُــنْ مُــسْتَغْفِراً مِمَّــا جَنَتْــهُ ... يَداكَ وَتُبْ وَمَــنْ لَــكَ أَنْ تَتُوبــا

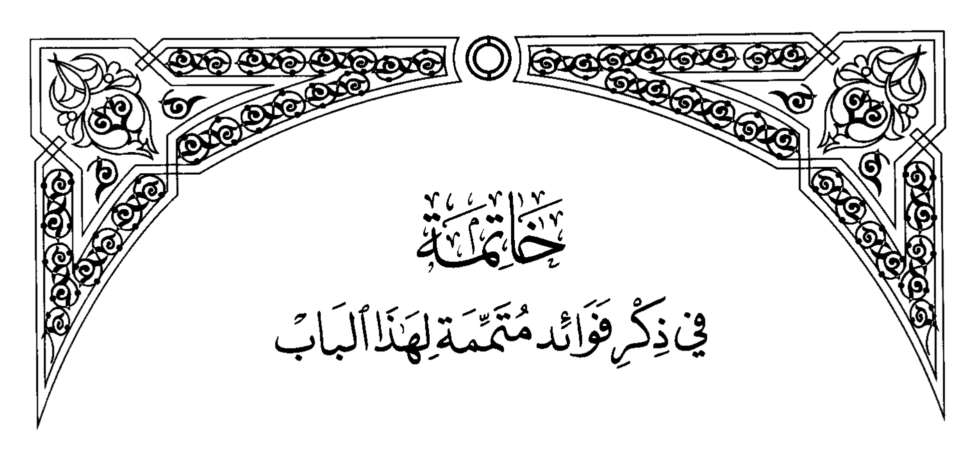
فَإِنَّــكَ سَــوْفَ تُبْــصِرُهُ شَــفِيعاً ... وَتُبْــصِرُ رَبَّنَــا الأَعْلَــى مُجِيبــاً

عَلَيْــهِ صَــلاتُنا فِــي كُــلِّ وَقْــتٍ ... تَعُــمُّ الْكَــوْنَ تَعْطِيــراً وَطِيْبــاً

وَسِــيْلَتُنا إِلَــى الــرَّحْمَنِ طَــهَ ... فَــأَكْرِمْ بِالنَّبِــيِّ لَنــا حَبِــيْباً

* * *

= أبي طالب رضي الله عنه، وفي الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما تقوم به حجة وإسنادها مظلم مختلف، ولفظها مختلف أيضاً، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على مطلوب المعترض، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم.



خاتمة
في ذكر فوائد متممة لهذا الباب

روى الفريابي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه: إنه ليأتي على الرجل أحانين وما في جلده موضع إبرة من النفاق، وإنه ليأتي عليه أحانين وما في جلده موضع إبرة من إيمان[1].

وعن خالد بن معدان رحمه الله تعالى قال: إياكم والخطرات؛ فإن الرجل قد تنافق يده دون سائر جسده[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: إنكم لتتكلمون كلاماً كنا نعده على عهد رسول الله ﷺ النفاق[3].

وروى الطبراني في «الكبير»، و«الأوسط» عنه قال: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً، وإني

(١) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٧٠).

(٢) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٨١).

(٣) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٥ / ٣٨٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٩٧): رجاله ثقات، إلا أن ليث بن أبي سليم مدلس.

لأسمعها من أحدكم في اليوم في المجلس عشر مرات[1].

وروى ابن أبي شيبة عن أبي الزناد قال: خرجت مع مولاي وأنا غلام فسمعتُ حذيفة ﷺ وهو يقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد النبي ﷺ فيصير منافقاً، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات، لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، ولتَحاضُّنَّ على الخير، أو ليُسْحِتَنَّكم الله بعذاب جميعاً، أو ليؤمرن عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم[2].

وروى الفريابي عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: المؤمن في الدنيا بين كافر يقتله ومنافق يبغضه، ومؤمن يحسده، وشيطان قد وكل به[3].

روى ابن لال في «مكارم الأخلاق» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ بَيْنَ خَمْسِ شَدائِدَ: مُؤْمِنٍ يَحْسُدُهُ، وَمُنافِقٍ يُبْغِضُهُ، وَكافِرٍ يَقْتُلُهُ، وَنَفْسٍ تُنازِعُهُ، وَشَيْطانٍ يُضِـلُّهُ»[4].

---

(١) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٥ / ٣٨٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٩٧): رواه أحمد، وفيه أبو الرقاد الجهني، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٢٢١)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٩٠).

(٣) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٦٧).

(٤) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥٤٨). قال العراقي في «تخريج =

وروى الفريابي، وأبو نعيم عن خيثمة قال: والله ما أَحَبَّ مؤمناً منافقٌ قط[1].

وروى أبو نعيم عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: لا يصطلح المؤمن والمنافق حتى يصطلح الذئب والحمل[2].

وهو بالحاء المهملة: ولد الضأن.

وروى ابن جرير عن الحسن رحمه الله تعالى: أنه تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[المائدة: ١٠٥]، فقال: الحمد لله بها، والحمد لله عليها، ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي إلا وإلى جانبه منافق يكره عمله[3].

ومعناه: أن كراهية المؤمن لعمل المنافق تكفيه.

ومحل هذا فيما إذا لم يمكنه أمره بالمعروف ولا نهيه عن المنكر مخافة الضرر؛ إذ علم الله أنه لا يقبل قوله.

= أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٤١): رواه أبو بكر بن لال في «مكارم الأخلاق» من حديث أنس بسند ضعيف.

(١) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٧٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١١٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٦).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٧/ ٩٨).

كما روى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، والطبراني، وغيرهم عن الحسن: أن ابن مسعود رضي الله عنه سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، فقال: أيها الناس! إنه ليس بزمانها؛ فإنها اليوم مقبولة، ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف، فيصنع بكم كذا وكذا، أو قال: فلا يقبل منكم، فحينئذ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة: ١٠٥](١).

وفيه دليل على سقوط الأمر والنهي عمن علم أنه لا ينفع أو لا يقبل منه.

وهو أحد قولين للعلماء، وعليه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه، وغيرُه.

والثاني: أنه لا يسقط بخلاف ما لو خاف الضرر، وهو الراجح في مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه(٢).

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي عن بريدة رضي الله

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ١٩٩)، وسعيد بن منصور في «السنن» (٤/ ١٦٥٠) بمعناه، والطبري في «التفسير» (٧/ ٩٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٧٢) بمعناه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، إلا أن الحسن البصري لم يسمع من ابن مسعود، والله أعلم.

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣٠٧ ـ ٣١٢)، و«روضة الطالبين» للإمام النووي (١٠/ ٢٢١).

تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تَقُولُوا لِلْمُنافِقِ: سَيِّدُنا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ سَيِّدَكُمْ فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ»[١].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه، وأبو عمرو الداني في «الفتن» عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُودَ كُلَّ قَبِيلَةٍ مُنافِقُوها»[٢].

وروى الداني عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: إن من أشراط [الساعة] أن توضع الأخيار، وترفع الأشرار، ويسود كل قبيلة منافقوها[٣].

وعن الحسن قال: كان يقال: يوشك أن يسود كل قبيلة منافقوها[٤].

وروى ابن السني عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٦)، وأبو داود (٤٩٧٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٧٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٧١٥) عن أبي بكرة ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٢٨): فيه مبارك بن فضالة وهو مدلس، وحبيب بن فروخ لم أعرفه.
وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٤/ ٨٠٠) عن ابن مسعود ﷺ.

(٣) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٤/ ٧٩٩).

(٤) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٤/ ٨٠١).

رسول الله ﷺ: «يَأْتِي عَلى الزَّمانِ زَمانٌ يَسْتَخْفِي الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ كَما يَسْتَخْفِي الْمُنافِقُ فِيكُمُ الْيَوْمَ»[1].

وروى ابن المبارك عن محمد بن حمزة بن عبدالله بن سلام مرسلاً: أن النبي ﷺ قال: «خَصْلَتان لا تَكُونانِ»، والترمذي ـ وقال: غريب ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خَصْلَتانِ لا تَجْتَمِعانِ فِي مُنافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ وَلا فِقْهٌ فِي الدِّينِ»[2].

وروى الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» عن ابن عمرو، وعن عقبة بن عامر، والطبراني، وابن عدي عن عصمة بن مالك رضي الله تعالى عنهم: أن النبي ﷺ قال: «أَكْثَرُ مُنافِقِي أُمَّتِي قُرّاؤُها»[3]؛ أي: الذين يقرؤون القرآن والعلم، ولا يكون لهم فقه ولا حسن سمت، أو الذين لا يعملون بما يقرؤون.

وهذا الحديث من أخوف الأحاديث على القراء والعلماء، وكم من منافق عليم اللسان حسن الصوت بالقرآن.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٥٦) عن محمد بن حمزة بن عبدالله ابن سلام.
والترمذي (٢٦٨٤) وقال غريب، عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٤): ليس له أصل من حديث عوف، وإنما يروى هذا عن أنس بإسناد لا يثبت.

(٣) تقدم تخريجه.

وروى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلْمُنافِقِ ثَلاثُ عَلاماتٍ: مَعَ الْعُلَماءِ بِالاسْمِ، وَمَعَ الزُّهَّادِ بِالْفَضائِلِ، وَمَعَ الأَغْنِياءِ بِالتَّكَلُّفِ»[1].

وروى ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْغِناءُ يُنْبِتُ النِّفاقَ فِي الْقَلْبِ كَما يُنْبِتُ الْماءُ الْبَقْلَ»[2].

وروى البيهقي في «الشعب» عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْغِناءُ يُنْبِتُ النِّفاقَ فِي الْقَلْبِ كَما يُنْبِتُ الْمَاءُ الزَّرْعَ»[3].

قال بعض الصوفية: المراد بالغناء: ضد الفقر.

وفيه نظر؛ لأن الغناء بالمد[4].

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٩٨٣).

(٢) وروى أبو داود (٤٩٢٧) بدون التشبيه، ورواه بتمامه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٢٣). قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٩٩): رواه أبو داود والبيهقي مرفوعاً وفيه راو لم يسم، ورواه البيهقي موقوفاً، وقال ابن طاهر: أصح الأسانيد في ذلك أنه من قول إبراهيم.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٠٠).

(٤) قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٢٠٠): قال بعض الصوفية: إنما المراد بالغناء هنا غنى المال، ورده بعض الأئمة أن الرواية إنما في الغناء بالمد، وأما غنى المال، فهو مقصور، قلت: ويدل عليه حديث ابن مسعود الموقوف فإن فيه: «والذكر ينبت الإيمان في القلب، كما ينبت الماء البقل» ألا تراه جعل ذكر الله مقابلا للغناء، لكونه ذكر الشيطان، كما قابل الإيمان بالنفاق.

لكن ذكر في «الإحياء» أنه ﷺ قال: «حُبُّ الْمالِ وَالشَّرَفِ يُنْبِتانِ النِّفاقَ فِي الْقَلْبِ كَما يُنْبِتُ الْماءُ الْبَقْلَ»[1].

وروى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْغِناءُ وَاللَّهْوُ يُنْبِتانِ النِّفاقَ فِي الْقَلْبِ كَما يُنْبِتُ الْماءُ الْعُشْبَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الْقُرْآنَ وَالذِّكْرَ لَيُنْبِتانِ الإِيْمانَ فِي الْقَلْبِ كَما يُنْبِتُ الْماءُ الْعُشْبَ»[2].

عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى قال: ليس على وجه الأرض أحد إلا وفيه فقر وحرص، ولكن من أخلاق المؤمنين أن يكونوا حُرَّاصاً على طلب الجنة، فقراء إلى ربهم، والمنافق حريص على الدنيا، فقير إلى الخلق[3].

قلت: ومن ثم قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤]، ولم يقل: لما تنزل لأنه لا يناله إلا ما قسم له سابقاً، ولا يحدث له ما ليس في السابقة، وما كان سؤاله إلا إظهاراً

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٢٣٢). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٣١): رواه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث أبي هريرة بسندٍ ضعيف، إلا أنه قال: «حب الغناء»، وقال: «العشب» مكان «البقل».

قلت: وبلفظ الديلمي لا شاهد فيه على أن المراد بالغناء غنى المال.

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٣١٩).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٦٦).

للعبودية والافتقار إلى ما منَّ الله تعالى، لا إلى ما منَّ الناس.

وقد قال ذلك وهو محتاج إلى رغيف أو ما يسد جوعته كما في الأثر: يتضرع المؤمن عند الحاجة افتقاراً إلى الله تعالى، وأما المنافق فتلجئه حاجته إلى التضرع إلى الناس، والافتقار إليهم وإلى ما في أيديهم، ولذلك كان رضاهم بحصول الدنيا، وسخطهم لمنعها.

والمؤمن حاله في الغنى الشكر، وفي الفقر الصبر، يرجع إلى آخِية الإيمان.

روى أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» عن حاتم الأصم رحمه الله تعالى قال: المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ بحرص، ويمنع بشك، وينفق بالرياء، والمؤمن يأخذ بالخوف، ويمسك بالسنة، وينفق لله تعالى خالصاً(١).

وعن أبي العباس بن مسروق رحمه الله تعالى قال: المؤمن يقوى بذكر الله، والمنافق يقوى بالأكل(٢).

قلت: ويدل لذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[الأنفال: ٤٥].

أمر بذكر الله تعالى لأنه يقوي القلب، وإذا قوي القلب قوي الجسد.

---

(١) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٨٨).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٩٢).

وروى ابن عساكر عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما حَلَفَ بِالطَّلاقِ مُؤْمِنٌ، وَلا اسْتَحْلَفَ بِهِ إِلاَّ مُنافِقٌ»(١).

والمراد: أن المؤمن الكامل الإيمان لا يحلف بالطلاق، ولا استحلفه إلا منافق.

ويقع في هذا الزمان كثيراً أن الرجل يحلف لآخر بكل يمين مغلظة مؤكدة فلا يصدقه حتى يحلف له بالطلاق، وكأن الوجه فيه أن المستحلف بالطلاق حيث لم يثق بالحلف بالله تعالى لم يطمئن قلبه بذكر الله تعالى، والطمأنينة بذكر الله تعالى من أخلاق المؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: ٢٨]: إذا حلف لهم بالله صدقوا، كما رواه أبو الشيخ عن السدي رحمه الله تعالى(٢).

وروى الشيخ جمال الدين بن عبد الهادي في كتاب «رائق الأخبار» عن عبدالله بن منازل رحمه الله تعالى قال: المؤمن يطلب عذر إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم(٣).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن شميط بن عجلان رحمه الله

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٧/ ٣٩٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٦٤٢).

(٣) ورواه السلمي في «آداب الصحبة» (ص: ١٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١١٩٧).

تعالى قال: إن هذه الدراهم والدنانير أَزِمَّةُ المنافقين، يقادون بها إلى السوءات[1].

وروى ابن أبي شيبة عن وهب بن منبه قال: من خصال المنافق: يحب المبرة، ويبغض الذم[2].

قلت: ووجهه أن العبد يتحقق من نفسه أنه مخلوق من تراب ومن ماء مَهين، ثم هو موصوف بالضعف ومخلوق منه، وهو متحقق بالنقص والفاقة، والخطأ، والمرض والموت، فهو أحرى بالذم لا يستوجب مدحاً إلا إن وفقه الله تعالى إلى الإيمان والعمل الصالح حتى يموت على ذلك، والخاتمة مجهولة.

فإن قلت: فما تصنع بقوله ﷺ: «إِذا مُدِحَ الْمُؤْمِنُ فِي وَجْهِهِ رَبا الإِيْمانُ فِي قَلْبِـهِ». رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم وصححه، عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما[3]؟

قلت: وجه: «رَبا الإِيْمانُ فِي قَلْبِـهِ» أنه يرى إطلاق الألسنة عليه بالمدح دليلاً على حسن الخاتمة من قبيل التفاؤل؛ إذ المؤمنون

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٧٧)، وعنده: «الحمد» بدل «المبرة».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٦٥٣٥). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٧٧).

شهداء الله في الأرض.

فإن فرح بالمدح من هذه الحيثية لم يكن فرحه من أدلة النفاق، إلا أنه متى مدح بشيء وهو يعلم من نفسه أنه متصف بضده، وكلامُ وَهْبٍ محمولٌ على غير الفرح بالحيثية المذكورة.

وعلامة زيادة إيمانه بالمدح أنه إذا مدح زادت صفته عند نفسه، وانكساره وافتقاره، فإن عظمت بالمدح نفسه، ونسي به عيبها ونقصها، وتمرد، فقد صار فرحه إلى النفاق.

وروى الإمام أحمد، والترمذي ـ وأصله في «الصحيحين» ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ؛ لا تَزالُ الرِّيحُ تفيئُهُ، وَلا يَزالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ بَلاءٌ، وَمَثَلُ الْمُنافِقِ كَمَثَلَ شَجَرَةِ الأَرُزِّ؛ لا تَهْتَزُّ حَتَّى تُسْتَحْصَدَ»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: يعرف الناس ما كانوا في عافية، فإذا نزل البلاء صاروا إلى حقائق أعمالهم؛ يرجع المؤمن إلى إيمانه، ويرجع المنافق إلى نفاقه[2].

وروى الإمام ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» عن قيس بن

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٤)، والترمذي (٢٨٦٦) وصححه، وأصله في «الصحيحين» وقد تقدم.

(٢) ورواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢١٩).

أبي حازم رضي الله تعالى عنه قال: طلَّق خالد بن الوليد امرأته، ثم أحسن عليها الثناء، فقيل له: يا أبا سليمان! لأي شيء طلقتها؟

قال: ما طلقتها لأمر رابني منها، ولكن لم يصبها عندي بلاء[1].

يعني: والمؤمن لا يخلو من البلاء.

وروى أحمد عن أبي رزين العقيلي رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! كيف يحيي الله الموتى؟

قال: «أَمَرَرْتَ بِأَرْضٍ مِنْ أَرْضِـكَ مُجْدِبةً، ثُمَّ مَرَرْتَ بِها مُخْصِبةً؟»

قال: نعم.

قال: «كَذَلِكَ النُّشُورُ».

قال: يا رسول الله! ما الإيمان؟

قال: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِواهُما، وَأَنْ تُحْرَقَ بِالنَّارِ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تُشْرِكَ بِاللهِ، وَأَنْ تُحِـبَّ غَيْرَ ذِي نَسَـبٍ لا تُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ؛ فَإِذا كُنْتَ كَذَلِكَ فَقَدْ دَخَلَ حُبُّ الإِيْمانِ فِي قَلْبِـكَ كَما دَخَلَ حُبُّ الْماءِ لِلظَّمْآنِ فِي الْيَوْمِ الْقائِظِ».

قال: قلت: يا رسول الله! كيف لي بأن أعلم أني مؤمن؟

قال: «ما مِنْ أُمَّتِي ـ أو: مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ـ عَبْدٌ يَعْمَلُ حَسَنَةً فَيَعْلَمُ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (ص: ١٦٠)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩٢٥٤).

أَنَّها حَسَنةٌ وَأَنَّ اللهَ جازِيهِ بِها خَيْراً، وَلا يَعْمَلُ سَيِّئةً، وَيَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْها وَيَعْلَمُ أَنْ لا يَغْفِرَ إِلاَّ هُوَ، إِلاَّ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[1].

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن السَّائب بن ملكان من أهل الشام ـ وكان قد أدرك الصحابة رضي الله عنهم ـ قال: لما دخل عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ الشام حَمِدَ الله تعالى، وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأمر بتقوى الله، وصلة الرحم، وصلاح ذات البين، وقال: عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة، وإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد.

لا يخلون رجل بامرأة؛ فإن الشيطان ثالثهما.

ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهو المؤمن.

وأمارة النفاق: الذي تسوؤه سيئته ولا تسره حسنته، إن عمل خيراً لم يَرْجُ من الله ثواباً، وإن عمل شراً لم يخف من الله في ذلك الشر عقوبة.

وأجمِلوا في طلب الدنيا؛ فإن الله قد تكفل بأرزاقكم، وكل سيتم له عمله الذي كان عاملاً.

استعينوا بالله على أعمالكم؛ فإنه يمحو ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٣): في إسناده سليمان بن موسى، وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم، وضعفه آخرون.

وصلى الله على نبينا وآله وعليه السلام ورحمة الله، السلام عليكم.

قال البيهقي: هذه خطبة عمر بن الخطاب ﷺ على أهل الشام، أَثَرها عن رسول الله ﷺ[1].

ونقل حجة الإسلام في «الإحياء» في رياضة النفس عن حاتم الأصم رحمه الله تعالى أنه قال: المؤمن مشغول بالفكر، والمنافق مشغول بالحرص والأمل.

والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله، والمنافق راجٍ كلَّ أحد إلا الله.

والمؤمن آمن كل أحد إلا من الله، والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله.

والمؤمن يقدم ماله دون دينه، والمنافق يقدم دينه دون ماله.

والمؤمن يحسن ويبكي، والمنافق يسيء ويضحك.

والمؤمن يحب الوحدة والخلوة، والمنافق يحب الخلطة والملأ.

والمؤمن يزرع ويخشى الفساد، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد.

والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح، والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد[2].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١٠٨٥).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٧٠).

وروى الإمام في «الزهد» عن طلحة بن مُصرِّف رحمه الله تعالى أنه قيل له: من الذي يسمن في الخصب والجدب؟ ومن الذي يهزل في الخصب والجدب؟ وما الذي هو أحلى من العسل ولا ينقطع؟

قال: أما الذي يسمن في الخصب والجدب فالمؤمن؛ إن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر.

وأما الذي يهزل فالفاجر؛ يعني: المنافق؛ إذا أعطي لم يشكر، وإن ابتُلي لم يصبر.

وأما الذي هو أحلى من العسل ولا ينقطع فهي أُلفة الله التي ألَّف بين عباده[1].

وروى البخاري في «التاريخ»، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «آيَةُ ما بَيْنَنا وَبَيْنَ الْمُنافِقِينَ أَنَّهُم لا يَتَضَلَّعُونَ مِنْ ماءِ زَمْزَمَ»[2].

وروى الأزرقي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «التَّضَلُّعُ مِنْ ماءِ زَمْزَمَ بَراءَةٌ مِنَ النِّفاقِ»[3].

وذكر أبو الليث السمرقندي عن النبي ﷺ قال: «خَمْسٌ لا تَكُونُ فِي الْمُنافِقِ: الْعِفَّةُ فِي الدِّينِ، وَالْوَرَعُ فِي اللِّسانِ، وَالسَّمْتُ فِي الْوَجْهِ،

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٥١١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

وَالنُّورُ فِي الْقَلْبِ، وَالْمَوَدَّةُ للمُسْلِمِينَ»

وروى الخطيب عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: المؤمن يحاسب نفسه ويعلم أن له موقفاً بين يدي الله تعالى، والمنافق يَغْفَل عن نفسه؛ فرحم الله تعالى عبداً نظر لنفسه قبل نزول ملك الموت به[1].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: ما صَدَّقَ عبد بالنار إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النار خلف هذا الحائط لم يصدق بها حتى يتجهَّم عليها[2].

قلت: قد يستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾[الشورى: ١٨].

وروى ابن أبي شيبة عن الحسن قال: إن المؤمنين عجلوا الخوف في الدنيا فآمنهم الله يوم القيامة، وإن المنافقين أخروا الخوف في الدنيا فأخافهم الله يوم القيامة[3].

وفي الحديث: «يَقُولُ اللهُ تَعالَى: لا أَجْمَعُ عَلى عَبْدِيَ خَوْفَيْنِ، وَلا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ؛ فَمَنْ خافَنِي فِي الدُّنْيا أَمَّنْتُهُ يَومَ الْقِيامَةِ، وَمَنْ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيا أَخَفْتُهُ يَومَ الْقِيامَةِ»[4].

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٨٤).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والمراد: أن لا يخاف الله اغتراراً، أو جرأة عليه، أو عدم تصديق بوعوده، أو شكاً في قدرته سبحانه وتعالى، وهذا حال المنافقين، بخلاف ما لو كان الحامل له على ترك الخوف حسن ظنه بربه، ولا يصح هذا إلا مع الأعمال الصالحة، والأقوال السديدة، والأخلاق الجميلة.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن الضحاك رحمه الله تعالى قال: لا يضحك في الصلاة إلا منافق[1].

وروى الديلمي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ كَالثَّوْبِ الأَبْيَضِ؛ يُصِيبُهُ الْقَطْرَةُ مِنَ الدَّرَنِ فَتَسْتَبِيْنُ فِيهِ، وَالْمُنافِقُ كَالثَّوْبِ الدَّنِسِ فَلا تَسْتَبِينُ فِيهِ»[2].

وتقدم قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق لوجدتموه أسود[3].

وهو استعارة لصفاء قلب المؤمن وخلوه من أمراض القلب، ولِدَرَنِ قلب المنافق وامتلائه من الأمراض؛ عافانا الله تعالى منها.

وروى الفريابي عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاثة: منافق يقرأ القرآن لا يخطىء فيه واواً ولا ألفاً، يجادل الناس أنه أعلم منهم ليضلهم عن الهدى، وزلة عالم، وأئمة مضلون[4].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٥٦٤).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٥٤).

وتقدم في الحديث الصحيح تمثيل المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأَتْرُجة، والذي لا يقرأ القرآن بالتمر، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن بالريحانة، والذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة[1].

وأنشد في «التذكرة الحمدونية» لابن الرومي: [من البسيط]

كُلُّ الْخِلالِ الَّتِي فِيكُمْ مَحاسِنُكُمْ ... تَشابَهَتْ فِـيكُمُ الأَخْـلاقُ وَالْخُلُـقُ

كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الأُتْرُنْجِ طـابَ مَعـاً ... حِملاً وَنُوراً وَطابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ[2]

وقلت في عقد الحديث المتقدم: [من البسيط]

إِنَّ الْمُنافِقَ كَالرَّيْحانِ إِنْ قَرَأَ الْـ ... ـقُرْآنَ أَوْ لا فَمِثْلُ الْحَنْظَلِ الْكَرِهِ

وَالتَّمْرُ أَوْ شَجَرُ الأُتْـرُنْجِ طـابَ ... كَما رَوَيْنـا مِثـالَ الْمُـؤْمِنِ النَّـزِهِ

وروى الطبراني في «الأوسط» عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُنافِقُ لا يَحْفَظُ سُورَةَ هُودٍ، وَبَراءة، وَيس، وَالدُّخانِ، وَعَمَّ يَتَساءَلُونَ»[3].

لا يحفظها متدبراً لها حافظاً لحدودها، فربما وجد في حفاظ القرآن من جمع كثيراً من خصال المنافقين، اللهم إلا أن يقال: إن من حفظ تلك السور فلا يتركهن أن يختم له بالإيمان.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «التذكرة الحمدونية» لابن حمدون (٢/ ٢٢٧)

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٥٧٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٥٧): فيه نهشل بن سعيد، وهو متروك.

وروى الديلمي عن عبدالله بن جراد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُنافِقُ لا يُصَلِّي الضُّحَى وَلا يَقْرأُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾»[1].

وروى الطبراني في «الكبير» عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنُ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَعَمَلُ الْمُنافِقِ خَيْرٌ مِنْ نِيَّتِهِ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلى نِيَّتِهِ، فَإِذا عَمِلَ الْمُؤْمِنُ عَمَلاً نارَ فِي قَلْبِهِ نُوراً»[2].

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن رحمه الله تعالى قال: المؤمن يبلغ بنيته وتضعف قوته، والمنافق تضعف نيته وتبلغ قوته[3].

وروى ابن أبي شيبة عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه: أنه قال ـ وكان في غزوة ـ: هؤلاء المشركون ـ يعني: العدو ـ وهؤلاء المؤمنون، وهؤلاء المنافقون، فيؤيد الله المؤمنين بقوة المنافقين، وينصر الله المنافقين بدعوة المؤمنين[4].

وهذا يؤيده قولُ النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ».

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٦٢١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) وانظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٦٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤١٨).

وقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذا الدِّينَ بِأَقْوامٍ لا خَلاقَ لَهُم».

وقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذا الدِّينَ بِأَقْوامٍ ما هُمْ مِنْ أَهْلِهِ». رواها الطبراني في «الكبير».

وأصل الأول في «الصحيح».

وروى الثالث الإمام أحمد، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»[1].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن عثمان بن يزيد بن حوشب قال: بعث إلي المنصور بن جعفر قال: حدِّثني بوصية الحجاج بن يوسف فقلت: اعفني يا أمير المؤمنين.

قال: حدثني بها.

فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف: أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك، عليها يحيا وعليها يموت وعليها يبعث، وأوصى بتسعمئة درع حديد؛ ستمئة منها لمنافقي أهل العراق يغزون بها، وثلاثمئة للترك.

قال: فرفع أبو جعفر رأسه إلى أبي العباس الطوسي فقال: هذه والله الشيعة، لا شيعتكم[2].

قلت: وفي وصيته لمنافقي أهل العراق جرأة عظيمة لأن الوصية دليل الميل.

---

(١) وتقدم تخريج هذه الأحاديث.

(٢) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٣٤٤).

ومثل هذه الوصية لا تصح لأن النفاق معصية، ولأن النفاق أمر قلبي، ولا يسع أحد الاعتراف به، ولا يكاد المنافقون يعرفون بالتوسم، ولو عرفوا لم يعترفوا، وكأن الحجاج تأول ما في الحديث من تأييد الدين بالرجل الفاجر، ورأى أن تأييد دولة الوليد من تأييد الدين، ولذلك قال أبو جعفر: هذه والله الشيعة.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن طارق بن عبد الرحمن قال: وقع الطاعون بالشام، فاستغرقها، فقال الناس: ما هذا إلا الطوفان، ألا إنه ليس ماء، فبلغ معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، فقام خطيباً، فقال: إنه قد بلغني ما تقولون، إنما هذه رحمة من ربكم ﷻ، ودعوة نبيكم ﷺ، وكفت الصالحين قبلكم، ولكن خافوا ما هو أشد من ذلك؛ أن يغدو الرجل منكم لا يدري أمؤمن هو أم منافق، وخافوا إمارة الصبيان[1].

وروى الفريابي عن معاوية الهذلي ـ وكان من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ قال: إن المنافق ليصلي فيكذبه الله ﷻ، ويصوم فيكذبه الله، ويتصدق فيكذبه الله، ويجاهد فيكذبه الله، ويقاتل فيُقْتَلَ، فيجعل في النار[2].

وفيه إشارة إلى أن القتل في الجهاد لا يكفر النفاق لأن المنافق

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٤٠).

(٢) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٥٩).

لا يقاتل في سبيل الله تعالى، بل يقاتل حمية، أو لطلب الدنيا.

روى الفريابي، وأبو نعيم عن مالك بن دينار قال: قرأت في التوراة: بكبرياء المنافق يحترق المسكين.

وقرأت في الزبور: انتقم من المنافق بالمنافق، ثم انتقم من المنافقين جميعاً.

قال: ونظير ذلك في كتاب الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[الأنعام: ١٢٩][١].

قلت: وفي معناه ما رواه الطبراني في «الأوسط» عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعالَى يَقُولُ: أَنْتَقِمُ مِمَّنْ أُبْغِضُ بِمَنْ أُبْغِضُ، ثُمَّ أُصَيِّرُ كُلاًّ إِلَى النَّارِ»[٢].

وروى الطبراني في «الأوسط» أيضاً عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عَلِيُّ! مَعَكَ يومَ القِيامَةِ عَصاً مِنْ عِصِيِّ الْجَنَّةِ تَذُودُ بِها الْمُنافِقِينَ عَنْ حَوْضِي»[٣].

---

(١) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٣٥٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٨٩): فيه أحمد بن بكر البالسي، وهو ضعيف.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١٠١٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٥): فيه سلام بن سليمان المدائني وزيد العمي، وهما ضعيفان، وقد وثقا، وبقية رجالهما ثقات.

قلت: لعل النكتة في ذلك أن المنافقين لا يكادون يؤمنون بالحوض ولا بالبعث كما قال الحسن في كلامه المتقدم، وإن المنافق لو كانت النار خلف هذا الحائط لم يصدق بها حتى يقتحم عليها.

ومن الشواهد لحديث أبي سعيد ما رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وجابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «عَلِيُّ بْنُ أَبِـي طالِبٍ صاحِبُ حَوْضِـيَ يَومَ القِيامَةِ»[1].

وروى أبو نعيم عن أبي قلابة رحمه الله تعالى قال: ينادي منادٍ يوم القيامة من قبل العرش: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢]، قال: فلا يبقى أحد إلا رفع رأسه.

فيقـول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٣]، فلا يبقى منافق إلا نكس [رأسه][2].

قلت: وهذا خزي عظيم للمنافق، وذَوده عن الحوض خزي آخر، بل المنافق يخزى من حين موته على النفاق، أو تخرج روحه قبيحة الهيئة، منتنة الرائحة، ثم تجري الفتنة عليه في القبر، فلا يثبته الله تعالى بالقول الثابت، بخلاف المؤمن، بل ما بعد القبر أشد عليه من القبر وما قبله.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٧): فيه ضعفاء وثقوا.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٨٦).

روى الحارث بن أبي أسامة، وأبو نعيم عن جابر رضي الله عنه: أنهم غزوا غزوة بين مكة والمدينة، فهاجت ريح شديدة دفنت الرجال، فقال النبي ﷺ: «هَذا لِمَوْتِ مُنافِقٍ».

قال: فقدمنا المدينة، فرأينا منافقاً عظيم النفاق مات يومئذ[1].

وروى الشيخان، وأبو داود، والنسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهِمْ، يَأْتِيهِ مَلَكانِ فَيُقْعِدانِهِ، فَيَقُولانِ لَهُ: ما كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذا الرَّجُلِ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ -؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَداً مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَراهُما جَمِيعاً.

وَأَمَّا الْمُنافِقُ وَالْكافِرُ فَيُقالُ لَهُ: ما كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ ما يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقالُ: لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُها مَنْ يَلِيهِ إِلاَّ الثَّقَلانِ»[2].

وروى الإمام أحمد، وابن أبي الدنيا، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٧٩)، وكذا مسلم (٢٧٨٢).

(٢) رواه البخاري (١٣٠٨)، ومسلم (٢٨٧٠)، وأبو داود (٤٧٥١)، والنسائي (٢٠٥٠).

يقول: «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِها، فَإِذا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ قَبْرَهُ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحابُهُ، جاءَهُ مَلَكٌ شَدِيدُ الانْتِهارِ فَيَقُولُ: ما كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: أَقُولُ: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَعَبْدُهُ، فَيَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ الَّذِي كانَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَنْجاكَ اللهُ مِنْهُ وَأَبْدَلَكَ بِمَقْعَدِكَ الَّذِي تَرى مِنَ النَّارِ مَقْعَدَكَ الَّذِي تَرى مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَراهُما كِلَيْهِما، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: دَعُونِي أُبَشِّرْ أَهْلِي، فَيُقالُ: اسْكُنْ.

قالَ: وَأَمَّا الْمُنافِقُ فَيُقْعَدُ إِذا تَوَلَّى عَنْهُ أَهْلُهُ، فَيُقالُ لَهُ: ما كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، أَقُولُ ما يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقالُ لَهُ: لا دَرَيْتَ، هَذا مَقْعَدُكَ الَّذِي كانَ لَكَ مِنَ الْجَنَّةِ، قَدْ أَبْدَلَكَ مَكانَهُ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ».

قال جابر: فسمعت النبي ﷺ يقول: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ فِي القَبْرِ عَلى ما ماتَ عَلَيْهِ؛ الْمُؤْمِنُ عَلى إِيمانِهِ، وَالْمُنافِقُ عَلى نِفاقِهِ»[1].

وروى اللالكائي في «السنة» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَتاهُ مَلَكانِ أَزْرَقانِ أَسْوَدانِ يُقالُ لأَحَدِهِما: مُنْكَرٌ، وَالآخَرِ: نَكِيرٌ، فَيَقُولانِ لَهُ: ما كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذا الرَّجُلِ؟ فَهُوَ قائِلٌ ما كانَ يَقُولُهُ؛ فَإِنْ كانَ مُؤْمِناً قالَ: هُوَ عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولانِ:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٠٧٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٨): رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام، وبقية رجاله ثقات.

قَدْ كُنَّا ـ وفي لفظٍ: إِنَّا كُنَّا ـ نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذا، فَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعِينَ ذِراعاً، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرَهُمْ؟ ـ مَرَّتَيْنِ ـ فَيَقُولانِ ـ وفي لفظٍ: فَيُقالُ ـ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لا يُوْقِظُهُ إِلاَّ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ.

وَإِنْ كانَ مُنافِقاً قالَ: لا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً ـ زاد في لفظ: فَكُنْتُ أَقُولُهُ ـ فَيَقُولانِ: إِنَّا كُنَّا نَعْلَمُ ـ وفي لفظٍ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ ـ تَقُولُ هَذا، فَيُقالُ لِلأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، وَتَخْتَلِفُ عَلَيْهِ أَضْلاعُهُ، فَلا يَزالُ مُعَذَّباً حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ تَعالَى مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[1].

وروى الإمام أحمد، والنسائي، والترمذي، والحاكم وصححاه، عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[الحج: ١] إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج: ٢] أنزلت هذه على النبي ﷺ وهو في سفر، فقال: «أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟»

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «ذَلِكَ يَومَ يَقُولُ اللهُ تَعالَى لآدَمَ عَلَيهِ السَّلامُ: ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ.

قالَ: يا رَبِّ! وَما بَعْثُ النَّارِ؟

قالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِئَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعونَ إِلَى النَّارِ، وَواحِدٌ إِلَى الْجَنَّةِ».

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦/ ١١٣٤).

فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ: «قارِبُوا وَسَدِّدُوا؛ فَإِنَّها لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلاَّ كانَ بَيْنَ يَدَيْها جاهِلِيَّةٌ، فَتُؤْخَذُ الْعِدةُ مِنَ الْجاهِلِيَّةِ، فَإِنْ تَمَّتْ وَإِلاَّ كَمُلَتْ مِنَ الْمُنافِقِينَ، وَما مَثَلُكُمْ وَالأُمَمَ إِلاَّ كَمَثَلِ الرَّقْمَةِ فِي ذِراعِ الدَّابَّةِ، أَوْ كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ».

ثم قال: «وَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فكبَّروا.

ثم قال: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فكبَّروا.

ثم قال: «وَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فكبَّروا.

قال: ولا أدري ذكر الثلثين، أم لا[(١)].

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن أكثر أهل الجاهلية أكثر الناس؛ إذ منهم يأجوج ومأجوج، ومن لم تبلغه الدعوة، ثم الذين بلغتهم الدعوة، فمن لم يؤمن بقي على جاهليته، ومن آمن منهم إما أن يدخل الإيمان في قلبه أو لا، ومن لم يدخل الإيمان في قلوبهم أكثر ممن لم يدخل قلوبهم، فالمنافقون أكثر المسلمين، والمؤمنون حقيقةً أقلهم، يظهر بذلك أن أكثر الناس أهل الجاهلية، ثم أكثر الناس بعدهم المنافقون.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[ص: ٢٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤٣٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٤٠)، والترمذي (٣١٦٨) وقال: حسن صحيح، والحاكم في «المستدرك» (٧٨).

وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[سبأ: ٢٠].

وتنكير الفريق للتقليل باتفاق المفسرين.

وروى الحاكم في «تاريخه» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلى النَّاسِ زَمانٌ لَوْ وَقَعَ حَجَرٌ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ ما وَقَعَ إِلاَّ عَلى امْرَأَةٍ فاجِرَةٍ، أَوْ رَجُلٍ مُنافِقٍ»[(١)].

وروى الفريابي عن ابن شوذب قال: قيل للحسن: يا أبا سعيد! اليوم نفاق؟

قال: لو خرجوا من أزقة البصرة لاستوحشتم فيها[(٢)].

وروى ابن أبي شيبة عن أبي البختري رحمه الله تعالى قال: قال رجل: اللهم أهلك المنافقين.

قال حذيفة رضي الله تعالى عنه: لو هلكوا ما انتصفتم من عدوكم[(٣)].

---

(١) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٣٤٩) عن أبي هريرة ﷺ، ثم ذكر بعده قول أنس ﷺ: «والفاجرة امرأة طلقها زوجها، ثم يقيم معها فلا يزالان يفجران».

(٢) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٨٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٣٩٣).

وروى الفريابي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

قيل: وكيف ذاك؟

قال: إن أولئك كانوا يسرون نفاقهم، وإن هؤلاء يعلنون[1].

وللمتنبي: [من الوافر]

إذا ما النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبُ ... فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُهُمْ وَذاقا

فَلَمْ أَرَ وِدَّهُمْ إِلاَّ خِداعاً ... وَلَمْ أَرَ دِيْنَهُمْ إِلاَّ نِفاقا[2]

وقلت: [من الرجز]

وَقائِلٍ ما لَكَ مِنْ رِفاقِ ... أَنْتَ وِإِيَّاهُمْ عَلى وِفاقِ

فَقُلْتُ دَعْنِي مُفْرِدَ الرَّواقِ ... لا أَصْحَبُ النَّاسَ سِوى فَواقِ

فَالْعِلْمُ أَضْحى كاسِدَ الأَسْواقِ ... وَسُوقُ أَهْلِ الْجَهْلِ فِي النِّفاقِ

ما راجَ فِي النَّاسِ سِوى النِّفاقِ ... كَالْكِذْبِ وَالرِّياءِ فِي النِّفاقِ

والنفاق آخر البيت ـ بالكسر ـ: جمع نفقة متحركاً؛ يقال: نفِقت ـ بالكسر ـ نفاق القوم؛ أي: نفدت نفقاتهم.

قال الدينوري: وأنشد أبو بكر بن أبي الدنيا لإبراهيم بن العباس:

[من مجزوء الكامل المرفل]

---

(١) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (ص: ٦٢).

(٢) انظر: «يتيمة الدهر» للثعالبي (١/ ٢٥٥).

خَـــلِّ النِّفـــاقَ وَأَهْلَـــهُ وَعَلَيْـــكَ فَـــانْتَهِجِ الطَّرِيقَـــا
وَارْغَـــبْ بِنَفْـــسِكَ أَنْ تَـــرى إِلاَّ عَـــدُوّاً أَوْ صَـــدِيقاً[1]

وقال منصور الفقيه: [من مجزوء الكامل المرفل]

الـــصِّدْقُ أَوْلَـــى مـــا بِـــهِ دانَ امْـــرُؤٌ فَاجْعَلْـــهُ دِينـــا
وَدَعِ النِّفَـــاقَ فَمَـــا رَأَيْـــ ـــتُ مُنافِقـــاً إِلاَّ مَهِينـــاً[2]

* تَنْبِيهٌ:

ليس دخول الإنسان فيما يباح له من التمتعات الدنيوية من النفاق في شيء ما دام يرجع إلى الله ﷻ في أوقات الطاعة، ولكن مهما أمكن الإنسان أن يصرف مباحاته إلى الطاعات بالنية، وتأخر عن ذلك، كان تأخره قصوراً ولو كان في مقام الأبرار لأن حسنات الأبرار سيئات عند المقربين[3]؛ أي: يرى الوقوف في مقام البر عن الترقي فيه بالنية وتكثير المنويات، أو عن الترقي إلى أفضل منه سيئة، كما يروى: كل يوم لا أزداد فيه هدى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم[4].

والسيئة قد تجر إلى أسوأ منها؛ فإن غفل العبد عن نفسه، وطالت به الغفلة يوشك أن تفضي به الغفلة ـ والعياذ بالله ـ إلى النفاق.

---

(1) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٤١٩).
(2) انظر: «الاستذكار» لابن عبد البر (٨/ ٥٧٥).
(3) تقدم الكلام عليه.
(4) تقدم بمعناه.

ومن ثم خاف حنظلة وغيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن يكون دخولهم في المباحات نفاقاً لأنهم كانوا يحملون أنفسهم على الاحتياط والعزائم لتوغلهم في محبة الله تعالى، وإقبالهم على طاعته وطاعة نبيه ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يحملهم على الرخصة تلطفاً بهم ورفقاً، ويقول: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَما يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزائِمُهُ»(١).

روى مسلم عن حنظلة بن الربيع الأسيدي قال: لقيني أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟

قلت: نافق حنظلة.

فقال: سبحان الله! ما تقول؟

قال: نكون عند رسول الله ﷺ يذكِّرنا الجنة والنار كأنَّا رأيَ عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافَسْنا الأزواج، والأولاد، والضيعات؛ نسينا كثيراً.

قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: إنَّا لنَلْقى مثل هذا.

فانطلقت أنا وأبو بكر رضي الله تعالى عنه حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ: «وَما ذاكَ؟»

قلت: يا رسول الله! نكون عندك تذكرنا الجنة والنار كأنا رأي

---

(١) تقدم تخريجه.

عينٍ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج، والأولاد، والضيعات؛ نسينا كثيراً.

فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومونَ عَلى ما تَكُونُونَ عِنْدِيَ وَفِي الذِّكْرِ لَصافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلى فُرُشِكُمْ وَطُرُقِكُمْ، لَكِنْ يا حَنْظَلَةُ ساعةً وَساعةً»؛ ثلاث مرات[1].

والمعافسة: المعالجة.

وفي رواية عن حنظلة رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا، فذكر النار، قال: ثم جئت البيت فضاحكت الصبيان، ولاعبت المرأة، قال: فخرجت، فلقيت أبا بكر رضي الله تعالى عنه، فذكرت له ذلك، فقال: وأنا فعلت مثلما تذكر، فلقينا رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! نافق حنظلة.

فقال: «مَهْ؟»

فحدثته بالحديث، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: وأنا قد فعلت مثل ما فعل.

فقال: «يا حَنْظَلَةُ! ساعَةً وَساعَةً، لَوْ كانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَما تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ»[2].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥٠).

(٢) وهذه الرواية عند مسلم (٢٧٥٠).

وروى أبو يعلى ـ ورواته ثقات ـ عن أنس ﷺ قال: غدا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! هلكنا ورب الكعبة.

قال: «وَما ذاكَ؟»

قالوا: النفاق، النفاق.

قال: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟»

قالوا: بلى.

قال: «لَيْسَ ذاكَ النِّفاقَ».

ثم عادوا الثانية؛ قالوا: يا رسول الله! فذكر مثله سواء.

ثم عادوا الثالثة: فقالوا يا رسول الله! هلكنا ورب الكعبة.

قال: «وَما ذاكَ؟»

قالوا: إنا إذا كنا عندك كنا على حالة، فإذا خرجنا من عندك همتنا الدنيا وأهلونا.

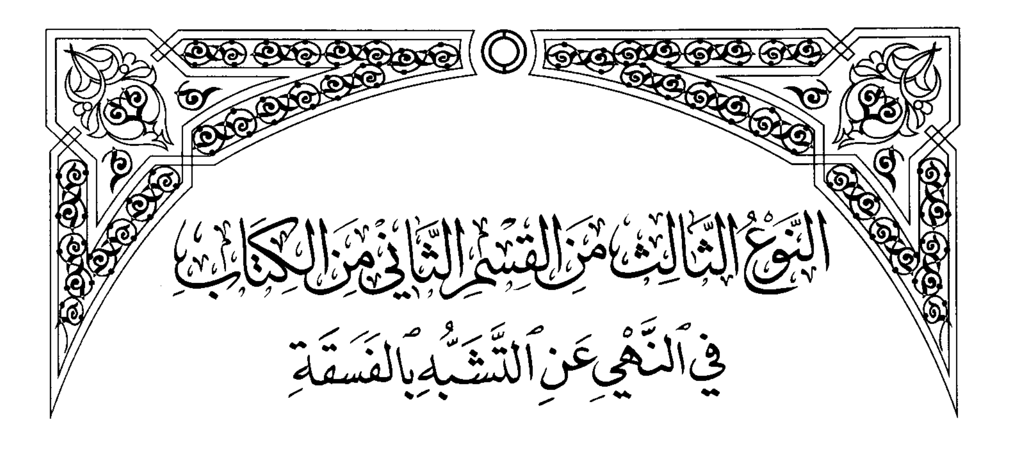
قال: «لَوْ أَنَّكُمْ إِذا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِيَ تَكُونونَ عَلى الْحالَةِ الَّتِي تَكُونُونَ عَلَيْها لَصافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ بِطُرُقِ الْمَدِينَةِ»[1].

والله الموفق.

* * *

---

(١) رواه أبو يعلى (٣٣٠٤)، وكذا الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٧٦٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣١٠): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، غير غسان بن برزين، وهو ثقة.



النوع الثالث من القسم الثاني من الكتاب
في النهي عن التشبه بالفسقة

الفاسق: إما أن يكون فسقه في اعتقاده، ويقال له: مبتدع.

وإما أن يكون في غير اعتقاده.

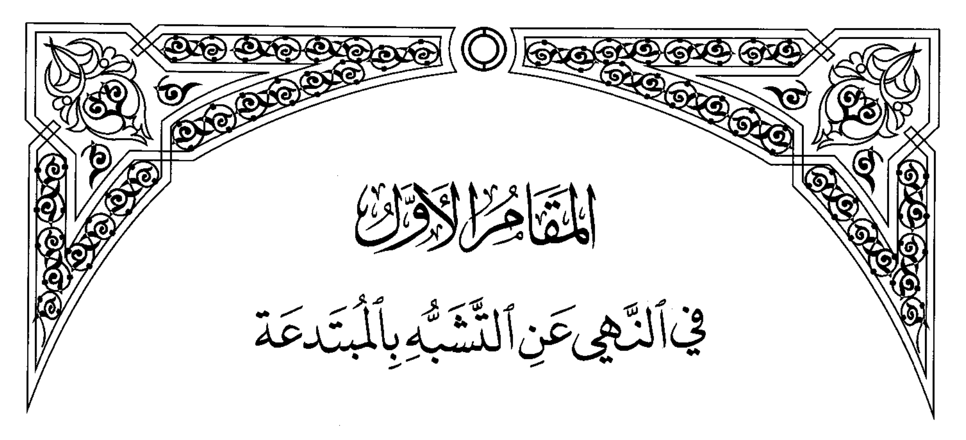
وكيف ما كان لا ينبغي للعدل أن يتشبه به، فتعين الكلام في هذا النوع في مقامين.

وأول من فسق الفسق بنوعيه إبليس؛ فإنه امتنع عن السجود المأمور به، وقاس برأيه في مقابلة النص.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

فالفسَّاق أولياء الشيطان، وفي الآية تنفير عن الفسق بليغ، وتحذير عن التشبه بالفاسقين.

* * *



المقام الأول
في النهي عن التشبه بالمبتدعة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[الأنعام: ١٥٩]؛ أي: أنت بريء منهم.

قيل: هم أهل الكتاب.

وقيل: المشركون بعضهم يعبد الملائكة، وبعضهم يعبد الأصنام.

وقيل: هم أهل البدع.

وهذا هو الأقرب؛ لأن براءة النبي ﷺ من اليهود والنصارى وسائر المشركين كانت معلومة محققة قبل نزول الآية، وإنما المراد أن الذين فرقوا دينهم من أمتك لست منهم في شيء وإن كانوا ينسبون إلى اتباعك والاقتداء بك.

روى الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[الأنعام: ١٥٩]؛ قال: هُمْ أَهْلُ الْبِدَعِ وَالأَهْوَاءِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ»[١].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٦٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣): ورجاله رجال الصحيح، غير معلل بن نفيل، وهو ثقة.

وأخرج في «الصغير» بإسناد جيد، عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: إن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله تعالى عنها: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾[الأنعام: ١٥٩]: هُمْ أَصْحابُ الْبِدَعِ وَأَصْحابُ الأَهْواءِ، لَيْسَ لهُمْ تَوْبةٌ، أنا مِنْهُمْ بَرِيْءٌ وَهُمْ مِنِّي بُرآءُ»[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[الأنعام: ٦٨].

روى ابن جرير عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله تعالى عنه وعن آبائه أنه قال: لا تجالسوا أهل الخصومات؛ فإنهم الذين يخوضون في آيات الله[2].

قال ابن العربي: وهذا يدل على أن مجالسة أهل الكبائر لا تحل. نقله القرطبي[3].

ونقل عن ابن خواز مِنداد أنه قال: من خاض في آيات الله تُركت مجالسته وهجر ـ مؤمناً كان، أو كافراً ـ.

قال: ولذلك منع أصحابنا ـ يعني: المالكية ـ الدخول [إلى] أرض العدو، ودخول الكنائس، والبِيَع، ومجالسة الكفار، وأهل البدع، وأن لا تُعتقد مودتهم، ولا يسمع كلامهم، ولا مناظرتهم.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٦٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٨): وفيه بقية ومجالد بن سعيد، وكلاهما ضعيف.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٧/ ٢٢٩).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ١٣).

وقد قال بعض أهل البدع لأبي عمران النخعي رحمه الله تعالى: اسمع مني كلمة، فأعرض عنه وقال: ولا نصف كلمة.

ومثله عن أيوب السختياني رحمه الله تعالى.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، وإذا علم الله من رجل أنه يبغض صاحب بدعة رجوت أن يغفر له.

وروى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَقَّرَ صاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعانَ عَلى هَدْمِ الإِسْلامِ»[1].

قال القرطبي: فبطل بهذا كله قول من زعم أن مجالستهم جائزة، انتهى[2].

وإذا كان هذا قول العلماء في مجالسة أهل البدع، وسماع مناظرتهم، فما ظنك بالتشبه بهم؟

---

(١) ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٧٧٢).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ١٣). والحديث تفرد به الحسن بن يحيى الخشني، قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ١٦٤): صدوق كثير الغلط. وقال ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٢٤) ـ بعد أن نقل هذا الحديث وغيره ـ: هذا أنكر ما رأيت له.

وروى أبو نعيم عن أبي خالد الأحمر رحمه الله تعالى قال: كان عمرو بن قيس المُلائي رحمه الله تعالى يقول: لا تجالس صاحب زيغ فيزيغَ قلبك[1].

وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: من سمع ببدعة فلا يَحْكِها لجلسائه، لا يلقيها في قلوبهم[2].

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم وصححه، واللالكائي عن عِرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة دمعت منها الأعين، ووَجِلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله! هذه موعظة مودع، فما تَعْهَد إلينا؟

قال: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلى الْبَيْضاءِ، لَيْلُها كَنَهارِها، لا يَزِيغُ عَنْها إلاَّ هالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً؛ فَعَلَيْكُمْ بِما عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْها بِالنَّواجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ كانَ عَبْداً حَبَشِيّاً، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ حَيْثُ قِيدَ انْقادَ»[3].

رواه أبو داود، والترمذي، وصححه بلفظ آخر[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٠٣).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٦)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ٢٢).

(٤) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وصححه.

وروى مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «أَمَّا بَعْدُ: فَأَحْسَنُ الْحَدِيثِ كِتابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[1].

وروى أبو نعيم عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ الْبِدَعِ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»[2].

وروى ابن ماجه عن حذيفة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لا يَقْبَلُ اللهُ لِصاحِبِ بِدْعَةٍ صَلاةً، وَلا صَوْماً، وَلا صَدَقَةً، وَلا حَجّاً، وَلا عُمْرَةً، وَلا صَرْفاً وَلا عَدْلاً؛ يَخْرُجُ مِنَ الإِسْلامِ كَما تَخْرُجُ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ»[3].

ومن ثم قال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله تعالى: من عمل بلا اتباع سنة فباطل عمله. رواه القشيري في «رسالته»[4].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: إياكم وما يحدث الناس من البدع؛ فإن الدين لا يَذْهب من القلوب بِمَرَّة، ولكن الشيطان

---

(١) رواه مسلم (٨٦٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٩١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٩٥٨). قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٦/ ٣٢٢): غريب جداً.

(٣) رواه ابن ماجه (٤٩). وفيه محمد بن محصن. قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ٥٠٥): كذبوه.

(٤) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ٤٥).

يحدث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام، والحلال والحرام، ويتكلمون في ربهم ﷻ، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب.

قيل: يا أبا عبد الرحمن! فإلى أين؟

قال: إلى لا أين؛ يهرب بقلبه ودينه، لا تجالس أحداً من أهل البدع[١].

وقال الحسن رحمه الله تعالى: أهل الأهواء بمنزلة اليهود والنصارى[٢].

وقال: لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم[٣].

وقال أبو الجوزاء رحمه الله تعالى: لأن يجاورني قردة وخنازير أحب إلي من أن يجاورني أحد من أصحاب الأهواء[٤].

قال أبو قلابة رحمه الله تعالى: لا تجالسوهم ولا تخالطوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلَبِّسوا عليكم كثيراً مما تعرفون[٥].

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١١٢).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣١).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٣).

(٤) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣١).

(٥) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٤).

بيَّن أبو قلابة أن النهي عن مجالستهم سببه أن مجالستهم قد تفضي إلى التشبه بهم في بدعتهم وضلالتهم.

وقال أيوب السختياني: قال لي أبو قلابة: يا أيوب! احفظ عني أربعاً: لا تقولن في القرآن برأيك، وإياك والقدرَ، وإذا ذُكر أصحابُ محمد ﷺ فأمسك، ولا تمكِّن أصحاب الأهواء من سمعك[1].

وقال قتادة رحمه الله تعالى: إن الرجل إذا ابتدع بدعة في طريق فخذ في غيره[2].

وقال إسماعيل الطوسي: قال لي ابن المبارك رحمه الله تعالى: يكون مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجالس صاحب بدعة[3].

وقال الفضيل رحمه الله تعالى: من أتاه رجل يشاوره فَدَلَّه على مبتدع فقد غَشَّ الإسلام، واحذروا من الدخول على أصحاب البدع؛ فإنهم يصدون عن الحق[4].

وقال رحمه الله تعالى: لا تجلس مع صاحب بدعة؛ فإني أخاف

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٤).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٧).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٨١).

(٤) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٣).

أن تنزل عليك اللعنة[١].

وقال: صاحب البدعة لا تأمنه على دينك، ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه، فمن جلس إلى صاحب بدعة وَرَّثه الله العمى[٢].

روى هذه الآثار اللالكائي في «السنة»، وغيره.

وقال أحمد بن عبدالله بن يونس: سمعت مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه يقول: لو أن رجلاً ارتكب الكبائر كلها ما خلا الشركَ بالله تعالى لرجوت أن يجعله الله تعالى في الفردوس الأعلى إذا سلَّمه الله تعالى من الأهواء والبدع[٣].

وقال حميد الطويل رحمه الله تعالى: دخلنا على أبي العالية الرباحي ـ ونحن شببة ـ فقال: أرى عليكم من الإسلام سيما خير إن لم تكونوا حرورية، ومن أصحاب الأهواء[٤].

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى: مَنْ برَّأه الله ﷻ من هذه الأهواء، ومن هذا السلطان فما أحسنَ حالَه[٥].

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٣).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٣٨).

(٣) رواه نصر المقدسي كما في «مختصر الحجة» (ص: ٢٩٦).

(٤) رواه نصر المقدسي كما في «مختصر الحجة» (ص: ٢٩٧).

(٥) رواه نصر المقدسي كما في «مختصر الحجة» (ص: ٢٩٧).

وقال أحمد بن أبي يونس: سمعت رجلاً يقول لسفيان ـ يعني: الثوري ـ: يا أبا عبدالله! أوصني.

قال: إياك والأهواءَ، إياك والخصومةَ، إياك والسلطانَ[1].

وقال يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى: إذا رأيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق غيره[2].

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى: العافية أربعة أشياء: دين بلا بدعة، وعمل بلا آفة، وقلب بلا شغل، ونفس بلا شهوة.

روى هذه الآثار الشيخ نصر المقدسي في كتاب «الحجة».

روى أبو نعيم عن سفيان الثوري قال: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ فإن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يتاب منها[3].

وعنه قال: من أصغى سمعَه إلى صاحب بدعة فقد خرج من عصمة الله تعالى[4].

وروى ابن أبي حاتم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾[الأعراف: ١٥٢] [عن سفيان بن عيينة] قال: كل صاحب

---

(١) رواه نصر المقدسي كما في «مختصر الحجة» (ص: ٢٩٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٦)، وكذا ابن الجعد في «مسنده» (١٨٠٩) (ص: ٢٧٢).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٦).

بدعة ذليل[1].

وروى أبو الشيخ عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى قال: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذِلَّةً تغشاه.

قالوا: أين هي؟

قال: أو ما سمعتم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الأعراف: ١٥٢]؟

قالوا: يا أبا محمد! هذه لأصحاب العجل خاصة؟

قال: اقرأ ما بعدها ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾[الأعراف: ١٥٢]، فهي لكل مفترٍ ومبتدع إلى يوم القيامة[2].

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عنه قال: لا تجد مبتدعاً إلا وجدته ذليلاً، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾[الأعراف: ١٥٢] الآية[3]؟

وأنشد ابن قتيبة في كتاب «تأويل مختلف الحديث» لعبدالله بن مصعب: [من المتقارب]

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٥٧١)، وكذا الطبري في «التفسير» (٩/ ٧٠).

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٨٠).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٢٢).

تَـرى الْمَـرْءَ يُعْجِبُـهُ أَنْ يَقُـولاَ وَأَسْـلَـمُ لِلْمَـرْءِ أَنْ لا يَقُـولا

فَأَمْسِكْ عَلَيْـكَ فُضولَ الْكَـلامِ فَـإِنَّ لِكُـلِّ كَـلامٍ فُـضُولاً

وَلا تَـصْحَبَنَّ أَخـا بِدْعَـةٍ وَلا تَـسَمَعَنَّ لَـهُ الـدَّهْرَ قِـيلا

فَـإِنَّ مَقـالَتَهُمْ كَـالظِّلا لِ تُوْشِـكُ أَفْياؤُهـا أَنْ تَـزُولا

وَقَـدْ أَحْكَـمَ اللهُ آياتِـهِ وَكـانَ الرَّسُـولُ عَلَيْهـا دَلِـيلا

وَأَوْضَـحَ لِلْمُـسْلِمِينَ الـسَّبِيلَ فَـلا تَتْبَـعَنَّ سِـواها سَبِـيلا

أُنـاسٌ لَهُـمْ رِيْبَـةٌ فِـي الـصُّدُورِ وَيُخْفُونَ فِي الْجَوْفِ مِنْها غَلِيلا

إِذا أَحْـدَثُوا بِدْعَـةً فِـي الْقُـرَانِ تَعـادَوا عَلَيْهـا فَكـانُوا عُـدُولا

فَخَلِّهِـمُ وَالَّـذِي يُحْـدِثُونَ وَوَلِّهِـمُ مِنْـكَ صَمْتاً جَمِـيلا[1]

واعلم أن البـدع كثيرة لأنها سـبل الـشيطان، وقـد تقـدم أنـها متعددة، وطريق السنة واحد كما وقعت الإشارة إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام: ١٥٣].

وقد تقـدم الكـلام على الآيـة، وأن النبي ﷺ فسر السبل بطرق الشيطان، وبين أنها متعددة، وأن سـبيل الحـق واحـد، وهو الصراط المستقيم، وهو طريق أهل السنة والجماعة، فمن انحرف عن طريقهم في الاعتقاد فهو مبتدع، أو متشبه بأهل البدعة والضلالة.

---

(١) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ٦٢).

والمـراد بطريق أهتل الـسنة والجمـاعة ما كان عليـه النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وهو ما عليه السـواد الأعظم من المـسلمين في كل زمان، وهم الجماعة، والطائفة الظاهرون على الحق، والفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة.

روى أصحاب السنن ـ وصححه الترمذي ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصارَى عَلى اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ واحِدَةٌ».

قالوا: من هي يا رسول الله؟

قال: «ما أَنا عَلَيْهِ وَأَصْحابِـي»[١].

وروي هذا الحديث من طرق أخرى:

ـ منها: رواية عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، وقال فيها: «كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةٌ واحِدَةٌ».

قالوا: من هي يا رسول الله؟

قال: «ما أَنا عَلَيْهِ وَأَصْحابِـي». حسنه الترمذي[٢].

---

(١) رواه أبـو داود (٤٥٩٦)، والترمـذي (٢٦٤٠) وصحـحه، وابن ماجـه (٣٩٩١).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤١) وقال: هذا حديث مفسر غريب.

ـ **ومنها**: رواية معاوية رضي الله تعالى عنه قال فيها: «اثْنَتانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَواحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَماعَةُ». رواه أبو داود، وغيره[1].

ـ **ومنها**: رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقال فيها: «كُلُّها فِي النَّارِ إِلاَّ واحِدَةٌ».

فقيل: وما هذه الواحدة؟

فقبض على يده، وقال: «الْجَماعَةُ؛ فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا». رواه [ابن جرير، وابن أبي حاتم].

وقوله في الآية والحديث: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران: ١٠٣] يعني: في أحوال الديانات والاعتقاد كما روي عن ابن مسعود، وغيره[2].

وقيل: المعنى: ولا تفرقوا متبعين للهوى والأغراض المختلفة.

وعليهما: فليس في الآية نهي عن الاختلاف في الفروع والأحكام؛ إذ المنهي عنه إنما هو اختلاف يؤدي إلى إفساد وتقاطع، وليس ذلك إلا في الاختلاف في العقائد والأصول.

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٧).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٤/ ٣٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧٢٣)، وابن ماجه (٣٩٩٣) مختصراً. لكن عن أنس ﷺ.

وأما الاختلاف في مسائل الاجتهاد فإنه سبب لاستخراج الحقوق والفرائض، وظهور دقائق الشريعة، ولم تزل الصحابة والعلماء بعدهم مختلفين في أحكام الحوادث، وهم مع ذلك متواصلون[1].

وفي الحديث: «اخْتِلافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ» كما نقله خلائق من العلماء؛ منهم الشيخ نصر المقدسي، والحليمي، والبيهقي، وإمام الحرمين[2].

---

(١) قال ابن قدامة المقدسي في «لمعة الاعتقاد» (ص: ٣٥): أما النسبة إلى إمام في فروع الدين، كالطوائف الأربعة فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة، واتفاقهم حجة قاطعة.

(٢) قال المناوي في «فيض القدير» (١/ ٢١٢): قال السبكي: وليس هذا الحديث بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع. وأسنده في «المدخل»، وكذا الديلمي في «مسند الفردوس» كلاهما من حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ «اختلاف أصحابي رحمة»، قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف. وقال ولده أبو زرعة: رواه أيضاً آدم بن إياس في كتاب العلم والحلم بلفظ «اختلاف أصحابي لأمتي رحمة»، وهو مرسل ضعيف. وفي «طبقات ابن سعد» عن القاسم بن محمد نحوه. وأخرج البيهقي في «المدخل» عن القاسم بن محمد، أو عمر بن عبد العزيز: لا يسرني أن أصحاب محمد لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة.

قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (١١/ ٩٢): لا يلزم من كون الشيء رحمة أن يكون ضده عذاباً، قال الخطابي: والاختلاف في الدين ثلاثة أقسام؛ أحدها في إثبات الصانع ووحدانيته، وإنكار ذلك كفر، والثاني: في صفاته ومشيئته وإنكارها بدعة، والثالث: في أحكام الفروع المحتملة وجوهاً، فهذا جعله الله تعالى رحمة وكرامة للعلماء.

ومن هذا القبيل اختلاف الأئمة الأربعة رضي الله تعالى عنهم، وكلُّهم على هدى من ربهم ورحمة، وهم مثابون مأجورون، لهم أجورهم ومثل أجور متبعيهم.

ومنه أيضاً اختلاف العلماء في العلوم الشرعية، وما يحتاج إليه فيها، حيث إن منهم من مال إلى الحديث، ومنهم من مال إلى التفسير، ومنهم من مال إلى الفقه، ومنهم من مال إلى العربية.

وكذلك اختلاف الصوفية رضي الله تعالى عنهم في رياضات النفوس وتربية المريدين؛ كل واحد سلك هو ومريدوه طريقة، فمنهم من طريق المجاهدات، ومنهم من طريقة المعاملات.

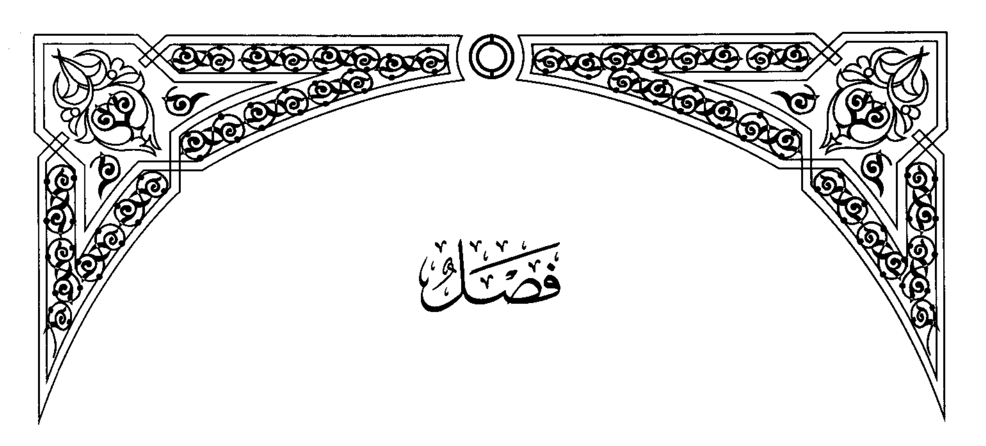
وقد قال الشيخ نجم الدين الكبري رحمه الله تعالى: الطرق إلى الله عدد أنفاس الخلائق؛ أي: من حيث السلوك لا من حيث الاعتقاد؛ فإن عقائد أولياء الله تعالى متواردة على عقيدة واحدة، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة.

وكذلك اختلاف أهل الصنائع والحِرف في صنائعهم وحرفهم؛ كل ذلك داخل في قوله ﷺ: «اخْتِلافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ».

وأما اختلافهم في الأصول فإنه عذاب كما قال رسول الله ﷺ: «الْجَماعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذابٌ». رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد المسند»، والقضاعي عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما[1].

* * *

(١) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ٣٧٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٥)، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٤٤).



فصل

حيث علمت أن المبتدعة اثنتان وسبعون فرقة خالفوا أهل السنة والجماعة في الاعتقادات، فينبغي أن نشير لك إليهم؛ إذ لا يمكننا الإحاطة بمذاهبهم، فلا أقل من الإشارة إلى تعيينهم بالألقاب، وإلى أصول مذاهبهم الخبيثة وذكر أئمتهم لتكون حَذوراً من التشبه بهم في شيء مما هم عليه؛ فإن من تشبه بفرقة منهم حُشر مع تلك الفرقة تحت لواء إمامها كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾[الإسراء: ٧١].

فالصادق المصدوق المفضل على سائر الأنبياء عليهم السلام، المقدم على جميع أهل الاقتداء، محمد بن عبدالله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي المصطفى المختار ﷺ هو إمام الفرقة الناجية يحشرون تحت لوائه، ويَرِدون حوضَه ﷺ، وغيرهم من الفرق تحت لواء معبد الجهني، أو جهم بن صفوان، أو بشر بن بسر، أو غيرهم من رؤوس الضلالة وأئمة البدعة؛ فانظر أنت تحت أي لواء تريد تكون يوم القيامة، فاعمل بعمل أهله.

روى أبو يعلى بإسناد جيد، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فِي أُمَّتِي نَيِّفاً وَسَبْعِينَ داعِياً،

كُلُّهُمْ داعٍ إِلَى النَّارِ»[1].

اعلم أن أصول الفرق ستة:

- القدرية.
- والجبرية.
- والمشبهة.
- والمرجئة.
- والخوارج.
- والشيعة.

فأما القدرية: فهم الذين يقولون: لا قدر، والأمر أنف، والعبد خالق لأفعال نفسه، ونفَوا صفات الله جميعاً، وأوجبوا تأويل أحاديث الصفات وآياتها.

وقالوا: يجب على الله تعالى مراعاة مصلحة العبد، وأنكروا رؤية الله بالأبصار يوم القيامة، وقالوا بخلود المؤمن إذا فعل كبيرة في النار ما لم يتب، وأوجبوا شكر المنعم بالعقل قبل ورود الشرع، وسموا أنفسهم: أهل التوحيد، وأهل العدل، وسماهم الناس معتزلة، وقدرية لأنهم نفوا القدر.

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٥٧٠١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٥٩): فيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات.

روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ أُمَّتِي الَّذِينَ يَقُولُونَ: لا قَدَرَ؛ إِنْ مَرِضُوا فَلا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ ماتُوا فَلا تَشْهَدُوهُمْ»[1].

ورواه أبو داود، والحاكم وصححه، ولفظهما: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ»، وذكر الحديث[2].

وروى اللالكائي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى قال: ذُكرت القدرية عند عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: إذا كان يوم القيامة جمع الناس في صعيد واحد، فينادي مناد يسمعه الأولون والآخرون: أين خصماء الله؟ فتقوم القدرية[3].

وروى الخطيب في «تالي التلخيص» عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنادِي مُنادٍ يَوْمَ القِيامَةِ: لِيَقُمْ خُصَماءُ اللهِ، وَهُمُ الْقَدَرِيَّةُ»[4].

وفي «صحيح مسلم»: أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما تبرأ من معبد الجهني وأصحابه القائلين بأن الأمر أنف، وأنه لا قدر، وقال:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٨٦).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٦).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٣٣).

(٤) رواه الخطيب البغدادي في «تالي تلخيص المتشابه» (١/ ٢٢٩). وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥١٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٤٨)، لكن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال الدارقطني في «العلل» (٢/ ٧١): الحديث غير ثابت.

والذي يحلف عليه عبدالله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قَبِلَ اللهُ منه حتى يؤمن بالقدر[1].

روى اللالكائي عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ: «ما هَلَكَتْ أُمَّةٌ قَطُّ إلاَّ بِالشِّرْكِ بِاللهِ، وَما أَشْرَكَتْ أُمَّةٌ حَتَّى يَكُونَ بَدْءُ شِرْكِها التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ»[2].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمْ يَكُنْ شِرْكٌ مُنْذُ هَبَطَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ إِلاَّ كانَ بَدْؤُهُ التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ، وَما أَشْرَكَتْ أُمَّةٌ إِلاَّ بِتَكْذِيبٍ بِالْقَدَرِ»[3].

وروى الإمام أحمد، واللالكائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رجلاً قدم علينا يكذب بالقدر فقال: دلوني عليه - وهو يومئذ أعمى - فقالوا له: ما تصنع به؟

---

(١) رواه مسلم (٨).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٢٤)، وكذا البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٦٣)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١٠٥٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٤): فيه عمر بن يزيد النصري، من بني نصر، ضعفه ابن حبان، وقال: يعتبر به.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٦٣١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٤): وفيه سلم بن سالم، ضعفه جمهور الأئمة أحمد وابن المبارك ومن بعدهم، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به.

فقال: والذي نفسي بيده! لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن دققت رقبته بيدي لأدقنها، فإني سمعت رسول الله ﷺ: «كَأَنِّي بِنِساءِ بَنِي فِهْرٍ يَطُفْنَ بِالْخَزْرَجِ تَصْطَكُّ أَلْياتُهُنَّ مُشْرِكاتٍ، وَهَذا أَوَّلُ شِرْكٍ فِي الإِسْلامِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَنْتَهِي بِهِمْ سُوءُ رَأْيِهِمْ حَتَّى يُخْرِجُوا اللهَ مِنْ أَنْ يُقَدِّرَ الْخَيْرَ كَما أَخْرَجُوهُ مِنْ أَنْ يُقَدِّرَ الشَّرَّ»[1].

قلت: هذا الحديث يدل على أن أول ما قيل في إنكار القدر أنه قيل: إن الخير بقدر الله دون الشر، ثم قيل: إنهما ليسا بقدر الله تعالى.

وروى البخاري في «التاريخ»، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، واللالكائي عن ابن عباس، وابنُ ماجه، وابن أبي عاصم في «السنة» عن جابر، وابن عباس، والخطيبُ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُما فِي الإِسْلامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِئَةُ، وَالْقَدَرِيَّةُ»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٣٠)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٢٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٤): رواه أحمد من طريقين، وفيهما أحمد بن عبيد المكي، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم، وفي إحداهما رجل لم يسم، وسماه في الأخرى العلاء بن الحجاج، ضعفه الأزدي، وقال في «المسند»: إن محمد بن عبيد سمع ابن عباس.

(٢) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ١٣٣)، والترمذي (٢١٤٩) وقال: غريب حسن صحيح، وابن ماجه (٦٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. =

وروى ابن عدي عن أبي بكر الصديق ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفانِ مِنْ أُمَّتِي لا يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ: الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ»[1].

وروى أبو نعيم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفانِ مِنْ أُمَّتِي لا تَنالُهُمْ شَفاعَتِي يومَ الْقِيامَةِ: الْمُرْجِئَةُ، وَالْقَدَرِيَّةُ»[2].

وروى اللالكائي عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمهم الله تعالى، عن أبيه، عن جده ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفانِ مِنْ أُمَّتِي لا يَرِدانِ عَلَيَّ الْحَوْضَ: الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ»[3].

وعن ابن عمر ﷺ قال: لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً؛

= وابن ماجه (٧٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٤٦٢) عن جابر، وابن عباس ﷺ.
والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣٦٧) عن ابن عمر ﷺ.
وقال: وهذا حديث منكر من هذا الوجه جداً كالموضوع.

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٥٧) وقال: منكر، ومحمد القشيري مجهول.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٤). وذكره الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ١٧٠)، ونقل عن أبي حاتم أنه سئل عن هذا الحديث وغيره، فأجاب أبو حاتم بخطه: ما روى هذه الأحاديث إلا كذاب.

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٤٢)، وكذا ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٤٦٢).

منهم نبينا ﷺ[1].

وروى الدارقطني في «العلل» عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لُعِنَتِ الْقَدَرِيَّةُ عَلى لِسانِ سَبْعِينَ نَبِيّاً»[2].

وروى البزار، والطبراني في «الكبير» - بإسنادين أحدهما صحيح - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً قَطُّ إِلاَّ يَجْعَلُ بَعْدَهُ فَتْرَةً، وَمَلأَ مِنْ تِلْكَ الْفَتْرَةِ جَهَنَّمَ».

زاد البزار: «وَهُمُ الْقَدَرِيَّةُ»[3].

وروى أبو نعيم عن مالك رحمه الله تعالى: أنه سئل عن تزويج القدرية فقرأ: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾[البقرة: ٢٢١][4].

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٤٣)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٦٢).

(٢) ورواه ابن الجوزي في «العلل» (١/ ١٤٩) بإسنادين من طريق الدارقطني، وقال: هذان حديثان لا يصحان؛ أما الأول فإن الحارث كذاب، قاله ابن المديني، وكذلك محمد بن عثمان، وفي الحديث الثاني: حصين بن مخارق، قال الدارقطني: يضع الحديث.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٥١٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٥): رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، غير صدقة بن سابق وهو ثقة، ورواه البزار.

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٦)، وكذا ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٨٨).

وعنه أنه قال: رأيي فيهم أن يستتابوا؛ فإن تابوا وإلا قتلوا؛ يعني: القدرية[١].

وعن مسعر رحمه الله تعالى أنه قال: التكذيب بالقدر أبو جاد الزندقة[٢]؛ يعني: أولها.

وفي معناه: ما روى الطبراني عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما قال: ما كانت زندقة إلا بين يديها التكذيب بالقدر[٣].

وروى الإمام أحمد، واللالكائي بسند جيد، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَسْخٌ»[٤].

زاد اللالكائي: «وَخَسْفٌ، أَلَا وَذاكَ فِي الْمُكَذِّبِينَ بِالْقَدَرِ وَالزَّنْدَقَةِ»[٥].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢١٨).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٤٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣): فيه إبراهيم بن أعين، وهو ضعيف. ورواه أيضاً ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٥٤) وأعله ببحر بن كنيز، وقال: وهو إلى الضعف أقرب منه إلى غيره.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٠٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣): وفيه رشدين بن سعد والغالب عليه الضعف.

(٥) بهذه الزيادة رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٣٤)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٠٨)، والترمذي (٢١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٦١).

وروى الإمام أحمد بسند صحيح، عن نافع رحمه الله تعالى قال: بينما نحن عند ابن عمر ﷺ قعوداً إذ جاءه رجل فقال: إن فلاناً يقرأ عليك السلام - لرجل من أهل الشام، فقال ابن عمر: إنه بلغني أنه أحدث حدثاً، فإن كان كذلك فلا تقرأنَّ عليه مني السلام؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَيَكُونُ مَسْخٌ وَقَذْفٌ، وَهُوَ فِي أَهْلِ الزَّنْدَقَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ»[1].

وفي «صحيح مسلم» عن يحيى بن يعمر رحمه الله تعالى قال: أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني[2].

وقال الحسن رحمه الله تعالى: لا تجالسوا معبد الجهني؛ فإنه ضال مضل[3].

وقال طاوس: احذروا معبد الجهني؛ فإنه قدري[4].

وقال: أدركت الناس وما يتكلمون إلا في علي وعثمان ﷺ حتى نشأ هاهنا حقير يقال له: سنسويه البقال؛ قال: وكان أول من تكلم في القدر[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٣٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم (٨).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٣٧).

(٤) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٨٩).

(٥) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٧٤٩) عن ابن عون.

وقال يونس بن عبيد رحمه الله تعالى: أدركت البصرة وما بها قدري إلا سنسويه، ومعبد الجهني، وآخر ملعون في بني عرافة[1].

وقال الأوزاعي: أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له: سوسن، وكان نصرانياً فأسلم، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد[2].

وقال حوشب رحمه الله تعالى لعمرو بن عبيد: ما هذا الذي أحدثت؟ قد نَبَتْ قلوبُ إخوانِك عنك[3].

روى هذه الآثار اللالكائي.

وروى أبو نعيم عن الأوزاعي قال: قال حسان بن عطية رحمه الله تعالى لغيلان القدري: أما والله لو[4] كنت أعطيت لساناً لم نعطه، إنا لنعرف باطل ما تأتي به.

وفي رواية: يا غيلان! إن يكن لساني يَكِلُّ عن جوابك فإن قلبي ينكر ما تقول.

قال الأوزاعي: وكان غيلان رجلاً مُفَوَّهاً[5].

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٧٤٩).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٧٥٠).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٤٧٨).

(٤) في مصدر التخريج: «لئن» بدل «لو».

(٥) رواها أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٧٢).

وكـان ممن تكـلم في القـدر: واصـل بن عطاء، وثور بن يزيد، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم.

ثم كثرت القدرية، وانقسموا إلى فئتين:

- **فمنهم** من قال: إن الله تعالى لم يقدر الشر والمعاصي، بل قالوا: الخير مخلوق لله، والشر مخلوق للشيطان، ويقال لهؤلاء: ثنوية، وهم أقدم الفرقتين.

وروى اللالكـائي عن رافـع بن خـديج رضي الله تعــالى عـنه، عن النبــي ﷺ قـال: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي قَـومٌ يَكْفـرُونَ بِاللهِ وَالْقُـرْآنِ وَهُـمْ لا يَشْعُرُونَ».

قال: قلت: ماذا يقولون يا رسول الله؟

قال: «يَقُولُونَ: الْخَيْرُ مِنَ اللهِ، وَالشَّرُّ مِنْ إِبْلِيسَ»، وذكر الحديث[1].

وقال بعض هؤلاء: إن الأعمال كلها مقدرة إلا الكفر.

ومنهم من قال: الأعمال كلها غير مقدرة مطلقاً، وهم الأكثرون.

وروى اللالكائي عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال: بلغني أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ذكر عنده قولهم في القدر فقال: ينتهي بهم سوء رأيهم حتى يُخْرِجوا اللهَ من أن يكون قدَّرَ خيراً كما

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤ / ٦١٧)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٢٧٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٨): رواه الطبراني بأسانيد في أحسنها ابن لهيعة، وهو لين الحديث.

أخرجوه من أن يكون قدَّرَ شراً[1].

* تَنْبِـيهٌ:

سبق في الحديث أن القدرية مجوس هذه الأمة، والمراد: الفرقة الأولى منهم.

وأما الثانية فهم شر من المجوس.

روى اللالكائي عن عكرمة رحمه الله تعالى قال: كنت حاضراً عند عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، فجاء رجل فقال: يا أبا عباس! أخبرني من القدرية؛ فإن الناس اختلفوا عندنا بالمشرق؟

فقال ابن عباس: القدرية قوم يكونون في آخر الزمان، دينهم الكلام، يقولون: إن الله تعالى لم يقدر المعاصي على خلقه، وهو معذبهم على ما قدَّرَ عليهم؛ فأولئك هم القدرية، وأولئك هم مجوس هذه الأمة، وأولئك ملعونون على لسان النبيين أجمعين، فلا تقاولوهم فيفتنوكم، ولا تجالسوهم، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا جنائزهم، أولئك اتِّباعُ الدجال أشهى إليهم من الماء البارد.

فقال الرجل: يا أبا عباس! لا تَجِدْ عليَّ؛ فإني سائل مُبتلى بهم.

قال: قل.

قال: كيف صار في هذه الأمة مجوس وهذه أمة مرحومة؟

قال: أُخبرك لعل الله ينفعك.

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٩٨).

قال: افعل.

قال: إن المجوس زعمت أن الله لم يخلق شيئاً من الهوام والقذر، ولم يخلق شيئاً يضر، وإنما يخلق النافع وكل شيء حسن، وإنما القذر هو الشر كله، والشر كله خَلْقُ إبليس وفعلُه.

وقالت القدرية: إن الله لم يخلق الشر ولم يبتل به، قال: وإبليس رأس الشر كله، وهو مُقِرٌّ بأن الله خالقه.

قالت القدرية: إن الله أراد من العباد أمراً لم يكن، وأخرجوه عن عز ملكه وقدرته، وأراد إبليس من العباد أمراً، وكان إبليس عند القدرية أقوى وأعز؛ أولئك القدرية ـ وكذبوا أعداء الله ـ.

إن الله يبتلي ويعذب على ما ابتلى وهو غير ظالم، لا يسأل عما يفعل، ويَمُنُّ ويثيب على منِّه إيَّاهم، وهو فعَّال لما يريد، ولكنهم أعداء الله ظنوا به ظناً فحققوا ظنهم عند أنفسهم، وقالوا: نحن العالمون، والمثابون والمعذَّبون بأعمالنا، ليس لأحد علينا منة، وذهب عليهم المن من الله والخذلان.

فقال الرجل: الحمد لله الذي منَّ بك يا أبا عباس، وفقك الله، نصرك الله، أعزك الله، أما والله لقد كنت من أشدهم قولاً أدين الله به، ولقد استبان لي قولُ الضياء، فأنا أُشهد اللهَ وأشهدكم أني تائب إلى الله، وراجع عما كنت أقوله، وقد أيقنت أن الخير من الله، وأن المعاصي خذلانه، يبتلي به من شاء من عباده، ولا مقدر إلا الله، ولا هادي ولا مضل غيره.

قال عكرمة: فما زال الرجل عندنا باكياً حتى خرج غازياً في البحر، فاستُشهد رحمه الله تعالى[1].

واعلم أن الفرقتين من القدرية عدلوا الله تعالى بخلقه، وسبق تسميتهم زنادقة، ولعل هذا وجه تسميتهم به.

وروى ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في الزنادقة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[الأنعام: ١].

قال: قالوا: إن الله لم يخلق الظلمة، ولا الخنافس، ولا العقارب، ولا شيئاً قبيحاً، وإنما خلق النور وكل شيء حسن، فنزلت فيهم هذه الآية[2].

ثم القدرية فرق:

أحدها: الواصلية: أصحاب واصل بن عطاء الغزَّال أبي حذيفة، ولم يكن غزَّالاً، ولكنه كان يلزم الغزَّالين ليعرف المنقطعات من النساء، فيجعل صدقته لهنَّ كما ذكره أبو العباس المبرد في «كامله».

وكان طويل العنق بحيث يُعَيَّر به، وكان يلثغ في الراء فيجعلها غيناً، وكان يتحرز منها حتى ضرب بتجنبه منها المثل كما قال الصاحب بن عبَّاد: [من البسيط]

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٩٤ - ٦٩٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٢٥٩).

نعَم تَجَنَّبَ (لا) يَومَ العَطاءِ كَما   تَجَنَّبَ ابْنُ عَطـاءٍ لَثْغَـةَ الـرَّاءِ[1]

وكان واصل من أصحاب الحسن البصري، فدخل رجل على الحسن رحمه الله تعالى فقال له: يا إمام الدين! لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر تخرج بهم عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرحمون أصحاب الكبيرة، والكبيرة عندهم لا تضر الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟

ففكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول: إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام، فاعتزل ومعه عمرو ابن عبيد إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب به على جماعة.

فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة[2].

وقالوا بأنه لا قدر.

وقالوا في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين:

---

(١) انظر: «يتيمة الدهر» للثعالبي (٣/ ٢٢٨).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٤٨).

أحدهما مخطىء لا بعينه.

وقالوا في عثمان رضي الله تعالى عنه، وقاتلته، وخاذلته: أحد الفريقين فاسق لا بعينه.

وقالوا: لا نجيز شهادة طلحة، والزبير رضي الله تعالى عنهما على باقة بقل.

وقالوا: يجوز أن يكون عثمان، وعلي رضي الله تعالى عنهما على الخطأ.

ووافقهم عمرو بن عبيد على مذهبهم، وزاد عليهم أنه فسق [أحد] الفريقين[1].

وروى أبو نعيم عن يونس بن عبيد: أنه عاتب ابنه في دخوله على عمرو بن عبيد، وقال له: أنهاك عن الزنا والسرقة، وشرب الخمر، ولأن تلقى الله بهن أحب إلي من أن تلقاه برأي عمرو وأصحابه[2].

وعنه قال: فتنة المعتزلة على هذه الأمة أشد من فتنة الأزارقة؛ لأنهم يزعمون أن أصحاب رسول الله ﷺ ضلوا، وأنهم لا تجوز شهادتهم لما أحدثوا، ويكذبون بالشفاعة والحوض، وينكرون عذاب القبر؛ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم، ويجب على

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٤٩).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٠).

الإمام أن يستتيبهم، فإن تابوا وإلا نفاهم عن ديار المسلمين[1].

الفرقة الثانية: الهذيلية.

أصحاب أبي الهذيل العلاف القدري، كانوا ينفون الصفات، ويقولون بأن الله عالم، وعلمه ذاته، وكذلك بقية الصفات، وأثبتوا إرادة لا في محل يكون الباري بها مريداً.

وقالوا: بعض كلام الباري لا في محل [وهو قوله]: كن، وبعضه في محل كالأمر، والنهي، والاستخبار.

وقالوا: إن حركات أهل الخلدين تنقطع فيصيرون إلى سكون دائم.

وقالوا: الحرام ليس برزق[2].

الفرقة الثالثة: النظامية.

أصحاب إبراهيم بن سَيَّار النَّظَّام القدري.

ويقال لهم: القاسطية.

قالوا: إن الله لا يقدر على الشر والمعصية، ولا على ما ليس فيه صلاح لعباده.

وقال غيرهم من المعتزلة: يقدر، ولا يفعل ذلك.

وقالوا: لا يقدر الله على زيادة أهل النعيم في نعيمهم، ولا على

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢١).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٥١، ٥٣) مختصراً بتصرف.

زيادة أهل النار في عذابهم، ولا على نقص ذلك.

وقالوا: إن الله ليس مريداً على الحقيقة، فإن وصف بالإرادة فالمراد أنه خالقها، وإذا وصف بأنه مريد لأفعال عباده فالمراد أنه أمر بها.

وقالوا كالفلاسفة: إن الإنسان في الحقيقة هو النفس والروح، والبدن آلتها.

وقالوا كالفلاسفة أيضاً: إن الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن، ولم يتقدم خلق آدم خلق أولاده، غير أن الله تعالى أكمن بعضهم في بعض.

وقالوا: إن كل ما جاوز حد القدرة من الفعل فهو من فعل الله تعالى بإيجاب الخلقة؛ أي: إن الله طبع الحجر طبعاً إذا دفعته اندفع، وإذا بلغت قوة الدفع له مبلغها عاد الحجر إلى مكانه.

وقالوا: إن الإجماع والقياس ليسا بحجة في الشرع، وإنما الحجة قول الإمام المعصوم.

وقالوا: يجب على المفكر إذا كان عاقلاً متمكناً من النظر أن يحصل معرفة الله بالنظر والاستدلال قبل ورود السمع.

وقالوا بتحسين العقل وتقبيحه في جميع ما يتصرف به من أفعاله.

ومالوا إلى الرفض أيضاً فقالوا: لا إمامة إلا بالنص، ووقع النص على علي رضي الله تعالى عنه، إلا أن عمر رضي الله تعالى عنه كتم يوم السقيفة، ووقعوا في أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، ثم عابوا علياً

رضي الله تعالى عنه، وكذبوا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في روايته: «السَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»[1]، ووقعوا في الصحابة.

وقالوا: من سرق أو ظلم دون نصاب الزكاة مئتي درهم لا يفسق[2].

وذكر ابن قتيبة في كتاب «مختلف الحديث»: أن النَّظَّام مع ما كان عليه من سوء العقيدة، كان شاطراً من الشطار، يغدو على مكر ويروح على مكر، ويبيت على حرام، ويدخل في الأدناس، ويركب الفواحش الشائنات.

قال: وهو القائل: [من البسيط]

ما زِلْتُ آخُذُ رُوحَ الزقِّ فِي لُطُفٍ ... وَأَسْتَبِيحُ دَماً مِنْ غَيْرِ مَجْرُوحِ

حَتَّى انْثَنَيْتُ وَلِي رُوحانِ فِي جَسَدٍ ... وَالزقُّ مُطَّرَحٌ جِسْمٌ بِلا رُوحِ[3]

وضُلاَّل النظامية كثيرون.

- منهم: **الأسواري**: أبو جعفر الإسكاف.

وأسوار - بفتح الهمزة -: قرية من قرى أصبهان.

زاد على ما تقدم من الاعتقادات: أن الله لا يقدر على ظلم العقلاء، بل على ظلم الأطفال والمجانين.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٥).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٥٢ - ٥٨) مختصراً بتصرف.

(٣) انظر: «مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ١٦ - ١٧).

وكذلك قال جعفر بن حرب، وجعفر بن بشر، وزاد أيضاً: أن في فساق الأمة من هو شر من الزنادقة والمجوس.

وزعم أن إجماع الصحابة على حد شارب الخمر كان خطأ، وأن سارق الحبة الواحدة فاسق منخلع من الإيمان، وقال: إن استحقاق العقاب والخلود في النار يعرف[1].

ـ ومنهم: الفضل الحدثي، وأحمد بن خابط.

زادا أنهما أثبتا حكماً من أحكام الإلهية في المسيح كالنصارى، فزعما أنه هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، وتأولوا عليه قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر: ٢٢]، وقالا: هو الذي يأتي في ظُلل من الغمام.

وقالا ـ وتبعهما أحمد بن أيوب بن مانوس المعتزلي من تلامذة النَّظَّام أيضاً ـ بالتناسخ.

قالوا: خلق الله داراً غير هذه الدار، وخلق فيها خلقاً وأمرهم بطاعات، فمن أطاعه في الكل أقره في دار النعيم، ومن عصاه في الكل أخرجه إلى دار العذاب المهين وهي النار، ومن أطاعه في البعض وعصاه في البعض أخرجه إلى دار الدنيا، وابتلاه بالخير والشر، والشدة والرخاء، والآلام واللذات على صور مختلفة من صور الناس، وسائر الحيوانات، وكلما كثرت طاعته وقلت معاصيه كانت

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٥٨ ـ ٥٩) مختصراً بتصرف.

صورته أحسن، ثم لا يزال الحيوان يتقلب في الدنيا ما دامت معه ذنوبه وطاعاته.

وقال أحمد بن مانوس: متى صارت النوبة إلى رتبة النبوة والملك، أو إلى رتبة البهيمة ارتفع التكلف.

وقال الآخر: لا يرى الباري ذاهب العقل البتة، وحملوا نحو حديث: «سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَومَ القِيامَةِ كَما تَرَونَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ» على رؤية العقل الأول، فهما يقولان بالفلسفة، والتناسخ، والاغترار[1].

الفرقة الرابعة: البِشرية.

أصحاب بشر بن المعتمر المعتزلي، وهم الذين أحدثوا القول بالتولد، وزعموا أن الإدراكات كلها من الرؤية والسمع كاللون والطعم يجوز أن تكون متولدة من فعلي العبد.

وقالوا: الاستطاعة سلامة البنية، وتخليتها من الآفات.

وقالوا: لا يجب على الله رعاية الأصلح لأنه لا غاية لما يقدر عليه من الصلاح، وإنما يجب أن يمكن العبد بالقدرة والاستطاعة، ويزيح العلل بالدعوة والرسالة، وإذا تاب العبد من كبيرة ثم راجعها عاد إلى استحقاق العقوبة الأولى[2].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٦٠ ـ ٦٣) مختصراً بتصرف.

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٦٤ ـ ٦٥) مختصراً بتصرف.

الفرقة الخامسة: المعمرية.

أصحاب معمر بن عباد السلمي، سموا أنفسهم أصحاب المعاني، وهم أعظم القدرية فِرية في نفي الصفات والقدر.

وقالوا: إن الله ـ تعالى عن قولهم ـ لم يخلق شيئاً غير الأجسام والعرض من اختراعات الأجسام، إما طبعاً كحرق النار، أو اختياراً كالحيوان يُحدث الحركة.

وقالوا: إرادة الله للشر غير الله، وغير خلقه للشيء، وغير الأمر والإخبار والحكم، فأشاروا إلى شيء مجهول.

وقالوا: ليس للعبد فعل سوى الإرادة.

وحقيقة الإنسان عندهم كالفلاسفة معنى آخر هو غير الجسد، وهو عالم قادر، مختار حكيم، لا متحرك ولا ساكن، ولا يرى ولا يحس، ولا يحويه مكان ولا زمان.

وكانوا لا يقولون: إن الله قديم.

وقيل: كانوا يقولون: محال أن يعلم الله نفسه، وأن يعلم غيره[1].

الفرقة السادسة: المردارية.

أصحاب عيسى بن صبيح الملقب بالمردار، كان يسمى: راهب المعتزلة، أخذ عن بشر بن المعتمر، ويقول في التولد، وزاد:
أنه جوز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد.

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٦٦ ـ ٦٨) مختصراً بتصرف.

وقالوا: إن الناس قادرون على مثل القرآن، وكفَّروا من قال بقِدَم القرآن، ومن لابس السلطان، ومن قال: إن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وغلَوا في التكفير حتى كفَّروا الناس في قولهم: لا إله إلا الله.

وحكي أن إبراهيم السندي سأل إمامهم عن أهل الأرض جميعاً فكفَّرهم، فقال له إبراهيم: الجنة التي عرضها كعرض السموات لا يدخلها إلا أنت وثلاثة وافقوك؟ فخزي.

وقالوا: خلق القرآن في اللوح المحفوظ، وما نقرؤه حكاية عنه، وليس به.

وأوجبوا معرفة الله تعالى بالعقل قبل الشرع.

وقالوا بتحسين العقل وتقبيحه[1].

روى اللالكائي عن محمد بن أبي كبشة قال: سمعت هاتفاً يهتف في البحر يقول: لا إله إلا الله، كذب المريسي على الله.

قال: ثم هتف ثانية: لا إله إلا الله، على ثمامة والمريسي لعنه الله.

قال: وكان معنا في المركب رجل من أصحاب المريسي، فَخَرَّ ميتاً[2].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٦٨ ـ ٧٠) مختصراً بتصرف.

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٨٤)، وكذا ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٩٢).

الفرقة السابعة: الثمامية.

أصحاب ثمامة بن أشرس التميمي المعتزلي.

قالت الثمامية: المتولدات لا فاعل لها.

وقالوا: الكفار، والزنادقة، والدهرية، والبهائم، والأطفال كلهم يصيرون يوم القيامة تراباً.

وهم في الاستطاعة كالبشرية، والتقبيح كالمردارية[1].

وقال ابن قتيبة ـ وذكر ثمامة ـ: ومن المحفوظ عنه المشهور: أنه رأى قوماً يتعادون إلى الجمعة إلى المسجد لخوفهم فوت الصلاة، فقال: انظروا إلى البقر، انظروا إلى الحمير.

ثم قال لرجل من إخوانه: ما صنع هذا القرشي بالناس[2].

الفرقة الثامنة: الهشامية.

أصحاب هشام بن عمرو الفوطي.

وقولهم في القدر أشد من سائر القدرية، ويمتنعون من إطلاق إضافات الأفعال إلى الله تعالى وإن ورد بها التنزيل.

وقالوا: لا يؤلف بين قلوب المؤمنين، بل يتآلفون باختيارهم.

وقالوا: لا يحبب الله الإيمان إلى المؤمنين، ولا يزينه في قلوبهم.

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٧١) مختصراً بتصرف.

(٢) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ٤٩).

وقالوا: لا تنعقد الإمامة في زمن الفتنة والاختلاف، بل في حال السلامة والاتفاق ـ طعنوا بذلك على خلافة علي رضي الله تعالى عنه ـ.

وقالوا: الجنة والنار غير مخلوقتين الآن، ثم وافقهم في ذلك سائر المعتزلة، وكانوا يعتقدون كفر من خالفهم من أهل القبلة، ويستحلون أموالهم.

وكان عَبَّاد منهم يمتنع من إطلاق القول بأن الله تعالى خلق الكافر.

وقال: النبوة باقية ما بقيت الدنيا، وهي جزاء على عمل[1].

الفرقة التاسعة: الجاحظية.

أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ، كان تلميذ النَّظَّام.

ذكر ابن قتيبة: أن الجاحظ كان أشد المتكلمين تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم، وتصغير العظيم حتى يصغر، ويبلغ به الاقتدار على أن يعمل الشيء ونقيضه، فيحتج مرة للعثمانية على الرافضة، ومرة للزيدية على العثمانية، وربما استهزأ بأحاديث النبي ﷺ، وربما احتج للنصارى على المؤمنين، فإذا صار إلى الرد عليهم تجوز في الحجة، وربما ذكر في كتبه المضحكات استمالة للأحداث والفسقة، وقد يرد على الشيء يرد به الحديث ككبد الحوت، وقرن الشيطان، وأن الحجر الأسود كان أبيض فسوَّده المشركون، ويذكر أشياء من خرافات أهل الكتاب كتنادم الديك والغراب، ودفن الهُدْهُد أمه في

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٧٢ ـ ٧٣) مختصراً بتصرف.

رأسه ونحو ذلك.

قال: وهو مع هذا أكذب الأمة، أوضعه لحديث، وأنصره لباطل، انتهى ملخصاً[1].

ومن ألطف ما اتفق ما ذكره الزمخشري في «ربيع الأبرار» عن الجاحظ أنه قال: ما أخجلتني إلا امرأة حملتني إلى صائغ فقالت: مثل هذا، فبقيت مبهوتاً، فسألت الصائغ، فقال: هي امرأة استعملتني صورة شيطان، فقلت: لا أدري كيف أصوره، فأتت بك، فقالت: مثله[2].

وذلك أن الجاحظ كان قبيح الصورة، بشع المنظر، ناتىء العينين، ولذلك سمي الجاحظ، وقيل: [من الرجز]

لَوْ مُسِخَ الْخِنْزِيرُ مَسْخاً ثانِياً ... ما كانَ إِلاَّ دُونَ قُبْحِ الْجاحِظِ[3]

وقال ابن خلِّكان: كان الجاحظ قد أصابه الفالج، وكان يطلي نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته، والنصف الأيسر لو قرض بالمقاريض لما أحس به من خَدَرِه وشدة برده، وكان يقول: اصطلحت على جسدي الأضداد؛ إن أكلت حاراً أخذ برأسي، وإن أكلت بارداً أخذ برجلي، وبي حصاة لا ينسرح لي البول معها، انتهى[4].

---

(١) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ٥٩).

(٢) انظر: «ربيع الأبرار» للزمخشري (١/ ١٣٥).

(٣) انظر: «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» للثعالبي (ص: ٤٠٤).

(٤) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٤٧٣).

قال الجاحظ وأتباعه: إن المعارف كلها ضرورية طباعاً.

وقالوا: الإرادة من الفاعل أن ينتفي السهو عنه، والإرادة المتعلقة بالعين ميل النفس إليه.

وقالوا: ليس للعباد كسب سوى الإرادة، وتحصل منهم أفعالهم طباعاً.

وقالوا: يوصف الباري بأنه مريد؛ أي: لا يصح عليه السهو في أفعاله، ولا الجهل.

وقالوا: الخلق كلهم من العقلاء عالمون بأن الله خالقهم، ثم الجاهل منهم بالتوحيد معذور.

وقالوا: إن الله لا يرى بالأبصار، ولا يريد المعاصي.

وقالوا: إن أهل النار لا يخلدون في النار عذاباً، بل يصيرون إلى طبيعة النار.

وقالوا: النار تجذب أهلها إليها دون أن يدخلهم الله فيها.

وقالوا: القرآن جسد يجوز أن ينقلب مرة رجلاً، ومرة حيواناً.

وكان الجاحظ مرة يفضل علياً، ومرة يؤخره، وغالب كلامه في كتبه يدل أنه كان مذبذباً بين الفرق، تارة يحتج لهؤلاء، وتارة لهؤلاء، وربما رد على الأحاديث واستهزأ بها[1].

الفرقة العاشرة: الخياطية.

وهم الكعبية، أصحاب أبي الحسن بن أبي عمرو الخياط المعتزلي،

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٧٥ ـ ٧٦) مختصراً بتصرف.

وتلميذه أبي القاسم بن محمد الكعبي.

قالوا: تسمية المعدوم شيئاً وجوهراً وعرضاً، وإن إرادة الله هي أنه غير مكره ولا كاره، وهي في أفعال نفسه الخلق، وفي أفعال غيره الأمر.

وقالوا: معنى كونه سميعاً بصيراً: أنه عالم بمتعلقهما.

زاد الكعبي: إن فعل الرب واقع بغير إرادة ولا مشيئة منه لها، ولا يرى نفسه ولا غيره إلا بمعنى أنه يعلمه[1].

الفرقة الحادية عشرة: الجُبَّائية.

وهي البهشمية، أصحاب أبي علي محمد بن محمد بن عبد الوهاب الجُبَّائي، وابنه أبي هاشم عبد السلام.

وجُبى ـ بضم الجيم، وتشديد الموحدة ـ: قرية من قرى البصرة.

أخذ أبو هاشم عن أبيه، وأبوه عن رئيس المعتزلة بالبصرة أبي يوسف يعقوب بن عبدالله الشَّحَّام، وأبو علي أخذ عنه الكلام شيخ أهل السنة أبو الحسن الأشعري، ثم هداه الله فرد عليه مقالاته.

ويروى أنه ناظره في ثلاثة إخوة؛ كان أحدهم مؤمناً براً تقياً، والثاني: كافراً فاسقاً، والثالث: صغيراً، فماتوا، فكيف حالهم؟

فقال أبو علي: الزاهد في الدرجات، والكافر في الدركات، والصغير من أهل السلامة.

قال الشيخ أبو الحسن: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٧٧ ـ ٧٨) مختصراً بتصرف.

الزاهد هل يؤذن له؟

قال الجبائي: لا، لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى الدرجات بطاعاته الكثيرة، وليس لك ذلك.

قال الأشعري: فإن قال الصغير: التقصير ليس مني؛ فإني ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة؟

فقال الجبائي: يقول الباري جل وعلا: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت، وكنت مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك.

قال الأشعري: فلو قال الكافر: يا إله العالمين! علمت حال أخي كما علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني؟ فانقطع الجبائي[1].

قالت الجبائية: إن لله إرادات حادثة لا في محل، وتعظيماً لا في محل إذا أراد تعظيم نفسه، وفناء لا في محل إذا أفنى العالم.

وقالوا: إن الله متكلم بكلام يخلقه في محله، وهو أصوات وحروف.

وقالوا: التكلم من فعل الكلام، لا مَنْ قام به.

وقال الجبائي: يحدث الله قوله عند قراءة كل قارىء، ويحدث كلاماً لنفسه في محل القراءة.

وقالوا: إن الله لا يرى بالأبصار في دار القرار، وأنكروا الشفاعة.

وقالوا: العبد خالق لأفعال نفسه، مستقل بها.

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٢٦٧).

وقالوا: المعرفة، وشكر المنعم، ومعرفة الحسن والقبيح واجباتٌ بالعقل، وأثبتوا شريعة عقلية.

وقالوا: مرتكب الكبيرة لا ولا[1]، وإذا لم يتب خلد في النار.

وقالوا بوجوب الأصلح على الله تعالى للعبد، واللطف به، وأنكروا كرامات الأولياء.

وقال أبو هاشم بإمكان استحقاق الذم والعقاب بلا معصية.

وقال: لا تصح التوبة عن كبيرة مع الإصرار على غيرها عالماً بقبحها، ولا توبة مع عدم القدرة، فلا تصح توبة الزاني بعد ما جُبَّ، ولا الكاذب بعد ما خَرِس، إلى غير ذلك من قبائحه[2].

* * *

وأما الجَبَرية فقال صاحب «القاموس»: بالتحريك: خلاف القدرية، والتسكين لحن، وهو الصواب والتحريك للازدواج، انتهى[3].

وهم الذين يقولون: إن العبد مجبور.

وهم والمعتزلة في طرفي نقيض؛ فالمعتزلة يقولون: إن العبد يخلق أفعال نفسه، والجبرية يقولون: إن كل ما يجري من أفعال العبد فهو فعل الله تعالى، لا يثبتون للعبد كسباً.

---

(١) (لا ولا): أي: لا مؤمناً، ولا كافراً.

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٧٩ ـ ٨٤).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٤٦٠) (مادة: جبر).

وأهل السنة وسط بين الفريقين لا تفريط ولا إفراط، ويعتقدون أن الله تعالى خالق العبد وما يعمل، ويثبتون للعبد قدرة، ويثبتون لقدرته أثراً ما في الفعل، وسموا ذلك الفعل شيئاً، ومنهم من يسميه اختياراً.

وقد أخطأ المعتزلة في تسميتهم أهل السنة: مجبرة.

ثم الجبرية منهم خالصة لا يثبتون للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

ومتوسطون يثبتون للعبد قوة مؤثرة أصلاً.

وقالوا كلهم: إن ما ورد من الوعيد إنما هو ترهيب؛ لأن الله تعالى لا يعذب العبد على فعل نفسه[1].

ثم هم فرق:

إحداها: الجهمية.

أصحاب جهم بن صفوان، وهو أول من قال بخلق [القرآن]، أو ثانيه[2].

كان كوفي الأصل فصيح اللسان، ولم يكن له علم، ولا جالس

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٨٥).

(٢) قال اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٣١٢): ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال: القرآن مخلوق، جعد بن درهم في سني نيف وعشرين ـ ومئة ـ، ثم جهم بن صفوان.

أهل العلم، بل كان يكلم المتكلمين، ويجالس الدهرية، حتى شك في الإسلام، ومكث أربعين يوماً لا يصلي[1].

وقيل له: صف لنا ربك، فدخل البيت، ومكث أياماً، ثم خرج إليهم فقال: هو هذا الهواء مع كل شيء، وفي كل شيء، ولا يخلو من شيء، فقتل على بدعته بأصبهان، فلما ضربت عنقه اسود وجهه[2].

قال الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله تعالى: حدثت عن العلاء بن سويد قال: ذكر جهم عند عبدالله بن المبارك فقال: عجبت لشيطان إلى الناس داعياً إلى النار، واشتق اسمه من جهنم! ذكره اللالكائي[3].

وروى أبو نعيم عن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال: سمعت سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول: الجهمية كفار.

فقيل لعبدالله بن المبارك: ما رأيك؟

قال: رأيي رأي سفيان[4].

وعن علي بن الحسين بن شفيق قال: قال عبدالله بن المبارك:

[من مجزوء الرمل]

أَيُّهَا الطَّالِبُ عِلْماً ائْتِ حَمَّادَ بْنَ زَيْدِ

---

(١) انظر: «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢/ ٣٧٩).

(٢) انظر: «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢/ ٣٨١).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٣٨٢).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٨).

فَاطْلُبِ الْعِلْمَ بِحِلْمٍ ثُمَّ قَيِّدْهُ بِقَيْدِ

لا كَثَوْرٍ وَكَجَهْمٍ وَكَعَمْرِو بْنِ عُبَيْدِ[1]

يريد: ثور بن يزيد، وكان هو وعمرو بن عبيد قدريين.

وروى الدارمي عن ابن المبارك قال: لأن أحكي كلام اليهود والنصارى أحب إلي من أن أحكي كلام الجهمية[2].

وعن عيسى بن يونس رحمه الله تعالى قال: لا تجالسوا الجهمية، وبينوا للناس أمرهم يعرفوه فيحذرهم[3].

وعن ابن المبارك: أنه كان يُخرج الجهميَّ من عِداد المسلمين[4].

وعن وكيع رحمه الله تعالى: أنه كان يكفر الجهمية[5].

قال الدارمي: وسمعت يحيى بن يحيى، وأبا توبة، وعلي بن المديني يكفرون الجهمية، ومن يدعي أن القرآن مخلوق[6].

وروى اللالكائي عن مقاتل بن حيان قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه فقال لي: من أين أنت؟

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٥٨).

(٢) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص: ٢٦).

(٣) رواه الدارمي في «الرد على المريسي» (١/ ١٤٦).

(٤) رواه الدارمي في «الرد على المريسي» (١/ ١٥٠).

(٥) رواه الدارمي في «الرد على المريسي» (١/ ١٥٠).

(٦) انظر: «الرد على الجهمية» للدارمي (ص: ٢٠٦).

فقلت: من أهل بلخ.

فقال: كم بينك وبين النهر؟

قلت: كذا وكذا فرسخاً.

قال: هل ظهر من وراء النهر رجل يقال له: جهم؟

قلت: لا.

قال: سيظهر من وراء النهر رجل يقال له: جهم؛ يُهلك خلقاً من هذه الأمة، يدخلهم الله وإياه النار[1].

قلت: مثل هذا لا يقال رأياً، فهو في مقام المرفوع.

وذكر ابن أبي حاتم عن أبيه: أن أول من أتى بخلق القرآن جعد ابن درهم في نيف وعشرين ومئة[2].

وروى ابن أبي حاتم أيضاً عن سعيد بن أحمد صاحب أبي إسحاق الفزاري قال: إنما خرج جهم سنة ثلاثين ومئة، فقال: القرآن مخلوق، فأكفره العلماء[3].

قال ابن أبي حاتم: ظهر من بعدها بشر بن غياث المريسي، وكان والده صباغاً يهودياً[4].

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٨٢).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٨٢).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٨٠).

(٤) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٨٢).

وروى اللالكائي عن يحيى بن يوسف الرازي: أنه رأى إبليس في المنام يقول: ما من مدينة إلا ولي فيها خليفة.

قال: قلت: من خليفتك بالعراق؟

قال: بشر المريسي؛ دعا الناس إلى ما عجزت عنه، قال: القرآن مخلوق[1].

ثم افترقت الجهمية على فرق:

- فمنهم: من يجزم بخلق القرآن.
- ومنهم: من وقف، وقال: لا أدري أمخلوق أم غير مخلوق؟
- ومنهم من قال بـ: لفظي مخلوق.

وقال أهل السنة: القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو محفوظ في صدورنا، مقروء بألسنتنا، مكتوب في مصاحفنا.

وقالت الجهمية: لا يوصف الباري بوصف خلقه فيكون حياً عالماً، بل يكون قادراً فاعلاً، وأثبتوا له علوماً لا في محل.

وقالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

وقالوا: من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه: لم يكفر.

قالوا: إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، بل هو مجبور في أفعاله، والتكليف خير، والثواب والعقاب خير.

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٨٥).

وقالوا: حركات الخلدين تنقطع، والجنة والنار تفنيان.

ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات، وإثبات خلق الكلام، وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع، ونفي الرؤية[1].

وروى ابن أبي حاتم عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال: إني لأرجو أن يحجب الله تعالى جهماً وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده أولياءه حين يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعد أولياءه[2].

وذكر ابن الجوزي: أن من الجهمية من أنكر الرسل، وقال: إنما هم حكماء.

ومنهم من أنكر عذاب القبر والشفاعة.

ومنهم من قال: لا يدخل النار من عرف ربه، ومن دخلها لا يخرج منها أبداً[3].

وروى أبو نعيم من طريق عبدالله ابن الإمام أحمد عن سليمان بن حرب قال: سمعت حماد بن زيد رحمه الله تعالى يقول ـ وذكر هؤلاء الجهمية ـ قال: إنما يجادلون أن يقولوا: ليس في السماء شيء[4].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٧٨ ـ ٨٨).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٠٣).

(٣) انظر: «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص: ٣٠ ـ ٣١).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٥٨)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٧).

الفرقة الثانية من الجَبَرية: النَّجَّارية.

أصحاب الحسين بن محمد النجار، وافقوا المعتزلة فيما وافقهم فيه الجهمية.

ووافقوا الجهمية في أن العبد مجبور، وفي أكثر مسائلهم.

ووافقوا المريسي في قوله: إن الله لم يزل مريداً لكل ما علم أنه سيحدث من خير وشر، وإيمان وكفر خلافاً للمعتزلة في ذلك.

وقالوا: إن الله مريد لنفسه كما هو عالم بنفسه، ومعنى إرادته: أنه غير مستكره ولا مغلوب.

وقالوا: إن الباري بكل مكان ذاتاً ووجوداً إلا على معنى العلم والقدرة.

ومنهم من يقول: إن كلام الباري تعالى إذا قرىء فهو عَرَض، وإذا كتب فهو جسم، ويقال لهؤلاء: برغوثية.

ومنهم من يقول: كلام الله غيره، وكل ما هو غيره مخلوق، ثم قالوا: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، وهذا تناقض، ويقال لهؤلاء: زعفرانية.

ومنهم من يقول: كلام الله غيره، وهو مخلوق، لكن أجمع السلف على أن كلام الله غير مخلوق، فوافقناهم، وقلنا: إن قولهم، غير مخلوق؛ أي: على هذا الترتيب والنظم، بل هو مخلوق على غير هذا النمط، ويقال لهؤلاء: مستدركة[1].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٨٨ ـ ٨٩).

الفرقة الثالثة: الضرارية، والحفصية.

أصحاب [ضرار بن عمرو و] حفص الفرد.

قالوا: إن الله عالم قدير على معنى أنه ليس بجاهل ولا عاجز.

وقالوا: للعبد حاسة سادسة يرى بها الباري، وثواب الجنة.

وقالوا: أفعال العباد خلق الله حقيقة، وجوَّزوا حصول فعل بين فاعلين.

وقالوا: لا حجة بعد النبي ﷺ إلا الإجماع فقط، وما نقل عنه من أخبار الآحاد لم يقبلوه.

وقال ضرار: تصلح الإمامة في غير قريش حتى لو اجتمع النبطي والقرشي قدِّم النبطي لأنه أقل عدداً وأضعف وسيلة، فيمكننا خلعه متى شئنا[1].

وروى اللالكائي عن الربيع بن سليمان قال: قال حفص الفرد: كلام الله مخلوق، فقال الشافعي رضي الله تعالى عنه له: كفرت بالله العظيم[2].

روى أبو نعيم من طريق عبدالله ابن الإمام أحمد عن فطر بن [حماد ابن واقد قال: سألت] حماد بن زيد رحمه الله فقلت: يا أبا إسماعيل! إمام لنا يقول: القرآن مخلوق؛ أصلِّي خلفه؟ قال: لا، ولا كرامة[3].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٩٠ ـ ٩١).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٢٥٢).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٥٨).

أخبرنا شيخنا العلامة زين الدين عمر بن محمد بن سلطان الحنفي إجازةً، عن المحدث المفنن العلامة شمس الدين محمد بن طولون الحنفي الصالحي إجازةً، قال: أنا المحدث العلامة جمال الدين يوسف ابن حسن بن عبد الهادي الحنبلي عُرف بابن المِبْرَد قال: أنا أبو العباس أحمد بن عبد الهادي، عن الصلاح بن أبي عمر قال: أنبأنا أبو الحسين ابن النجار، أنا أبو حفص عمر بن طبرزذ سماعاً، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن محمد بن حمدويه: أن أبا نظر بن أحمد بن محمد بن حسون أخبرهم: أن أبا الطيب عبد المنعم بن عبدالله بن غلبون المقرىء أخبرهم قال: أنا عمر ابن زيد بن خلف المصري ـ وكان رجلاً صالحاً ـ قال: حدثنا عبدالله بن محمد الشعراني قال: سمعت أبا علي بن أبي النجم يقول: بت ليلة في أيام أبي خراش وابن خلف المغافري بمصر، وكانت ليلة الجمعة، وأنا أقول: لا أدري ممن أسمع من أبي خراش، وكان يقول بخلق القرآن، أم من خلف؟ وكان يقول: الكل كلام الله غير مخلوق، فلما أويت إلى فراشي رأيت هاتفاً قد جاءني فقال لي: قم، فقمت، فقال لي: قل، قلت: وما أقول؟ قال: قل: [من مجزوء الكامل]

لا وَالَّـــذِي رَفَـــعَ الـــسَّما ... ءَ بِـــلا دَعَـــائِمَ لِلنَّظَـــر
فَتَزَيَّنَـــــتْ بِالـــــسَّاطِعا ... تِ اللاَّمِعَـــاتِ وَبِـــالِقَمَر
مـــا قـــالَ خَلْـــقٌ بِـــالْقُرَ ... انِ بِرَأْيِـــهِ إلاَّ كَفَـــر
بَـــلْ هُـــوْ كَـــلامٌ مُنْـــزَلٌ ... مِـــنْ عِنْـــدِ خَـــلاَّقِ البَـــشَر

فلما فرغ قال لي: اكتب، فمددت يدي إلى كتاب من كتبي وكتبته، فلما أصبحت ذكرت الرؤيا، فمددت يدي إلى طاقة إلى جانبي فوجدت خطي على كتاب من كتبي بما قال لي الهاتف، فجلست ولم أخرج إلى الطريق، فلما علا النهار خرجت إلى حوائجي، فمشيت قليلاً فإذا برجل قد قام إليَّ وسلَّم عليَّ، وقال لي: أخبرني بالرؤيا التي رأيتها البارحة، فقلت: من أخبرك؟

فقال: قد ذاعت في الناس وتحدثوا بها، فأخبرته بها[1].

* * *

وأما المشبهة: فهم الذين يشبهون الله تعالى بخلقه، والله سبحانه وتعالى يقول عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وروى اللالكائي عن نعيم بن حماد رحمه الله تعالى قال: من شبَّه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وَصَفَ الله تعالى به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه[2].

ثم المشبهة منهم حلولية: يقولون بجواز ظهور الباري تعالى في صورة شخص كما ظهر جبريل عليه السلام في صورة دحية، وحملوا على ذلك الحديث: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»[3].

---

(١) وانظر: «الإشارات في علم العبارات» لابن شاهين (ص: ٨٧٧)، و«نفح الطيب» للتلمساني (٥/ ٣٠١).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٣٢).

(٣) رواه الترمذي (٣٢٣٤) عن ابن عباس، وقال: حسن غريب.

ومنهم غير حلولية، ولكن يقولون: له صورة مخصوصة به[1].

ثم من المشبهة شيعية، وسيأتي بيانهم.

وغير شيعية، وهم فرقتان:

إحداهما: الحشوية: كمضر وكهمس وأحمد الهجيمي، وداود الجواربي من المتقدمين، وابن الراعون، وغيره من متأخري الحنابلة، وإنما حملهم على ذلك كثرة أحاديث الصفات وآياتها الناطقة بما آمن به السلف من غير تأويل ولا تمثيل، وتأول الخلف بما لا يؤدي إلى التعطيل كالوجه، واليد، والعين، والبصر، والسمع، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء، وغير ذلك مما دلت عليه النصوص المشكلة، ونفت ذلك الجهمية كما تقدم[2].

وقال الفضيل بن عياض، ويحيى بن معين: إذا قال الجهمي: أنا أكفر برب ينزل، فقل: أنا أومن برب يفعل ما يشاء. رواه اللالكائي[3].

وقال يزيد بن هارون رحمه الله تعالى: إن الجهمية غلت، ففرعت في غلوها إلى أن نفت.

وإن المشبهة غلت ففرعت في غلوها حتى مثَّلت.

فالجهمية يستتابون، والمشبهة كذا وكذا؛ رماهم بأمر عظيم[4].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٠٧).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٠٦).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣).

(٤) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٣١).

وقال وكيع رحمه الله تعالى: وصف داود الجواربي الرب ﷻ فكفر في صفته، فرد عليه المريسي فكفر المريسي في رده عليه؛ إذ قال: هو في كل شيء[1]. رواهما ابن أبي حاتم.

ثم أجاز المشتبه على ربهم الملامسة والمصافحة، وقالوا: إن المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الاجتهاد والرياضة إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض.

وقالوا: معبودهم صورة ذات أعضاء وأبعاض؛ إما روحانية أو جثمانية.

ومنهم من قال: من لحم ودم، وله جوارح من يد، ورجل، ورأس، ولسان، وعينين، وأذنين[2].

وقال الجواربي: اعفوني من الفرج، واللحية، واسألوني عما وراء ذلك[3].

وتأولوا على ذلك جميع آيات الصفات وأحاديثه، وجاؤوا بأكاذيب اقتبسوها من اليهود وغيرهم.

قد قالوا: شكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رَمَدت عيناه، وإن العرش ليئط من تحته كأطيط الرجل الحديد،

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٣٢).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٠٥).

(٣) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٨٧).

وإنه ليفضل منه من كل جانب أربع أصابع ؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقالوا في القرآن: إن الحروف والرقوم المكتوبة قديمة أزلية[1].

الفرقة الثانية: الكَرَّامية.

أصحاب محمد بن كَرَّام، واشتهر فيه تشديد الراء، وعليه اقتصر صاحب «القاموس»؛ قال: ومحمد بن كرام كشدَّاد: [إمام][2] الكرامية القائل بأن معبوده مستقر على العرش، وأنه جوهر[3]؛ تعالى [الله] عن ذلك علواً كبيراً[4].

وذكر الشيخ تاج الدين بن السبكي: أنه رأى بخط الشيخ تقي الدين بن الصلاح في بعض مجاميعه: أنه محمد بن كرام ـ بالتخفيف ـ وأن أبا الفتح السبتي أنشد: [من الكامل]

إنَّ الَّـذِينَ تُحِـبُّهُمْ لَـمْ يَقْتَـدُوا　　بِمُحَمَّـدِ بْـنِ كَـرَامِ غَيْـرُ كِـرامِ
الرَّأْيُ رَأْيُ أَبِـي حَنِيفَـةَ وَحْـدَهُ　　وَالدِّينُ دِينُ مُحَمَّدِ بْـنِ كَـرَامِ[5]

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٠٦).

(٢) بياض في «أ» و«ت».

(٣) في «أ» و«ت»: «جوهرة».

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٤٨٩) (مادة: كرم).

(٥) وانظر: «تاريخ ابن الوردي» (١/ ٢٢٥).

وكان محمد بن كرام يتزهد ويتقشف، وكان معه جماعة من الفقراء، وكان يلبس مُسُك ضأن مدبوغاً غير مَخِيط، وعلى رأسه قَلَنْسوة بيضاء، وقد نصبت له دكان من لبن، وكان تطرح له قطعة فرو يجلس عليها يعظ ويذكر، وكان مع ذلك مجسماً مبتدعاً، قام عليه الحافظ أبو سعيد الدارمي، وطرده من هَرَاة.

وقال هو وأصحابه: إن إلههم مستقر على العرش استقراراً، وهو في جهة فوق ذاتاً، وأنه أحدي الذات يماسُّ العرش من الصفحة العليا، ينتقل وينزل.

ثم كان منهم طائفة غالية أطلقوا عليه لفظ الجسم، ثم اختلفوا؛ فقيل: يتناهى من الجهات الست، وقيل: من جهة تحت فقط، وقيل: لا يتتابع لأنه عظيم.

وطائفة مقاربة قالوا: إن قلنا: إنه جسم، فالمراد أنه قائم بذاته، وإن قلنا: (فوق) فالمراد العلو، وقالوا في الاستواء: إنه مع نفي المجاورة، والمماسة، والتمكين بالذات[1].

ويقال لهؤلاء: هيصمية نسبة إلى محمد بن هيصم.

وفي «القاموس»: إنهم منسوبون إلى موضع[2].

وحاصل طريقتهم أنهم يتأولون قبائح ابن كرام.

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٥١١) (مادة: هصم).

ومن مسائلهم ما لا يقبل التأويل؛ فإن الطائفة كلهم قالوا: يجوز قيام كثير من الحوادث بذات الباري تعالى.

وقالوا: ما يحدث في ذاته إن يحدث بقدرته، وما يحدث مبايناً عن ذاته فإنما يحدث بواسطة الإحداث.

ويعنون بالإحداث: الإيجاد والإعدام، وهما القول والإرادة؛ إذ زعموا أن في ذاته حوادث كثيرة كالإخبار عن الأمور الماضية والآتية، والوعد والوعيد، والأحكام.

وقالوا كالمعتزلة: إن العقل يحسن ويقبح، ويوجب معرفة الله قبل الشرع.

وقالوا: الإيمان الإقرار فقط دون التصديق بالقلب والعمل بالجوارح.

وقالوا: النبوة والرسالة صفتان سوى الوحي، والأمر بالتبليغ، والأمر بالمعجزة، والعصمة، وصاحب هذه الصفة رسول الله، ويجب على الله إرساله لا غير، وهو حينئذ مرسل، وكل مرسل رسول الله، ولا عكس، ويجوز عزل المرسل دون الرسول، وليس من الحكمة إرسال رسول واحد، فلا يجوز الاقتصار عليه، بل لا بد من التعدد.

وقالوا: يجوز نصب إمامين في عصر واحد كعلي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما، إلا أن إمامة علي على وفق السنة دون معاوية، لكن تجب طاعة رعيته له.

وقالوا: إن الإمامة تثبت بإجماع الأمة دون النص والنصين، وصوَّبوا أمر معاوية فيما استبد به من الأحكام قتالاً على طلب قتلة عثمان رضي الله تعالى عنه، واستقلالاً بمال بيت المال.

وقالوا: إيمان المنافقين كإيمان الأنبياء، والكلمتان ليستا بإيمان إلا بعد الردة.

وبالجملة إنهم من أخبث الفرق قبَّحهم الله تعالى[1].

* * *

وأما المرجئة: فهم الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، والإيمان عندهم الإقرار فقط، أو الإقرار والمعرفة.

قال وكيع: أهل السنة يقولون: الإيمان قول وعمل، والمرجئة تقول: الإيمان قول بلا عمل، والجهمية يقولون: الإيمان المعرفة. رواه اللالكائي[2].

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: [ارج كل شيء] مما لا تعلم إلا الله، ولا تكن مرجئاً، واعلم أن ما أصابك من الله، ولا تكن قدرياً.

وقال: لقد تركت المرجئة هذا الدين أرق من السابري[3]. رواه أبو نعيم[4].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١١٠ ـ ١١٣).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥/ ١٠٠٠).

(٣) السابري: ثوب رقيق جيد.

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣).

وروى البخاري في «تاريخه»، والترمذي وحسنه، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وابن ماجه عنه، وعن جابر رضي الله تعالى عنه، والخطيب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، والطبراني في «الأوسط» عن أبي سعيد الخدري ﷺ قالوا: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُما فِي الإِسْلامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِئَةُ، وَالْقَدَرِيَّةُ»[1].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن واثلة وعن جابر ﷺ، وأبو نعيم عن أنس رضي الله تعالى عنه قالوا: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفانِ مِنْ أُمَّتِي لا تَنالُهُمْ شَفاعَتِي: الْمُرْجِئَةُ، وَالْقَدَرِيَّةُ»[2].

قلت: الحكمة في ذلك أن القدرية ينكرون الشفاعة، والمرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، فيحتاج إلى الشفاعة، فَحُرِموها لذلك.

وروى الطبراني في «الأوسط» بإسناد صحيح، عن أنس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «صِنْفانِ مِنْ أُمَّتِي لا يَرِدانِ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَلا يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ: الْمُرْجِئَةُ، وَالْقَدَرِيَّةُ»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٢٠٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٧): ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي، وهو ثقة.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْقَدَرِيَّةُ وَالْمُرْجِئَةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ»(1).

وروى اللالكائي عن معاذ رضي الله تعالى عنه قال: لعنت القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً آخرهم محمد ﷺ(2).

وتقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: اتقوا الإرجاء؛ فإنه شعبة من النصرانية(3).

وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: المرجئة يهود القبلة(4).

وقال أبو جعفر محمد بن علي رحمهما الله تعالى: ما ليل بليل، ولا نهار بنهار أشبه بالمرجئة من اليهود(5). رواهما اللالكائي.

وروى الرافعي في «تاريخ قزوين» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يَهُودُ أُمَّتِي الْمُرْجِئَةُ»(6).

---

(1) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٢٠٥). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٥) كما قال في الحديث السابق.

(2) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥/ ٩٨٨).

(3) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥/ ٩٨٧).

(4) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥/ ٩٨٩).

(5) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥/ ٩٩١).

(6) رواه الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٤/ ١)، وكذا ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٦٢) وأعله بسليمان بن أبي كريمة، وقال: عامة أحاديثه مناكير.

وروى أبو نعيم [عن سفيان] رحمه الله تعالى قال: ليس أحد أبعد من كتاب الله من المرجئة[1].

وروى الخطيب في «المتشابه» عن إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى: لَفتنتهم أخوف عندي على هذه الأمة من فتنة الأزارقة[2]؛ يعني: المرجئة.

ثم المرجئة منهم من أضاف إلى الإرجاء إنكار القدر، ومنهم من أضاف إليه الخروج عن الإمام، ومنهم من أخلص الإرجاء.

ثم هم ثمان فرق:

إحداها: اليونسية.

أصحاب يونس الشمري، قالوا: الإيمان المعرفة بالله، والخضوع والمحبة بالقلب، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن، وما سوى المعرفة من الطاعة فلا يضر تركه[3].

الثانية: العبدية.

أصحاب عبيد بن المكيت، قالوا: ما دون الشرك مغفور لا محالة، وإن العبد إذا مات على توحيد لم يضره ما اقترف من الإثم، وعِلْمُ الله

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٩).

(٢) ورواه الخلال في «السنة» (٣/ ٥٦٣)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥/ ٩٨٨).

(٣) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٠).

وكلامه لم يزل شيء وغيره.

وقالوا: إن الله على صورة الله، فهم مرجئة مجسمة[1].

الفرقة الثالثة: الغسَّانية.

أصحاب غسان الكوفي، قالوا: الإيمان: المعرفة والإقرار بما جاء به الرسول إجمالاً، والإيمان يزيد ولا ينقص.

وقالوا: من قال: أعلم أن الله حرم لحم الخنزير، ولا أدري هذا الخنزير الذي حرمه هو هذه الشاة أو غيرها، لم يكفر، ومن قال: أعلم أن الله فرض الحج إلى الكعبة، وإني لا أدري أين الكعبة، ولعلها بالهند، لم يكفر.

وقالوا: من نكح أمه، أو قتل أباه، أو شرب في آنية الذهب الخمر فإنه مؤمن كامل الإيمان[2].

الفرقة الرابعة: الثوبانية.

أصحاب ثوبان المرجىء، قالوا: الإيمان المعرفة والإقرار لله ورسوله.

وقالوا: ما جاز في العقل تركه ليس من الإيمان.

وقالوا: لو عفا الله عن عاص في القيامة عفا عن كل مؤمن عاص

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤١).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤١).

هو في مثل حاله، وإن أخرج من النار أحد أخرج من هو في مثل حاله، ولم يجزموا القول بأن المؤمنين يخرجون لا محالة من النار[1].

الفرقة الخامسة: الغيلانية.

أصحـــاب غيلان بن مروان الدمـــشقي، قالوا بمقالة الثوبانية؛ قالوا: إن المعرفة نوعان:

نظريـة: وهي علمــه بأن للعالم صانعاً ولنفسه خالقاً، وهذه المعرفة لا تسمى إيماناً عندهم.

ومكتسبة: وهي التي تسمى المحبة والخضوع والإقرار إيماناً[2].

وقالوا: القدر [خيره وشره][3] من العبد.

وقالوا: الإمامة تصلح في غير قريش، وكل من كان قائلاً بالكتاب والسنة كان مستحقاً لها، ولا تثبت الإمامة إلا بإجماع الأمة، فهم: مرجئة قدرية خوارج[4]، ولهذا كان غيلان أضر على الأمة من إبليس كما روى ابن عدي في «الكامل»، والبيهقي في «الدلائل» عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي رَجُلٌ يُقالُ لَهُ: وَهب؛ يَهَبُ اللهُ لَهُ الْحِكْمَةُ، وَرَجُلٌ يُقالُ لَهُ: غَيْلانُ؛ هُوَ

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٢).

(٢) انظر: «الفرق بين الفرق» لعبد القادر البغدادي (ص: ١٩٤).

(٣) بياض في «أ» و«ت».

(٤) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٣).

أَضَرُّ عَلى النَّاسِ مِنْ إِبْلِيسَ»[1].

الفرقة السادسة: التومنية.

أصحاب معاذ التومني، قالوا: الإيمان هو هذه الأمور كلها: المعرفة، والتصديق، والمحبة، والإخلاص، والإقرار؛ فمن ترك خصلة من هذه كفر، ولا يقال بواحدة من هذه الخصال إيمان، ولا بعض إيمان، ولا يقال لمن أتى بمعصية لم يجمع عليها المسلمون: إنه فاسق ولا عاص، بل يقال في الإخبار عنه: فسق وعصى.

مال إلى هذا بشر المريسي أيضاً، وابن الراوندي، وقالا: إن السجود للشمس والقمر والصنم ليس كفر في نفسه، ولكنه علامة الكفر[2].

الفرقة السابعة: الصالحية.

أصحاب صالح بن عمرو، قالوا: الإيمان المعرفة بأن للعالم صانعاً فقط، ولا يزيد ولا ينقص، والكفر هو الجهل به.

وقالوا: القائل: ثالث ثلاثة لا يكفر، لكن لا يظهر هذا القول إلا من كافر.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٨٤) وأعله بمروان بن سالم، وقال: عامة حديثه مما لا يتابعه الثقات عليه.

والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٩٦) وقال: تفرد به مروان بن سالم وكان ضعيفاً في الحديث.

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٤).

وقالوا: يصح الإيمان بالله ممن لم يؤمن بالرسول.

وقالوا: الصلاة ونحوها ليست عبادة، وإنما العبادة الإيمان فقط[1].

الفرقة الثامنة: الشمرية.

أصحاب شَمَّر المرجىء القدري، هم في الإيمان كاليونسية، وزادوا: لا يجب على العبد الإيمان بالرسل والأنبياء حتى تقوم عليهم حجتهم، وليس الإيمان بهم والإقرار بما جاؤوا به داخلاً في الإيمان الأصلي.

وقالوا بالعدل والقدر، ولم يضيفوا من القدر إلى الباري شيئاً[2].

وأما الخوارج: فهم كل فرقة خرجت على الإمام في كل زمان ولو كان واحداً.

وروى ابن أبي شيبة، والحاكم وصححه، واللالكائي عن عبدالله ابن أبي أوفى رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْخَوارِجُ كِلابُ النَّارِ»[3].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٨٨٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٢٣٢)، وكذا ابن ماجه (١٧٣).
ورواه بلفظ «الأزارقة» بدل «الخوارج»: الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٦٤٣٥).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٣٠): رجال أحمد ثقات.

والمراد هنا الحَرُورية الذين خرجوا على علي رضي الله تعالى عنه بحروراء، وهي بجَلُولاء، ـ وقد تقصر ـ قرية بالكوفة، ومن كان على اعتقادهم من الفرق، وكلهم يتبرؤون من عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويقولون بخلودهم في النار، ولذلك سموا: وعيدية، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً.

روى اللالكائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كلام القدرية كفر، وكلام الحرورية ضلالة، وكلام الشيعة هَلَكَة[1].

وروى ابن أبي شيبة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: سئل أبي رضي الله تعالى عنه عن الخوارج، فقال: هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم[2].

وروى الحاكم وصححه، عن مصعب بن سعد قال: كنت أقرأ على أبي حتى بلغت هذه الآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣] الآية، قلت: يا أبتاه! أهم الخوارج يا أبه؟

قال: لا يا بني، اقرأ الآية التي بعدها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ [الكهف: ١٠٥] الآية.

قال: هم المجتهدون من النصارى، وقالوا: ليس في الجنة طعام

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٤٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٩٢٦).

ولا شراب، ولكن الخوارج هم [الفاسقون]: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[البقرة: ٢٧][١].

وروى البخاري، والمفسرون عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: الحرورية هم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وكان يسميهم الفاسقين[٢].

وروى ابن أبي شيبة عن عمير بن إسحاق قال: ذكر الخوارج عند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فقال: أولئك شر الخلق[٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال في قتال الخوارج: لهو أحب إليَّ من قتال الدَّيلم[٤].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن كعب رحمه الله تعالى قال: للشهيد نوران؛ أي: نور الإيمان، ونور الشهادة، ولمن قتله الخوارج عشرة أنوار، ولجهنم سبعة أبواب، منها: باب للحرورية، ولقد خرجوا على نبي الله داود عليه السلام في زمانه[٥].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٠١).

(٢) رواه البخاري (٤٤٥١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٩٠٥).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٩٣٨).

(٥) ورواه الآجري في «الشريعة» (١/ ٣٣٨).

ثم الخوارج فرق:

الْمُحَكِّمة الأولى: وهم الحرورية.

خرجوا على علي رضي الله تعالى عنه حين جرى أمر الحكمين، فاجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، جوَّزوا أن لا يكون إمام، وإذا احتيج إليه جاز أن يكون من غير قريش، وخطَّؤوا علياً في التحكيم، ثم كفروه ولعنوه، وطعنوا على عثمان، وعلى أصحاب الجمل وصفين، فقتلهم علي ﷺ فلم يبق منهم إلا دون العشرة، انهزم اثنان منهم إلى عمان، واثنان إلى كَرمان، واثنان إلى سجستان، واثنان إلى الجزيرة، وواحد إلى جبل مردان باليمن، وظهرت بدع الخوارج منهم، وبقيت من بعدهم[1].

روى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يتبسم تبسماً إذ أتاه ذو الخويصرة، فقال: يا رسول الله! اعدل.

قال: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إذا لَمْ أَعْدِلْ؟ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إذا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ».

قال عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله! ائذن لي فيه أضرب عنقه.

فقال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ لَهُ أَصْحاباً يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١١٥ ـ ١١٧).

صَلاتِهِمْ، وَصِيامَهُ مَعَ صِيامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ، يَخْرُجُونَ عَلى خَيْرِ فَرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ».

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل، فالتمس فوجد فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت[1].

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، والشيخان عن سهل بن حنيف رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرِقِ أَقْوامٌ مُحَلَّقَةٌ رُؤُوسُهُمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، لا يَعْدُو تَراقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[2].

وروى أبو نصر السجزي في «الإبانة»، والخطيب، وابن عساكر عن عمر رضي الله تعالى عنه: أنه سمع رسول الله يقول: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ الْمَشْرِقِ حِلْقانُ الرُّؤُوسِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلُوهُ، وَطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ»[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠١٩٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٦)، والبخاري (٦٥٣٥)، ومسلم (١٠٦٨).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٤٠٩).

وروى الإمام أحمد، ومسلم، وابن ماجه عن أبي ذر، ورافع بن عمرو الغفاري معاً رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوِمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجاوِزُ حَلاقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَما يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»[1].

لم يقيدهم في هذا الحديث بأنهم من المشرق، فهو شامل لسائر الخوارج.

وروى ابن أبي شيبة عن أبي غالب قال: كنت في مسجد دمشق، فجاؤوا بسبعين رأساً من رؤوس الحرورية، فنصبت على درج المسجد، فجاء أبو أمامة رضي الله تعالى عنه فنظر إليهم فقال: كلاب جهنم، شر قتلى قُتلوا تحت ظل السماء، ومن قَتلوا خير قتلى تحت ظل السماء[2].

وقوله: من رؤوس الحرورية: ليسوا من أهل حروراء؛ لأن أولئك استأصلهم علي رضي الله تعالى عنه إلا عشرة، بل هم طائفة اعتقدوا ما اعتقدته الحرورية من الخروج على الإمام وغيره، فنسبهم أبو أمامة إليهم.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣١)، ومسلم (١٠٦٧)، وابن ماجه (١٧٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٥٤).

الفرقة الثانية من الخوارج: الأزارقة.

أصحاب نافع بن الأزرق الذين خرجوا معه بالبصرة إلى الأهواز وما وراءها في أيام عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما، كفَّروا علياً رضي الله تعالى عنه، وكفَّروا عثمان، وطلحة، والزبير، وعائشة، وابن عباس رضي الله تعالى عنهم، وكفَّروا سائر المسلمين، وكفَّروا من قعد عن القتال معهم، وأباحوا قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم، وأسقطوا الرجم عن الزاني المحصن، وحد القذف عن قاذف المحصنين من الرجال دون قاذف المحصنات من النساء.

وقالوا: أطفال المشركين معهم في النار.

وهم عدو كل من لم ير رأيهم، أو من تخلف عن القتال معهم.

وقالوا: إن التقية غير جائزة في قول ولا عمل، ويجوِّزون الكفر على الأنبياء عليهم السلام قبل البعثة وبعدها.

وقالوا: من ارتكب كبيرة يكفر ويخلد في النار[1].

وصوَّبوا فعل اللعين عبد الرحمن بن مُلْجِم قاتل علي رضي الله تعالى عنه، ولعن الله قاتله.

وقال عمران بن حطان مفتي الأزارقة، وزاهدهم، وشاعرهم قبحه الله في ضربة اللعين عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: [من البسيط]

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١١٨ ـ ١٢٢).

يا ضَرْبَةً مِنْ كَمِيٍّ ما أَرادَ بِها ... إلاَّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْشِ رِضْوانا

إِنِّي لأَذْكُرُهُ يَوْماً فَأَحْسِبُهُ ... أَوْفَى البَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيزانا

لِلَّهِ دَرُّ الْمُرادِيِّ الَّذِي سَفَكَتْ ... كَفَّاهُ مُهْجَةَ شَرِّ الْخَلْقِ إِنْسانا

أَمْسَى عَشِيَّةَ غَشَّاهُ بِضَرْبَتِهِ ... مِمَّا جَناهُ مِنَ الآثامِ عُرْيانا[1]

وقد عارض ابنَ حطان جماعةٌ من العلماء، منهم بكر بن حماد الشاهرتي، فقال من أبيات أجاد فيها: [من البسيط]

ذَكَرْتُ قاتِلَهُ وَالدَّمْعُ مُنْحَدِرٌ ... فَقُلْتُ سُبْحانَ رَبِّ الْعَرْشِ سُبْحانا

إِنِّي لأَحْسِبُهُ ما كانَ مِنْ بَشَرٍ ... يَخْشَى الْمَعادَ وَلَكِنْ كانَ شَيْطانا

كَعاقِرِ النَّاقَةِ الأُولَى الَّتِي حَلَبَتْ ... عَلَى ثَمُودَ بِأَرْضِ الْحِجْرِ خُسْرانا

قَدْ كانَ يُخْبِرُهُمْ أَنْ سَوْفَ يَخْضِبُها ... قَبْلَ الْمَنِيَّةِ أَزْماناً فَأَزْمانا

فَلا عَفا اللهُ عَنْهُ ما تَحَمَّلَهُ ... وَلا سَقَى قَبْرَ عِمْرانَ بْنِ حِطَّانا[2]

أشار إلى ما رواه الإمام أحمد، والطبراني عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال له: «أَلَا أُحَدِّثُكُما بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟»

---

(١) انظر: «الأغاني» للأصبهاني (١٨/ ١١٧)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١١٢٨).

(٢) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١١٢٩)، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٣/ ٢٦٠).

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: «أُحَيْمِرُ ثَمودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يا عَلِيُّ عَلى هَذِهِ ـ يعني: قَرنه ـ حَتَّى تَبْتَلَّ هَذِهِ ـ يعني: لحيته ـ»[1].

وروى الطبراني عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «مَنْ أَشْقَى ثَمُودَ؟»

قال: من عقر الناقة.

قال: «فَمَنْ أَشْقَى هَذِهِ الأُمَّةِ؟»

قال: الله أعلم.

قال: «قاتِلُكَ»[2].

وروى الطبراني أيضاً بإسناد حسن، عن أبي سنان الدؤلي: أنه عاد علياً في شكوى اشتكاها، قال: فقلت له: تخوفنا عليك في شكواك هذه.

فقال: ولكني والله ما تخوفت على نفسي منه لأني سمعت

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤ / ٢٦٣)، وكذا النسائي في «السنن الكبرى» (٨٥٣٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٦): رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار، ورجال الجميع موثقون إلا أن التابعي لم يسمع من عمار رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٣٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٦): وفيه ناصح بن عبدالله، وهو متروك.

الصادق المصدوق ﷺ يقول: «إِنَّكَ سَتُضْرَبُ بِضَرْبَةٍ هُنا، وَضَرْبَةً هاهُنا - وأشار إلى صُدْغه - فَيَسِيلُ دَمُها حَتَّى تَخْتَضِبَ لِحْيَتُكَ، وَيَكُونَ صاحِبُها أَشْقاها كَما كانَ عاقِرُ النَّاقَةِ أَشْقى ثَمُودَ»[1].

ورواه أبو يعلى، ولفظه: أخبرني الصادق الصدوق: أني لا أموت حتى أضرب على هذه - وأشار إلى مقدم رأسه الأيسر - فتخضب هذه منها بدم - وأخذ بلحيته - وقال: «قاتِلُكَ أَشْقى هَذِهِ الأُمَّةِ كَما عَقَرَ ناقَةَ اللهِ أَشْقَى بَنِي فُلانٍ مِنْ ثَمُودَ»[2].

- ومن قبائح الأزارقة:

ما رواه الطبراني في «الأوسط»، و«الكبير» عن حُميد بن هلال قال: غزا عمارة بن قرص الليثي رضي الله تعالى عنه غزاة له، فمكث فيها ما شاء الله، ثم رجع حتى إذا كان قريباً من الأهواز سمع صوت الأذان، فقال: والله ما لي عهد بصلاة بجماعة من المسلمين منذ ثلاث، وقصد نحو الأذان يريد الصلاة، فإذا هو بالأزارقة، فقالوا له:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧٣)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٤٥٩٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٧): رواه الطبراني، وإسناده حسن.

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (٥٦٩)، وكذا الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٧٩٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٧): رواه أبو يعلى، وفيه والد علي بن المديني، وهو ضعيف.

ما جاء بك يا عدو الله؟

فقال: ما أنتم إخواني؟

قال: أنت أخو الشيطان.

فقال: ألا ترضون مني بما رضي به رسول الله ﷺ؟

قالوا: أي شيء رضي به منك؟

قال: أتيته وأنا كافر، فشهدت أن لا إله إلا الله، وأنه رسول الله، فخلَّى عني.

فأخذوه فقتلوه[1].

وروى الدينوري في «مجالسته» عن هشام بن حسان قال: بينما نحن عند الحسن رحمه الله تعالى إذ أقبل رجل من الأزارقة فقال له: يا أبا سعيد! ما تقول في علي بن أبي طالب؟

قال: فاحمرت وجنتا الحسن: رحم الله تعالى علياً؛ إن علياً كان سهماً لله صائباً في أعدائه، وكان في محلة العلم أعرفها وأقربها من رسول الله ﷺ، وكان رهباني هذه الأمة، لم يكن لمال الله بالسروقة، ولا في أمر الله بالنؤمة، أعطي القرآن عزيمة عليه، وكان منه في رياض مونقة، وأعلام بينة، ذاك علي بن أبي طالب يا لُكَع[2]!

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٥٥٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٦): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٢٠).

وهو تعريض من الحسن رحمه الله تعالى بأن الأزارقة كانوا يعتقدون في علي خلاف ما وصفه به.

ولقد أشار النبي ﷺ إلى هلاك الأزارقة، وغيرهم ممن يبغض علياً رضي الله تعالى عنه ويعتقد فيه السوء كما هلك فيه من غلا في حبه حتى أنزله في غير منزلته بقوله ﷺ: «يَهْلَكُ فِيكَ رَجُلانِ: مُحِبٌّ غالٍ، وَمُبْغِضٌ قالٍ»[1].

وروى اللالكائي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كنا نعرف نفاق الرجل ببغضه لعلي[2].

وعنه: ما كنا نعرف منافقينا معشرَ الأنصار إلا ببغضهم علياً رضي الله تعالى عنه[3].

الفرقة الثالثة من الخوارج: النجدية.

أصحاب نجدة، ويقال: النجدة بن عامر الحنفي، ويقال لهم: العاذرية.

قالوا: الدين أمران:

أحدهما: لا يعذر الجاهل به، وهو معرفة الله ورسوله، وتحريم دماء المسلمين بغير رضاهم، والإقرار بما جاء به من عند الله جملة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٣٧٩).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٣٨٠).

والثاني: ما يعذر الناس فيه حتى تقوم عليهم الحجة، وهو ما سوى ذلك من الحلال والحرام.

وقالوا: من أصر على صغيرة فهو مشرك، ومن عمل كبيرة كالزنا والسرقة غير مصرٍّ لم يكفر.

وقالوا: لا حاجة للناس إلى إمام قط، وإنما عليهم أن يعاملوا بالإنصاف فيما بينهم، فإن احتاجوا إلى إمام جاز لهم أن ينصبوه.

وخالفوا الأزارقة فقالوا بجواز التقية والقعود عن القتال[1].

خرج نجدة الحروري باليمامة في جمع في سنة ست وستين من الهجرة، فأتى البصرة، وقاتل أهلها، ثم حج فوقف الجمعة، ووقف وحده بعرفة، ووقف ابن الزبير بالناس، ووقف ابن الحنفية بجيشه الذين أتوه من العراق وحده، وتوادعوا الحرب حين ينقضي الحج والموسم، ثم قتل نجدة في سنة ثمان وستين[2].

وروى الإمام أحمد عن عطاء قال: كتب نجدة الحروري إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يسأله عن قتل الصبيان، فكتب إليه: إن كنت الخضر تعرف الكافر من المسلم فاقتلهم[3].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٢٣ ـ ١٢٤).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٥/ ١٠٢)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٥٠٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٢٤) لكن عن يزيد بن هرمز.

وروى ابن أبي شيبة عن يزيد بن هرمز: أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن ذلك، ويقول: إن العالم صاحب موسى قد قتل الوليد، فكتب إليه ابن عباس: لو كنت تعلم من الولدان ما علم ذلك العالم من ذلك الوليد، ولكنك لا تعلم[1].

الفرقة الرابعة: البيهسية.

أصحاب أبي البيهس الهيصم بن جابر.

وقيل: اسمه بيهس؛ بفتح الموحدة، وسكون المثناة تحت.

قالوا: إن الإمام إذا كفر كفرت الرعية شاهدهم وغائبهم، ومن فعل شيئاً ولم يعلم أهو حلال أم حرام يكفر.

ومنهم من يقول: من واقع حراماً ولم يعلم تحريمه كفر.

وقال بعضهم: السكر إن كان من مال حلال لا يؤاخذ بما قال صاحبه فيه أو فعل.

وقال آخرون: إن السكر إذا انضم إليه كبيرة أخرى كان كفراً.

وقالوا: الأطفال مع آبائهم جنة أو ناراً.

وقال بعضهم: من رجع من دار الهجرة إلى القعود برئنا منه.

ووافقوا القدرية في القدر.

وقالوا: لا يسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله ورسوله وما جاء به،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣١٢٨)، وروى نحوه مسلم (١٨١٢)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٨).

والولاية لأولياء الله، والبراءة من أعدائه[1].

ومن الغرائب: ما قرأته بخط البرهان بن جماعة نقلاً عن «الفنون» لابن عقيل الحنبلي: أن الأصمعي نقل أن هميس الخارجي لما أخذ قطعت يداه ورجلاه، ثم ترك يتمرغ في التراب ليلته، فلما أصبح قال: هل أحد يفرغ علي دلوين من ماء؛ فإني احتلمت في هذه الليلة.

قال ابن عقيل: فانظر إلى قوة طبيعته وقوة دينه.

قلت: يحتمل أنه كاذب في ذلك، وهو الظاهر من حاله إظهاراً للديانة رياء و[هو][2] في هذه الحالة، وثمرته التصميم على بدعته، وأنه على حق فيها.

الفرقة الخامسة: العجاردية.

أصحاب عبد الكريم بن عجرد.

وقال في «القاموس»: ابن العجرد رئيس الخوارج، وأصحاب العجارد[3]؛ يعني: بغير هاء.

قيل: كان من أصحاب أبي البيهس، ثم خالفه في أمور، ووافق

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٢٥ ـ ١٢٧).

(٢) بياض في «أ» و«ت» بمقدار كلمتين.

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٣٨٠) (مادة: عجرد)، وعنده: «العجاردة».

العاذرية في بدعهم.

وقال هو وأصحابه: تجب البراءة عن الطفل حتى يدَّعي الإسلام، ويجب دعاؤه إليه إذا بلغ، وأطفال المشركين في النار مع آبائهم، ولا يرون المال فيئاً حتى يقتل صاحبه، وكفَّروا أهل الكبائر، وأنكروا سورة يوسف من القرآن، وقالوا: إنما هي قصة من القصص، قالوا: ولا تجوز أن تكون قصة العشق في القرآن[1].

ثم افترقوا إلى فرق:

الصلتية: أصحاب عثمان بن أبي الصلت، والصلت بن أبي الصلت.

قالوا: إذا أسلم الرجل توليناه، وتبرأنا من أطفاله حتى يبلغوا فيسلموا، وليس لأطفال المسلمين والمشركين ولاية ولا عداوة حتى يبلغوا.

والميمونية: أصحاب ميمون؛ وافقوا القدرية في القدر.

وقالوا: إن الله يريد الخير دون الشر والمعاصي، وأجازوا نكاح بنات البنات، وبنات أولاد الإخوة والأخوات.

وقالوا بوجوب قتال السلطان إذا جار، ومن رضي بحكمه دون من أنكره إلا من أعانه أو طعن في دين الخوارج.

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٢٨).

وقالوا: أطفال المشركين في الجنة.

والحمزية: أصحاب حمزة بن أدرك، وافقوا الميمونية في كل بدعهم إلا في أطفال مخالفيهم والمشركين، فقالوا: في النار، وجوَّزوا إمامين في عصر واحد ما لم تجتمع الكلمة، وتُقهر الأعداء.

والخلفية: أصحاب خلف الخارجي.

الشعيبية: أصحاب شعيب بن محمد.

هما والحمزية سواء في البدعة، إلا أن الخلفية قالوا: القدر خيره وشره من الله كأهل السنة، وقال الحمزية: من العبد كالقدرية.

الأطرافية، ويقال الغالبية: أصحاب غالب بن شادرك السجستاني، هم على اعتقاد الحمزية، وزادوا عليهم أنهم أثبتوا واجبات عقلية، وعذروا أصحاب الأطراف في ترك ما يعرفونه من الشريعة إذا أتوا بما يعرف لزومه من جهة العقل، ولذلك سموا أطرافية.

والحازمية: هم كالشعيبية، وزادوا عليهم القول بالموافاة، وأن الله تعالى إنما يتولى العباد على ما هم صائرون إليه في آخر أمرهم من الإيمان، ويبرأ منهم على ما علم أنهم صائرون إليه في آخر أمرهم من الكفر، وتوقفوا في البراءة من علي رضي الله تعالى عنه، وصرَّحوا بالبراءة من غيره ممن تبرأ منهم الخوارج.

ثم من الحازمية فرقة معلومية قالوا: المؤمن من عرف الله بجميع

أسمائه، والاستطاعة قبل العقل، وأفعال العباد مخلوقة لهم.

وفرقة مجهولية: قالوا: من عرف الله ببعض أسمائه وصفاته، وجهل بعضها فهو مؤمن.

وقالوا: أفعال العبد مخلوقة لله تعالى؛ كذلك نقله الشهرستاني، وعكس النقل في «المواقف»، فذكر أن المجهولية تقول: أفعال العبد مخلوقة له، والمعلومية تقول: لله تعالى[1].

والثعلبية: أصحاب ثعلبة الخارجي، كان هو وعبد الكريم بن عجرد يداً واحدة حتى اختلفا في الأطفال، فقال ثعلبة: أنا أواليهم صغاراً وكباراً حتى نرى منهم إنكاراً للحق ورضى بالجور، فتبرأت منه العجاردة.

وقيل: إن الثعالبة يقولون: لا حكم للأطفال حتى يبلغوا ويدعوا، وكانوا يرون أخذ الزكاة وإعطاءهم منها.

ثم صارت الثعالبة فرقاً:

ـ **منهم**: أخنس بن قيس ثعلبية، إلا أنهم توقفوا في جميع من كان في دار التقية من أهل القبلة إلا من عرف منه الإيمان فتركوه، أو كفر فتبرؤوا منه، وحرموا الاغتيال والقتل والسرقة، وجوزوا تزويج المسلمات من مشركي قومهم، ووافقوا الخوارج في كل أصولهم.

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٢٨ ـ ١٣١)، و«المواقف» للإيجي (٣/ ٧٠٢).

ـ ومنهم: أصحاب معبد: خالفوا الأخنسية في تزويج المسلمات بالمشركين.

وقالوا: لا تؤخذ الزكاة من العبد، وجوزوا أن تكون سهام الزكاة سهماً واحداً في التقية، وهم على دين الخوارج.

ـ ومنهم: أصحاب الرشيد الثعلبي الخارجي، ويقال لهم: العشرية؛ لأن الثعلبية كانوا يوجبون فيما سقي من الأنهار والقنوات نصف العشر، فأخبرهم زياد بن عبد الرحمن أن فيه العشر، ولا تجوز البراءة ممن قال: فيه نصف العشر، فقال الرشيد: تجب البراءة منه.

ـ ومنهم: أصحاب شيبان بن سلمة الخارجي، في أيام أبي مسلم كان من الثعالبة، لكنه وافق جهم بن صفوان في الجبر، ونفي القدرة الحادثة.

ـ ومنهم: أصحاب مكرم العجلي الثعلبي، تفرد عنهم بأن تارك الصلاة كافر، لا من جهة الترك، بل لجهله بالله، وكذلك قال بإكفار سائر أهل المعاصي من هذه الحيثية.

وقالوا بالموافاة، ومعنى الموافاة: أن الله تعالى لم يوال عبده، ولم يعاده إلا على ما هو صائر إليه من موافاة الموت، لا على عمله الذي هو عليه[1].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٣١ ـ ١٣٣).

الفرقة السادسة من الخوارج: الإباضية.

أصحاب عبدالله بن إباض التميمي.

قالوا: إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، ومواريثهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، ودار مخالفيهم دار السلام إلا معسكر السلطان، وتقبل شهادة مخالفيهم عليهم.

وقالوا: مرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن، وهو قريب من رأي المعتزلة.

وقالوا: فعل العبد مخلوق لله تعالى، وهو مكتسب للعبد حقيقة لا مجازاً.

وقالوا: يفنى العالم بفناء أهل التكليف.

وقالوا: أهل الكبيرة كافر نعمة لا ملة.

وتوقفوا في أولاد الكفار، وفي النفاق أشرك أم لا، وأجازوا بعثة رسول بلا دليل[1].

ثم افترقوا إلى:

حفصية: قالوا بين الشرك والإيمان خصلة، وهي معرفة الله وحده، فمن عرف الله وحده ثم كفر بما سواه من رسول أو كتاب أو

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥)، و«المواقف» للإيجي (٣/ ٦٩٩ ـ ٧٠٠).

بعث، وارتكب الكبائر فهو كافر، لكنه بريء من الشرك.

وحارثية: قالوا كالمعتزلة بالاستطاعة قبل الفعل، وأثبتوا طاعة لا يراد بها الله تعالى.

ويزيدية: يقولون: المحكِّمة الأولى قبل الأزارقة، فمن بعدهم إلا الإباضية فإنهم أولياؤهم، وزعموا أن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً قد كتب في السماء ينزل جملة واحدة، ويترك الشريعة المحمدية.

وقالوا: نتولى من شهد لمحمد ﷺ بالنبوة من أهل الكبائر وإن لم يدخل في دينه.

وقالوا: إن أصحاب الحدود من موافقيهم وغيرهم كفار مشركون، وكل ذنب صغير أو كبير شركٌ[1].

وروى الخطيب في «تالي التلخيص» عن أبي الشعثاء جابر بن يزيد رحمه الله تعالى ـ وكانت الإباضية تنتحله ـ فقيل له: إن الإباضية تنتحلك، قال: أبرأ إلى الله من ذلك[2].

وروى الدينوري من طريق ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك، عن

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٣٤ ـ ١٣٦)، و«المواقف» للإيجي (٣/ ٧٠٠ ـ ٧٠١).

(٢) ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٨١)، وانظر: «الثقات» لابن حبان (٤/ ١٠١).

عبدالله بن مسلم ـ وهو رجل من أهل مرو ـ قال: كنت أجالس ابن سيرين رحمه الله تعالى فتركت مجالسته، وجالست قوماً من الإباضية، فرأيت فيما يرى النائم كأني مع قوم يحملون جنازة النبي ﷺ، فأتيت ابن سيرين، فذكرت ذلك له، فقال: ما لك جالست أقواماً يريدون أن يدفنوا ما جاء به محمد ﷺ[1]؟

الفرقة السابعة من الخوارج: الأصفرية الزيادية.

أصحاب زياد بن الأصفر، خالفوا الإباضية والأزارقة والنجدية، فلم يكفروا من قعد عن القتال معهم إذا توافقوا في الاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم عن المحصن، ولم يحلوا قتل أطفال مخالفيهم، ولم يكفروا الأطفال.

وقالوا: التقية جائزة في القول والعمل، وما كان من المعاصي عليه حد واقع لا يتعدى بصاحبه الاسم الذي لزمه به الحد فيقال: زان سارق، لا كافر مشرك، وما كان من الكبائر مما لشرفه حد معظم قدره كترك الصلاة فهو كفر.

وقالوا: نحن مؤمنون عند أنفسنا، ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله.

وقالوا: الشرك شركان: طاعة الشيطان، وعبادة الأوثان.

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٩٥).

وهم على أصول بقية الخوارج؛ قبحهم الله أجمعين[1].

* تَنْبِيهٌ:

جاء في الحديث ما يدل على بقاء الخوارج إلى آخر الزمان، فهم موجودون في الناس أبداً، إلا أنهم [يظهرون] تارة ويخفون أخرى، لكن لا على كل الناس، يعرفهم أهل العلم بسيماهم، ولو قيل: إن السكمانية منهم لم يبعد؛ فإنهم يخرجون مع كل خارج على السلطان، ويقولون: من أكل طعام اليهودي قاتل معه.

وروى ابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي، والحاكم وصححه، عن أبي برزةَ رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمانِ قَومٌ يَقْرَؤُونَ مِنَ الْقُرْآنِ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، سِيْماهُمُ التَّحْلِيقُ، لا يَزالُونَ يَخْرُجُونَ حَتَّى يَخْرُجَ آخِرُهُمْ مَعَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، فَإِذا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلوهُمْ؛ فَهُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»[2].

وتأمل قوله في هذا الحديث: «يَقْرَؤُونَ مِنَ الْقُرآنِ»، ولم يصفهم بجَودة القراءة كما ذكر في وصف الخوارج الأولى؛ فإن السكمانية أكثرهم عوام، لا يقرؤون من القرآن إلا الفاتحة، ومعها سورة أو

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٣٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٩١٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٤٢٤)، وكذا النسائي (٤١٠٣).

سور، ولكن جاء في الحديث ما يدل على أن الخارجين منهم لا تطول مدتهم، بل يكون هلاكهم أقرب شيء إلى خروجهم.

روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرآنَ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ، فَإِذا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، ثُمَّ إِذا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، ثُمَّ إِذا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، فَطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ قَتَلُوهُ، كُلَّما طَلَعَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قَطَعَهُ اللهُ ﷻ»[1].

وأما الشيعة: فيجمعهم مشايعة علي رضي الله تعالى عنه، والقول بإمامته وخلافته بالنص الجلي أو الخفي، واعتقدوا أن الخلافة لا تخرج عن ولده.

وقالوا بوجوب عصمة الأئمة من الكبائر والصغائر، وأنكروا فضيلة أبي بكر، وعمر رضي الله تعالى عنهما على علي رضي الله تعالى عنه، وتكلموا في خلافتهما، وهو خلاف قول علي وآل البيت رضي الله عنهم[2].

روى اللالكائي عن الشعبي رحمه الله تعالى قال: لو كانت الشيعة من الطير لكانوا رُخماً، ولو كانوا من الدواب لكانوا حُمْراً.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد، والبزار، وأبو يعلى عن علي

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٨٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٨٤): فيه أبو جناب، وهو مدلس.

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٦).

رضي الله تعالى عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ فِيكَ مَثَلاً مِنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِما السَّلامُ؛ أَبْغَضَتْهُ اليَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ، وَأَحَبَّتْهُ النَّصارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي لَيْسَ بِهِ».

ألا وإنه ليهلك فِيَّ اثنان: محب مفرط يفرطني بما ليس في، ومبغض يحمله شنآني علي أن يبهتني، ألا وإني لست بنبي، ولا يوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم[1].

وكلام علي وأولاده الكِرام رضي الله تعالى عنهم في فضل أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، وفي الرد على الشيعة مدوَّن في كتب الحديث والتاريخ، ولولا خوف الإطالة لأتينا منه بنبذة صالحة.

وروى أبو نعيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ

---

(١) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد المسند» (١/ ١٦٠) واللفظ له، وأبو يعلى في «المسند» (٥٣٤)، وكذا البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢٨١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٤٨٨).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٣): رواه عبدالله والبزار باختصار، وأبو يعلى أتم منه، وفي إسناد عبدالله وأبي يعلى: الحكم بن عبدالله وهو ضعيف، وفي إسناد البزار محمد بن كثير القرشي الكوفي وهو ضعيف.

الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، فَقِيلَ لِي: يا مُحَمَّدُ! اشْفَعْ، فَأَخْرِجْ مَنْ شِئْتَ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ النَّارِ ـ قال رسول الله ﷺ: ـ فَشَفاعَتِي يَوْمَئِذٍ مُحَرَّمَةٌ على رَجُلٍ لَقِيَ اللهَ بِشَتِيمَةِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحابِي»[1].

وعن مالك رحمه الله تعالى: أنه ذكر عنده رجال تنقَّصوا أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ حتى بلغ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[الفتح: ٢٩]، وقال: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته الآية[2].

وقد افترقت الشيعة إلى خمس فرق:

- كيسانية.

- وزيدية.

- وإمامية.

- وغلاة.

- وإسماعيلية.

ويطلق على هؤلاء كلهم روافض إلا الزيدية، كما سيأتي.

وروى البيهقي عن علي، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يُسَمَّوْنَ الرَّافِضَةَ

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٣٦) وقال: غريب.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٧).

يَرْفُضُونَ الإِسْلامِ»[1].

وروى الطبراني في «الأوسط»، واللالكائي عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ عندي، فغدت إليه فاطمة رضي الله تعالى عنها ومعها علي ﷺ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه وقال: «أَبْشِرْ يا عَلِيُّ! أَنْتَ وَشيعَتُكَ فِي الْجَنَّةِ، إلاَّ أَنَّ مِمَّنْ يَزْعُمُ مُشايَعَتَكَ، أَقْواماً يَضْفُزُونَ الإسلامَ، ثُمَّ يَلْفِظُونَهُ - ثلاث مراتٍ - يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ، لَهُمْ نبزٌ، يُقالُ لَهُمْ: الرَّافِضَةُ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهُمْ فَجاهِدْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ».

قالوا: يا رسول الله! فما العلامة فيهم؟

قال: «لا يَشْهَدُونَ جُمُعَةً وَلا جَماعةً، يَطْعَنُونَ عَلى السَّلَفِ»[2].

وقوله: «يَضْفُزونَ» - بضم الفاء - من: ضفز البعير - بالضاد المعجمة، والفاء والزاي -: إذا لقم، أو مع كراهية.

---

(1) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٤٧)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٠٣) عن علي ﷺ.

ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٤٨) وقال: وروي من أوجه أخر كلها ضعيفة.

(2) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٦٠٥)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٥٣).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢): رواه الطبراني، وفيه الفضل ابن غانم، وهو ضعيف.

وروى أبو يعلى بسند حسن، عن فاطمة رضي الله تعالى عنها بنت رسول الله ﷺ قالت: نظر النبي ﷺ إلى علي رضي الله عنه فقال: «هَذا فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ قَوماً يَلْقُمونَ الإِسْلامَ، يَرْفُضُونَهُ، لَهُم نبزٌ، يُقالُ لَهُمُ: الرَّافِضَةُ، مَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ»[1].

وروى الطبراني بسند حسن، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كنت عند النبي ﷺ فقال: «يا عَلِيُّ! سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي قَومٌ يَنْتَحِلُونَ حُبَّ أَهْلِ البَيْتِ، لَهُمْ نبزٌ، يُسَمَّوْنَ الرَّافِضَةُ، قاتِلُوهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ»[2].

وأخرجه البزار، وأبو يعلى، والطبراني بأسانيد جيدة بنحوه[3].

ومن المسائل المشهورة عن الروافض أنهم يقولون بمسح الرجلين في الوضوء دون الغسل، ولا يقولون بالمسح على الخفين،

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٦٧٤٩)، ورواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٨٢) وأعله بأبي الجحاف، وقال: وقد رواه عن أبي الجحاف أبو الجارود، ولعله أضعف من أبي الجحاف، وهكذا تليد بن سليمان أيضاً.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٩٩٨). وحسن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢).

(٣) رواه أبو يعلى في «المسند» (٢٥٨٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٩٩٧)، وكذا العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٨٤) وأعله بحجاج بن تميم، وقال: وله غير حديث لا يتابع عليه إلا من هو مثله أو دونه.

وهذا من أعجب أحوالهم، حتى إن الواحد من غلاتهم ربما تألى فقال: برئت من ولاية أمير المؤمنين، ومسحت على خفي إن فعلت كذا كما ذكره الخطابي رحمه الله تعالى.

وقال حدثني أحمد بن فراس قال: نا أحمد بن علي المرزوي قال: نا ابن أبي الجوال أن الحسن بن يزيد غضب على كاتب له، فحبسه وأخذ ماله، فكتب إليه من الحبس: [من الرجز]

أَشْكُو إِلَى اللهِ ما لَقِيتُ ... أَحْبَبْتُ قَوْماً بِهِمُ بُلِيتُ
لا أَشْتُمُ الصَّالِحِينَ جَهلاً ... وَلا تَشَيَّعْتُ ما بَقِيتُ
أَمْسَحُ خُفَّيَّ بِبَطْنِ كَفِّي ... وَلَوْ عَلَى جِيفَةٍ وَطِيتُ

قال: فدعا به من الحبس، ورد ماله عليه، وأكرمه[1].

وروى أبو نعيم، واللالكائي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه قال: لم أر أحداً من أصحاب الأهواء أشهد للزور من الرافضة[2].

وروى اللالكائي عن محمد بن يوسف الفيريابي قال: ما أدري الرافضة، والجهمية إلا زنادقة[3].

وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى أنه سئل: أتصلي خلف من يبغض أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما؟

---

(١) انظر: «إعتاب الكتاب» لابن الأبار (ص: ٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١١٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٥٧).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٥٧).

قال: لا[1].

وعن أبي إسحاق السبيعي رحمه الله تعالى أنه قيل له: ما ترى في الصلاة خلف مَنْ سبَّ أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما؟

قال: لا يصلى خلفهم[2].

وعن النضر بن شميل رحمه الله تعالى قال: سمعت المأمون يقول: القدر دين الخرز، والرفض دين النبط، والإرجاء دين الملوك[3].

ثم افترقت فرق الشيعة الخمس فرقاً:

فأما الكيسانية: فهم أصحاب كيسان.

قال في «القاموس»: وهو لقب المختار بن أبي عبيد المنسوب إليه الكيسانية من الرافضة، تولَّوا علياً رضي الله عنه، واعتقدوا إمامته دون الشيخين[4].

وقالوا: الدين طاعة رجل واحد.

وقال بعضهم بترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة رجل واحد.

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٥٨).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٥٨).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٥٩).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٧٣٨) (مادة: كيس).

وقال بعضهم بالتناسخ، والحلول، والرجعة بعد الموت.

وقال بعضهم: الإمام واحد لا يموت، ولا يجوز أن يموت حتى يرجع.

وقال بعضهم: تتعدى الإمامة إلى غيره.

وكلهم حيارى، ومنهم من أنكر البعث[1].

ثم هم فرق:

إحداها: المختارية.

أصحاب المختار بن أبي عبيد، كان خارجياً، ثم زبيرياً، ثم شيعياً، ثم كيسانياً، ثم ادعى النبوة لنفسه، وتبعه جماعة من الكيسانية، فقالوا بإمامة محمد بن الحنفية بعد أبيه علي رضي الله تعالى عنهما، وقيل: بعد أخويه الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما.

وكان المختار يدعو الناس إليه، ويظهر أنه من رجاله ودعاته، فلما بلغ ابن الحنفية ذلك تبرأ منه، وقام المختار يطلب ثأر الحسين ليلاً ونهاراً، وكان يجيز البداء على الله تعالى، وكان يقول: قد يظهر الله تعالى خلاف ما علم، وقد يبدو له الصواب في خلاف ما أراد وحَكَم، وكان يدَّعي علم ما يحدث من الأحوال بوحي أو رسالة من الإمام، فإذا وعد أصحابه بكون شيء فوافق قوله جعله دليلاً على صدق دعواه، فإذا لم يوافق قوله قال: قد بدا لربكم، وكان له زخارف

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٧).

باردة يلبس بها على الناس، وكان ممن يعتقد إمامة ابن الحنفية بعد أخويه، وأنه لم يمت ولن يموت حتى يرجع.

[ومن القائلين بهذا القول] كثير عزة، وقال في ذلك: [من الوافر]

أَلا إِنَّ الأَئِمَّـةَ مِـنْ قُـرَيْشٍ ... وُلاةَ الْحَـقِّ أَرْبَعَـةٌ سَـواءُ

عَلِـيٌّ وَالثَّلاثَـةُ مِـنْ بَنِيـهِ ... هُمُ الأَسْباطُ لَيْسَ لَهُمْ خَفاءُ

فَسِبْطٌ سِـبْطُ إِيْمـانٍ وبِـرٍّ ... وَسِـبْطٌ غَيَّبَتْـهُ كَـرْبَلاءُ

تَغَيَّـبَ لا يُـرَى فِيْهِمْ زَمانـاً ... بِرَضْوى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَماءُ[1]

وأقول معارضاً لكثير عزة: [من الوافر]

أَلا إِنَّ الأَئِمَّـةَ مِـنْ قُـرَيْشٍ ... وُلاةَ الْحَـقِّ أَرْبَعَـةٌ سَـواءُ

هُـمُ الصِّدِّيقُ وَالْفارُوقُ حَقّاً ... وَعُثْمـانٌ يُسَرْبِلُهُ الْحَيـاءُ

وَبـابُ الْعِلْـمِ مَوْلانـا عَلِـيٌّ ... أَبُـو الْحَسَنَيْنِ شِيْمَتُهُ الوَفـاءُ

قَضَى وَقَضَى بَنُوهُ وَكُلُّ مَرْءٍ ... يَمُـوتُ وَمـا لِمَخْلُوقٍ بَقـاءُ

الفرقة الثانية من الكيسانية: الهاشمية.

قالوا: إن ابن الحنفية أفضى بالإمامة وأسرار العالم والعلوم إلى ولده أبي هاشم، ثم لما مات أبو هاشم اختلفوا في الإمام بعده.

---

(١) انظر: «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري (ص: ١٩)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٤٩).

ـ منهم من قال: أفضى أبو هاشم بالإمامة إلى أبي محمد بن علي ابن عبدالله بن عباس، وانجرت الوصية في ولده إلى أبي العباس عبدالله السفاح.

ـ ومنهم من قال: الإمامة بعد أبي هاشم لابن أخيه الحسين بن علي بن محمد.

ـ ومنهم من قال: بل إلى أخيه علي بن محمد بن الحنفية[1].

الفرقة الثالثة: الجعفرية.

قالوا: أفضى أبو هاشم إلى عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي، وتحولت روح أبي هاشم إليه، وكان الرجل لا يرجع إلى علم وديانة، فاطلعوا على كذبه، فأعرضوا عنه، وقالوا بإمامة عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وكان يرى عبدالله بن معاوية أن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص، وأن الثواب والعقاب في هذه الأشخاص، وقال: إن روح الإله تناسخت حتى حلت فيه، وادعى الألوهية والنبوة جميعاً، وأنه يعلم الغيب، ثم اعتقد أتباعه ذلك، وهلك بخراسان، وافترقت أصحابه.

قيل: لم يمت ويرجع.

وقيل: تحولت روحه إلى شخص الحارث بن إسحاق بن زيد بن الحارث الأنصاري.

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٥١).

وهم **الحلولية**: يبيحون المحرمات، ويعيشون عيش من لا تكليف، فهم تناسخية حلولية إباحية، قبحهم الله تعالى، وهم الفرقة الرابعة، وهم من أخبث الفرق[1].

الفرقة الخامسة: البيانية.

أصحاب بيان بن سمعان النهدي.

قالوا بانتقال الإمامة من أبي هاشم إليه.

وذكر ابن قتيبة أنه كان يقول لهم: إلي أشار الله تعالى بقوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١٣٨]، وأنه كان يقول بخلق القرآن[2].

وقالوا: حل في علي جزء إلهي واتحد به، ثم قالوا: تناسخ الجزء الإلهي حتى دخل إلى بيان، وزعموا أن معبودهم على صورة إنسان.

وقالوا: يهلك إلا وجهه.

وقالوا في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[البقرة: ٢١٠]: إنه علي.

والحاصل: إنهم شيعية تناسخية، مشبهة، معطلة، جهمية[3].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٥٢).

(٢) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ٧٢).

(٣) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١ / ١٥٢ ـ ١٥٣)، و«المواقف» للإيجي (٣/ ٦٧١).

الفرقة السادسة: الرِّزامية.

بكسر الراء: أصحاب رزام، قالوا: أوصى بالإمامة أبو هاشم إلى علي بن عبدالله بن عباس، ثم إلى ولده محمد، ثم إلى ولده إبراهيم، وهو صاحب أبي مسلم الذي دعا إليه وقال بإمامته، وادعوا حلول الإلهية فيه، وقالوا بتناسخ الأرواح[1].

وأما الزيدية: فهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوها لغيرهم، ولم يخصوا بها أحداً دون أحد، بل من خرج منهم بالإمامة، وكان زاهداً، شجاعاً، سخياً، عالماً، وجبت طاعته، وجوزوا خروج إمامين في قطرين.

وكان زيد ينتحل مذهب المعتزلة، وقال بجواز إمامة المفضول لمصلحة لتسكين الفتنة، وحمل على ذلك خلافة أبي بكر وعمر مع أن علياً أفضل منهما على اعتقاده، ولهذه المقالة رفضته شيعة الكوفة حين علموا أنه لم يتبرأ من الشيخين رضي الله تعالى عنهما، ولذلك سموا رافضة، وجرت بينه وبين أخيه الباقر مناظرات لا من هذا الوجه، بل من حيث تلمذ لواصل بن عطاء شيخ المعتزلة، مع أنه يجوز الخطأ على جده في وقعة الجمل وصفين، ومن حيث إنه تكلم في القدر على خلاف ما عليه أهل البيت، ومن حيث إنه كان يرى الخروج شرطاً في

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١ / ١٥٤)، و«المواقف» للإيجي (٣/ ٦٧٥).

كون الإمام إماماً[1].

وآل أمر الزيدية آخراً إلى أن قالوا: لا تجوز إمامة المفضول، وطعنوا في الصحابة طعن الإمامية، وافترقوا ثلاث فرق:

إحداها: الجارودية.

أصحاب ابن الجارود زياد بن المنذر الهمداني الكوفي الأعمى.

قالوا: نص النبي ﷺ على إمامة علي رضي الله تعالى عنه وصفاً ولم يسمه، وخطؤوا الصحابة حيث لم يتعرفوا ذلك الوصف، ويطلبوا ذلك الموصوف، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم، فكفَّروهم بذلك، وخالفوا إمامهم زيد في هذه المقالة، وتبرؤوا من أبي بكر وعمر، وقالوا: علي أفضل الخلق، وقالوا: الإمامة مقصورة على ولد فاطمة.

ثم اختلفوا في تعيين الإمام بعد الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما من أولادهما.

وقالوا بالإمام المنتظر، واختلفوا فيه، وبعضهم قال بالرجعة، ويحلون المتعة[2].

الفرقة الثانية من الزيدية: السليمانية.

أصحاب سليمان بن حرب.

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٥٥ ـ ١٥٧).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٥٧ ـ ١٥٩).

قالوا: الإمامة شورى بين الخلق، وتصح في المفضول مع وجود الفاضل، وخطَّؤوا الأمة في بَيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما خطأً دونَ الفسق، وكفَّروا عثمان، وعائشة، وطلحة، والزبير رضي الله تعالى عنهم، وقبح الله السليمانية، ثم طعنوا على الرافضة؛ فهم مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء[1].

الفرقة الثالثة من الزيدية: الصالحية.

وهم أصحاب الحسن بن صالح بن حي.

والبترية: أصحاب كبير البتري الأبتر[2]، وهما متفقان في المذهب، وهما كالسليمانية، لكن توقفوا في عثمان رضي الله تعالى عنه أهو مؤمن أو كافر.

وقالوا: علي أفضل الناس بعد الأنبياء وأولاهم بالإمامة، لكن ترك حقه، ورضي وسلَّم، فرضينا بما رضي به، وأجازوا إمامة المفضول إذا رضي الأفضل.

وقالوا: من شهر سيفه من ولد الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما، وكان عالماً، زاهداً، شجاعاً، سخياً، فهو الإمام.

وشرط بعضهم صباحة الوجه أيضاً.

وهم في الأصول كالمعتزلة سواء، وفي الفروع كالحنفية إلا في

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٥٩ ـ ١٦٠).

(٢) في «مقالات الإسلاميين»: «كثير النواء الأبتر».

أشياء فكالشافعية[1].

وأما الإمامية: فهم القائلون بإمامة علي نصاً وتعييناً.

قالوا: وما كان في الإسلام والدين أمر أهم من تعيين الإمام، ولا يجوز أن يكون ذلك مفوضاً إلى الأمة، بل يجب على الشارع أن يعين لهم إماماً يرجعون إليه ويعولون عليه، وقد عين علياً، ولكن خالفت الأمة فأقاموا أبا بكر، فنسبوهم إلى الظلم والعدوان، والمخالفة والعصيان، ووقعوا في كبار الصحابة طعناً وتكفيراً، ثم لم يثبتوا في تعيين الإمام بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين على رأي واحد، بل اختلفوا اختلافاً كثيراً، ثم ساقوا الإمامة إلى جعفر بن محمد الصادق، واختلفوا في المنصوص عليه بعده من أولاده؛ إذ كان له خمسة أولاد، وقيل: ستة: محمد، وإسحاق، وعبدالله، وموسى، وإسماعيل، وعلي، وكانوا في الأول على مذهب أئمتهم في الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم صار بعضهم معتزلة، وبعضهم وعيدية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم سلفية[2].

ومن حيث اختلفوا في تعيين الإمام من أولاد جعفر فهم فرق،

---

(١) انظر: «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري (ص: ٦٨)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٦٠ ـ ١٦٢).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (ص: ١٦٣ ـ ١٦٥).

لكن الذين اشتهرت بدعهم فهم ثلاث فقط:

إحداها الناروسية.

أتباع رجل يقال له ناروس، أو نسبة إلى قرية ناروسا.

قالوا: إن الصادق حي ولن يموت حتى يظهر اسمه، وهو القائم المهدي.

وحكي عنهم أنهم يقولون: إن علياً قد مات، وستكشف الأرض عنه فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً[1].

الفرقة الثانية: الواقفية.

توقفوا في جعفر هل مات وأسند الإمامة في أولاده، وهو إمام منتظر، وتوقفوا قبله في أبيه الباقر كما توقفوا فيه، وهما بريئان منهم[2].

الفرقة الثالثة: الموسوية.

جزموا بإمامة موسى الكاظم، ولذلك يقال لهم: موسوية، ويقال لهم أيضاً: مفضلية لأن من أئمتهم القائلين بذلك المفضل بن عمرو.

ثم لما مات موسى الكاظم رضي الله تعالى عنه وعن آبائه انقسموا فيه ثلاث فرق:

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (ص: ١٦٧).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (ص: ١٦٥).

ـ فرقة توقفوا في موته أمات أم لم يمت؟ ويقال لهم: ممطورة لأن علي بن إسماعيل بن جعفر الصادق قال لهم: ما أنتم إلا كلاب ممطورة.

ـ وفرقة قالوا: إنه لم يمت، وسيخرج بعد الغيبة، ويقال لهم: الواقفة لأنهم وقفوا في الإمامة على موسى الكاظم.

ـ وفرقة قطعوا بموته، ويقال لهم: قطعية.

ثم اختلفوا في الإمام بعده من أولاده، ولم يشتهر منهم إلا الفرقة الاثني عشرية القائلين بإمامة علي الرضا بن موسى الكاظم.

والأئمة الاثنا عشر عند هؤلاء:

١ ـ علي المرتضى.

٢ ـ حسن المجتبى.

٣ ـ حسين الشهيد.

٤ ـ علي السَّجَّاد الملقب زين العابدين.

٥ ـ محمد الباقر.

٦ ـ جعفر الصادق.

٧ ـ موسى الكاظم.

٨ ـ علي الرضا.

٩ ـ محمد التقي، ويقال له: محمد الجود.

١٠ ـ علي بن محمد التقي.

١١ ـ الحسن العسكري.

١٢ ـ محمد المنتظر، وهو الثاني عشر، ويعتقد هؤلاء الفرقة أن محمد المذكور هو المهدي، وأنه تغيب وهو ابن خمس سنوات، وقيل: تسع سنين[١].

وقد اختلفت الشيعة في الإمام المنتظر على نحو عشرين قولاً، منهم من يقول: هو علي بن أبي طالب.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد المسند» عن عاصم بن ضمرة قال: قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع؟

قال: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه[٢].

والحق أن خروج المهدي من آل البيت آخر الزمان حق، وأن اسمه: محمد بن عبدالله كما وردت الأحاديث الصحيحة بذلك، وأنه غير من ذكرته الشيعة وعينته كل فرقة منهم.

وأما الغلاة: فهم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلق، وأثبتوا لهم أحكام الإلهية، ولحقوا بذلك اليهود

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (ص: ١٦٨ ـ ١٦٩).

(٢) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد المسند» (١/ ١٤٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢): إسناده جيد.

والنصارى والحلولية.

ولهم ألقاب بكل بلد:

- **منها**: فرقة يقال لهم بأصبهان: خرمية، وكودية، وبالري: مزدكية، وسادنية، وبأذربيجان: دقولية، وبما وراء النهر: مبيضة، وبموضع آخر: محمرة.

وروى ابن أبي شيبة، واللالكائي عن السدي رحمه الله تعالى قال: قال علي ﷺ على المنبر: اللهم العن كل مبغض لنا، قال: وكل محب لنا غال[1].

وروى اللالكائي عن علي رضي الله تعالى عنه قال: يهلك فِيَّ رجلان: كل مفرط في حبي، ومفرط في بغضي[2].

وعن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أنه قال: يا أهل العراق! أحبونا حب الإسلام، فوالله ما زال حبكم بنا حتى صار شيناً[3].

وعن محمد بن عبيدالله العرزي قال: أتى أبو جعفر محمد بن علي ابن حسن - يعني: الباقر - رضي الله تعالى عنهم بداية يريد أن يركبها،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢١٣٨)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٣٩٨).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٣٩٧).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٣٩٨).

فلم يقـدر، فرفعنـاه حتى ركبهـا، فقـال: اللهم اخز قوماً يزعمون، أو يقولون: إني أذهب في ليلـة إلى الكـوفة، وأرجـع من ليلتي[1].

والغلاة اثنتا عشرة فرقة:

إحداها: السبئية:

أصحاب عبدالله بن سبأ، قال لعلي رضي الله تعالى عنه: أنت الإله حقاً، فنفاه إلى المدائن.

كان يهودياً فأسلم، وكان يقول في يهوديته في يوشع بن نون عليه السلام مثلما قال في بدعته في علي، وهو أول من قال: إن علياً حي لم يقتل، وفيه الجزء الإلهي، وأنه في السحاب والرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه ينزل إلى الأرض.

وقال بالتناسخ، وتبعه أصحابه في ذلك كله[2].

وروي عن السدي قال: قال لي عبدالله بن حسن رضي الله تعالى عنهما: يا سدي! أخبرني عن شيعتنا قبلكم بالكوفة.

قال: قلت: إن قوماً ينتحلون حبكم يزعمون أن الأرواح تتناسخ.

قال: يا سدي! كذب هؤلاء، ليس هؤلاء منا ولا نحن منهم[3].

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٣٩٩).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٧٤).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٠١).

وروى أبو نعيم عن أبي جعفر الباقر رضي الله تعالى عنه قال: شيعتنا من أطاع الله[1].

وروى اللالكائي عن جعفر بن محمد، عن أبيه رضي الله تعالى عنهما: أن علياً رضي الله تعالى عنه أقبل في عمامة يقال لها السحاب، فقال النبي ﷺ: «هَذا عَلِيٌّ أَبُو حَسنٍ، أَوْ هَذا أَبو حُسَينٍ قَدْ أَقْبَلَ فِي السَّحابِ»؛ يعني: عمامة على علي، فحرف هؤلاء، وقالوا: علي في السحاب[2].

وروى ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال: لما قتل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه حملوه ليدفنوه مع رسول الله ﷺ، فبينما هم في مسيرهم ليلاً إذ ند الجمل الذي هو عليه، فلم يدر أين ذهب، ولم يقدر عليه، قال: فلذلك تقول أهل العراق: هو في السحاب.

وروى الدينوري عن ابن قتيبة قال: ما نعلم في أهل البدع والأهواء قوماً أضعف عقولاً ولا أكثر اختلافاً وتخليطاً من الرافضة؛ وذلك أنا لا نعلم في أهل الأهواء والبدع قوماً ادعوا الربوبية لبشر غيرهم؛ لأن عبدالله بن سبأ وأصحابه ادعوا الربوبية لعلي رضي الله عنه فأحرقهم بالنار، وقال علي في ذلك: [من الرجز]

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٨٤).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٦١)، وكذا ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٩٠) وهو مرسل، وفيه مسعدة بن اليسع هالك.

لَمَّـا رَأَيْـتُ الأَمْـرَ أَمْـراً مُنْكَـراً   أَجَّجْتُ نـاراً وَدَعَـوْتُ قنْبـراً[1]

الفرقة الثانية من الغلاة: الكاملية.

أصحاب أبي كامل، كفَّروا جميع الصحابة بتركهم بيعة علي، وطعنوا فيه بتركه حقه، ولم يعذروه في قعوده عن ذلك مع أنهم غلوا فيه.

وقالوا: الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص، وتارة يكون ذلك النور نبوة، وتارة إمامة.

وقالوا بتناسخ الأرواح وقت الموت[2].

الفرقة الثالثة: العلبائية.

أصحاب علباء بن ذراع القزويني الدوسي، وقيل: الأسدي، كانوا يفضلون علياً على النبي ﷺ.

وقالوا: إنه بعث محمداً ليدعو إليه، فدعا إلى نفسه، ويقال لهؤلاء: ذَمية ـ بالفتح ـ قبحهم الله تعالى.

ـ ومنهم من قال بألوهية الخمسة الذين كانوا أصحاب الكساء وقت المباهلة: محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وقالوا: خمستهم شيء واحد، وحل الروح الإلهي فيهم سوية.

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٨٧).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٧٤).

فقاتل الله هؤلاء ما أشد فريتهم! وأشنع مريتهم! لقد تجاوزوا النصارى في قولهم بالثلاثة.

ومن العجائب أن آية المباهلة إنما أنزلت لبيان كذب النصارى في قولهم: ثالث ثلاثة، أو قولهم بألوهية ثلاثة، وإنما الله تعالى إله واحد، وهؤلاء الداعين يقولون: سادس ستة، أو يقولون بألوهية ستة[1]!

الفرقة الرابعة من الغلاة: المغيرية.

أصحاب المغيرة بن سعد العجلي، ادعى أن الإمام بعد محمد ابن علي بن الحسين: محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين الخارج بالمدينة، وزعم أنه حي لم يمت، ثم ادعى الإمامة لنفسه بعد محمد، وادعى النبوة لنفسه، وغلا في حق علي رضي الله تعالى عنه غلواً لا يعتقده عاقل، وتبعه أصحابه.

وقالوا جميعاً: إن معبودهم صورة وجسم ذو أعضاء عدد حروف المعجم، وأمثالها صورته صورة من نور، على رأسه تاج، وله قلب تنبع منه الحكمة بخلق الاسم الأعظم، فطار فصار على رأسه تاجاً، وكتب على كفه أعمال العباد، فغضب من المعاصي، فعرق فخرج من عرقه البحر، إلى غير ذلك من الكفر الصريح، والضلال القبيح، ثم وقعوا في أبي بكر وعمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ تضليلاً وتكفيراً؛

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٧٥).

قبحهم الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[1].

الفرقة الخامسة من الغلاة: المنصورية.

أصحاب أبي المنصور العجلي، زعم الانتساب إلى محمد الباقر، فتبرأ منه الباقر وطرده، فلما توفي الباقر رضي الله تعالى عنه قال: انتقلت الإمامة إليَّ، وتظاهر بذلك، فتبعه جماعة بالكوفة.

ولما ادعى الإمامة لنفسه زعم أنه عرج به إلى السماء، ورأى معبوده، ومسح رأسه بيده، وقال: يا بني! انزل فبَلِّغْ عني، ثم أهبط إلى الأرض.

وكان يقول لأصحابه: فِيَّ نزل: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾[الطور: ٤٤].

وكان يقول: الكف هو الله، والكف هو علي، فهو اتحادي حلولي.

وزعم هو وأصحابه أن الرسالة والرسل لا تنقطع، وأن الجنة [رجل] أمروا بموالاته، وهو الإمام، والنار رجل أمروا بمعاداته، وهو خصم الإمام، وتأولوا الفرائض كلها أسماء رجال أمروا بموالاتهم، والمحرمات أسماء رجال أمروا بمعاداتهم.

واستحلوا قتل مخالفيهم، وأخذ أموالهم، ووطء نسائهم.

وقالوا: أول ما خلق الله عيسى بن مريم، وعلي بن أبي طالب[2].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٧٦ ـ ١٧٧).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٧٨ ـ ١٧٩).

الفرقة السادسة من الغلاة: الخطابية.

أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجذع، زعم الانتساب إلى جعفر الصادق، فلما وقف الصادق على غلوه فيه تبرأ منه ولعنه، وأخبر أصحابه بالتبرؤ منه، وشدد في ذلك، فلما اعتزل عنه ادعى الأمر لنفسه.

قال هو وأصحابه بألوهية جعفر وآبائه، وقال: هم أبناء الله وأحباؤه، وزعموا أن الأئمة أنبياء، ثم آلهة.

وقالوا: الإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذه الأنوار.

وقُتل الخبيث أبو الخطاب [بـ]ـسبخة البصرة[1].

قال في «القاموس»: والخطابية ـ مشددة ـ: قرية ببغداد، وقوم من الرافضة نسبوا إلى أبي الخطاب، كان يأمرهم بشهادة الزور على مخالفيهم، انتهى[2].

ولما قتل أبو الخطاب افترق قومه بعده فرقاً:

ـ **معمرية**: قالوا: إن الإمام بعده رجل يقال له: معمر، ودانوا به كما دانوا بأبي الخطاب، وزعموا أن الدنيا لا تفنى، وأن الجنة ما يصيب الناس من خير ونعمة، والنار ما يصيبهم من شر وبلية، واستحلوا الخمر،

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٧٩).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٠٤) (مادة: خطب).

والزنا، وسائر المحرمات، وترك الصلاة والفرائض.

- وفريعية: قالوا: إن الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال له: فريع.

قالوا: ظهر الإله بصورة جعفر الصادق إلى الخلق.

وقالوا: كل مؤمن يوحى إليه، وزعموا أن منهم من هو أفضل من جبريل وميكائيل عليهما السلام، ولا يقال لمن انتهى أجله: إنه مات، بل رفع إلى الملكوت، وادعوا رؤية أمواتهم بكرة وعشياً.

- وعميرية: ويقال لهم: عجلية.

قالوا: إن الإمام بعد أبي الخطاب عمير بن بنان العجلي، واعتقدوا ما اعتقدته المعمرية، إلا أنهم اعترفوا بأنهم يموتون، ونصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق.

- وصيرفية: قالوا: الإمام بعد أبي الخطاب مفضل الصيرفي، وكانوا يقولون بإلهية جعفر دون نبوته ورسالته.

قال الشهرستاني: وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه وطردهم، ولعنهم؛ فإن القوم حيارى جاهلون بحال الأئمة، تائهون؛ قبحهم الله تعالى[1].

الفرقة السابعة من الغلاة: الكيالية.

أصحاب أحمد الكيال، وكان من دعاة بعض آل البيت، لعله

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٨٠ ـ ١٨١).

سمع كلمات علية، فخلطها برأيه العاطل، وأبدع في كل باب كلمات غير مسموعة ولا معقولة، وربما عاند الحس، فلما وقف آل البيت على بدعته تبرؤوا منه، فصرف الدعوة إلى نفسه، فادعى أنه الإمام أولاً، ثم ادعى أنه القائم ثانياً.

وقال هو وأصحابه: الأنبياء تارة أهل التقليد عجزة، والقائم قائد أهل النظر، وأهل النظر هم أولوا الألباب[1].

الفرقة الثامنة من الغلاة: الهشامية.

أصحاب هشام بن الحكم المشبه، وهشام بن سالم الجواليقي الناسج على منواله في التشبيه.

قالوا: إن بين معبودهم وبين الأجسام تشابهاً ما، ولولا ذلك لما دلت عليه.

وقالوا: معبودهم جسم ذو أبعاض، وله قدر، لكن لا يشبهه شيء من المخلوقات.

وحكي أنهم يقولون: إنه سبعة أشبار بشبر نفسه، وإنه في جهة مخصوصة، وله حركة هي فعله، وليست من مكان إلى مكان، وقالوا: إنه بالذات لا بالقدر.

وحكي أنهم يقولون: إنه ماسٌّ لعرشه، لا يفضل منه عنه شيء.

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٨١ ـ ١٨٣).

وقالوا: إن الله لم يزل عالماً بنفسه وبالأشياء بعد كونها، ولا يقال فيه: قديم ولا محدث لأنه صفته، والصفة لا توصف.

وقالوا: كلامه صفته، لا يقال: مخلوق، ولا غير مخلوق.

وقالوا: الاستطاعة كل ما لا يكون الفعل إلا به كالآلة، والجارحة، والوقت، والمكان.

وقال هشام بن سالم: إن معبوده على صورة إنسان أعلاه مجوف، وأسفله مصمت، نور يتلألأ، وله يد، ورجل، وعين، وأذن، وأنف، ووفرة سوداء هي نور أسود، لكنه ليس بلحم ولا دم.

وقال: تجوز المعصية على الأنبياء دون الأئمة، وفرق بينهما: أن النبي ينبه على وجه الخطأ فيتوب منه، بخلاف الإمام.

وقالوا في علي: إنه الله واجب الطاعة[1].

الفرقة التاسعة من الغلاة: الزرارية.

أصحاب زرارة بن أعين.

قالوا بحدوث الصفات لله تعالى، وقبل حدوثها لم يكن حياً، ولا عالماً، ولا قادراً، ولا مريداً، ولا سميعاً، ولا بصيراً، ولا متكلماً.

وقالوا: لا يسع جهل الإمام، ومعارفه كلها ضرورية، وكل ما يعرفه غير الإمام بالنظر فهو عند الإمام أول ضروري، ونظريات

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٨٣ ـ ١٨٥).

الإمام لا يدركها غيره.

وكان زرارة يقول بإمامة عبدالله بن جعفر، ثم مال عنه، وقال بإمامة موسى بن جعفر[1].

وروى اللالكائي عن السدي رضي الله تعالى عنه قال: قلت لعبدالله بن حسن: إن عندنا قوماً ينتحلونكم ـ يعني: آل البيت ـ يزعمون أن العلم سكب في قلوبكم.

فقال: يا سدي! ليس هؤلاء منا ولا نحن منهم، من أتى منا الفقهاء وجالسهم كان عالماً، ومن لم يأتهم منا كان جاهلاً[2].

وعن أيوب السختياني قال: سمعت جعفر بن محمد رحمه الله تعالى يقول: إنا والله لا نعلم كل ما يسألونا، ولغيرنا أعلم منا[3].

الفرقة العاشرة: النعمانية، ويقال لهم: الشيطانية.

أصحاب محمد بن النعمان أبي جعفر الأحول الملقب: شيطان الطاق، وافقوا الهشامية في أن الله تعالى لا يعلم شيئاً حتى يكون.

وقالوا: القدرة غير الإرادة، والإرادة هي الفعل.

وقالوا: معبودهم نور على صورة إنسان، ويأبى أن يكون جسماً،

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٨٦).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٠١).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٠١).

لكن ورد في الخبر: «خَلَقَ آدَمَ عَلى صُورَتِهِ»[1]، فوجب تصديقه.

وقالوا: إن الفرقة الناجية هي الشيعة.

وقيل: إن هشام بن سالم، ومحمد بن النعمان أمسكا آخراً عن الكلام في الله تعالى[2].

الفرقة الحادية عشرة: اليوسفية.

ويقال: اليونسية، أصحاب يوسف، أو يونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين من مشبهة الشيعة.

قالوا: إن الملائكة تحمل العرش بالله، وهو أقوى منها كالكرسي تحمله رجلاه[3].

الفرقة الثانية عشرة: النصيرية، ويقال لهم: الإسحاقية.

قالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجثماني لا ينكر كظهور جبريل عليه السلام في صورة أعرابي، وظهور الشيطان في صورة إنسان حتى يعمل الشر، وظهور الجن في صورة شخص يتكلم على لسانه، فكذلك يقولون: ظهر الله تعالى في صورة أشخاص.

قالوا: ولما كان علي وأولاده أفضل البرية بعد النبي ﷺ قلنا:

---

(١) رواه البخاري (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٦١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٨٧).

(٣) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٨٨).

ظهر الحق بصورهم، ونطق بلسانهم، فلذلك أطلقنا الإلهية عليهم باطن الأسرار، ولذلك شبه علي بعيسى بن مريم، وبالقوة الإلهية اقتلع باب خيبر.

وربما قالوا: إن لعلي مع محمد ﷺ شركة في النبوة، قالوا: ولذلك قال علي: أنا من أحمد كالضوء من الضوء.

قال الشهرستاني: والنصيرية أميل إلى تقرير الجزء الإلهي، والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة[1].

* **تَتِمَّةٌ:**

إذا تأملت قبائح الغلاة من الروافض من دعوى الألوهية لعلي، ثم انتقالها في أولاده، علمت أنهم بذلك كفار مشركون؛ إذ لا شك في كفر من هذا اعتقاده، ولا خلاف فيه، وإنما الخلاف في الرفض الخالي عن المكفرات المجمع عليها، ومن المعلوم أن كفرهم لم يكن إلا من غلوهم وتهورهم فيه حتى ضلت عقولهم، وضعفت آراؤهم.

وقال الدينوري في «المجالسة»: حدثنا عبدالله بن مسلم قال: ما نعلم في أهل البدع والأهواء قوماً ادعوا الربوبية لبشر غير الرافضة لأن عبدالله بن سبأ وأصحابه ادعوا الربوبية لعلي فأحرقهم بالنار، وقال علي رضي الله تعالى عنه: [من الرجز]

لَمَّا رَأَيْتُ الأَمْرَ أَمْراً مُنْكَراً ... أَجَّجْتُ نَاراً وَدَعَوْتُ قنبراً[2]

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٨٨ ـ ١٨٩).

(٢) تقدم قريباً.

قلت: هذا إن صح فعليه يتمشى ما اعتاده حكام هذه الأمصار من تحريق الرافضة بالنار.

ونظير ذلك ما رواه ابن أبي الدنيا، والبيهقي من طريقه بإسناد جيد، عن محمد بن المنكدر: أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه وجد رجلاً في بعض ضواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة، فجمع لذلك أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أصحاب رسول الله ﷺ فيهم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فقال علي رضي الله تعالى عنه: إن هذا ذنب لم يعمل به أمة إلا أمة واحدة، ففعل الله بهم ما قد علمتم؛ أرى أن نحرقه بالنار، فأمر به أبو بكر رضي الله تعالى عنه أن يحرق بالنار[1].

قال الحافظ عبد العظيم المنذري: حرق اللوطية بالنار أربعة من الخلفاء: أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك[2].

وقد تقدم حكم اللوطي في المذاهب الأربعة.

وأما الإسماعيلية: فهم الذين يقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وهو أكبر أولاده.

قالوا: هو المنصوص على إمامته.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٨٩).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ١٩٨).

وقد مات إسماعيل في حياة أبيه، فأشهد على موته، وكتب به محضراً خشية أن تضل الشيعة فيه، ويأبى الله إلا أن يضلوا، فاختلفوا فيه هل مات أم لا؟

فقيل: إنه لم يمت إلا أن جعفراً أظهر موته تقيةً من خلفاء بني العباس.

وقيل: بل موته صحيح.

والفائدة في النص على إسماعيل: بقاء الإمامة في ولده، فالإمام بعده ولده محمد بن إسماعيل، وهو السابع القائم، وإنما تبرأت الشيعة منه للأئمة المستورين الذين كانوا يستترون في البلاد يظهرون دعاتهم.

ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل، وقال برجعته بعد غيبته.

ومنهم من ساق الإمامة في أولاده المستورين، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم، ويقال لهؤلاء: باطنية لقولهم: إن للقرآن ظاهراً وباطناً، والمراد منه باطنه لا ظاهره، والمتمسك بظاهره معذب بالمشقة في الاكتساب، وباطنه مؤد إلى ترك العمل بظاهره، وانجرت بهم هذه المقالة إلى الانحلال عن الدين.

ويقال لهؤلاء أيضاً: بابكية؛ لأن منهم من تبع بابك الخرمي بأذربيجان، وكان يعتقد اعتقاد المجوس.

ويقال لهم: محمرة للُبسهم الحمرة في أيام بابك، أو لأنهم كانوا

يسمون المسلمين حميراً لأخذهم بظاهر القرآن وبالشريعة.

ويقال لهم: قرامطة لأن أول من دعا الناس إلى مذهبهم يقال له: حمدان قرمط، وهي إحدى قرى واسط[1].

وقال في «القاموس»: القرامطة جيل من الناس، الواحد: قرمط[2].

ويقال لهم بخراسان: ملحدة، وملاحدة، وتعليمية لقولهم: لا بد من إمام معلم.

ويقال لهم: سبعية لقولهم: إنما تدور أحكام الأئمة على سبعة سبعة كأيام الأسبوع، والسماوات السبع، والكواكب السبعة، وهي المدبرات أمراً، والبحار السبعة، وزعموا أن النطقاء بالشرائع سبعة، وهم الرسل: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، والمهدي؛ قالوا: وهو سابع النطقاء.

وقالوا: وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون شريعة الناطق قبلهم.

قالوا: لا بد في كل عصر من سبعة بهم يقتدى ويهتدى، وهم متفاوتون:

أحدهم: إمام يؤدي عن الله تعالى، وهو غاية الأدلة في دين الله.

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٩٠ ـ ١٩٣).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٨٨١) (مادة: قرمط).

وثانيهم: حجة يؤدي عن الإمام، ويحمل عليه، ويحتج به.

وثالثهم: ذو مصة يمص العلم من الحجة.

ورابعهم، وخامسهم، وسادسهم: دعاة وأبواب؛ أكبرهم رافع يرفع درجات المؤمنين.

أوسطهم مأذون بأخذ العهد على الظالمين من أهل الظاهر فيدخلهم في ذمة الإمام، ويفتح لهم باب العلم والمعرفة.

وأصغرهم مكلب لم يؤذن له في الدعوة، بل في الاحتجاج على الناس، يحتج على من وجده من أهل الظاهر حتى يكسر عليه مذهبه بحيث يرغب عنه، ويطلب الحق من المكلب، فيدله على الداعي المأذون، فيأخذ العهد عليه بشهود ككلب الصيد.

وسابعهم: مؤمن آمن، ودخل في عهد الإمام[1].

قالوا: والنقباء تدور أحكامهم على اثني عشر.

قالوا: ومن ثم قررت الإمامية القطعية عدد أئمتهم اثني عشر، وإنما هي عدة النقباء.

ومن مذهبهم: أن من مات ولم يعرف إمام عصره وزمانه، أو مات ولم يكن له في عنقه بيعة إمام معصوم مات ميتة جاهلية.

قال العضد في «مواقفه»: وأصل دعوتهم على إبطال الشرائع مع الغيارية من المجوس، راموا عند شوكة الإسلام تأويل الشرائع على

---

(١) انظر: «المواقف» للإيجي (٣/ ٦٧٥).

وجه يعود على قواعد أسلافهم.

ورأسهم: حمدان قرمط.

وقيل: عبدالله بن ميمون القداح.

ولهم في الدعوى مراتب:

ـ الذوق: وهو تفرس حال المدعو هل هو قابل للدعوة أم لا، ولذلك منعوا البذر في السبخة؛ أي: دعوة من ليس قائلاً لها، والتكلم في بيت فيه سراج، أو رقعة، أو متكلم.

ـ [ثم التأنيس باستمالة كل أحد بما يميل إليه من زهد وخلاعة][1].

ـ ثم التشكيك في أركان الشريعة بمقطعات السور كـ: ﴿الٓمٓ﴾، و﴿حمٓ﴾، وقضاء صوم الحائض دون صلاتها، والغسل من المني دون البول، وعدد الركعات ليتعلق قلبه بمراجعتهم فيها.

ـ ثم الربط: أخذ الميثاق منه يجب اعتقاده أن لا يفشي لهم سراً، وجوابه على الإمام في كل ما يشكل عليه.

ـ ثم التدليس: وهو دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا لهم حتى يزداد ميله.

ـ ثم التأسيس: وهو تمهيد مقدمات يقبلها المدعو.

---

(١) ما بين معكوفتين من «المواقف».

ـ ثم السلخ عن الاعتقادات: وحينئذ يأخذون في الإباحة، والحث على استعجال اللذات، وتأويل الشرائع[1].

فقولهم: الوضوء عبارة عن موالاة الإمام.

والتيمم: الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام.

والصلاة: عبارة عن الباطن الذي هو الرسول بدليل أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

والغسل: تجديد العهد.

والزكاة: تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه إلى غير ذلك من قبائح تأويلاتهم الفاسدة؛ قبحهم الله تعالى.

ـ **ومن عقائدهم الفاسدة**: أن البارىء ـ تعالى عن قولهم ـ لا موجود ولا معدوم، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات؛ قالوا: لأن الإثبات الحقيقي يقتضي الشركة بينه وبين سائر الموجودات، وذلك تشبيه.

وزعموا أن معنى أنه عالم قادر: واهب العلم والقدرة، لا قام به العلم والقدرة.

وربما خلطوا كلامهم بالفلسفة فقالوا: إن البارىء ـ تعالى ـ أبدع بالأمر العقل التام، وبمتوسطه أبدع النفس التي ليست تامة، فاشتاقت النفس إلى العقل التام مستفيضة منه، فاحتاجت إلى الحركة من النقصان

---

(١) انظر: «المواقف» للإيجي (٣/ ٦٧٦ ـ ٦٧٧).

إلى كمال، ولن تتم الحركة إلا بآلتها، فحدثت الأجرام الفلكية، وتحركت بحركة دورية بتدبير النفس، فحدث بتوسطه الطبائع البسيطة العنصرية، وبتوسط البسائط حدثت المركبات من المعادن، والنباتات، والحيوانات، وأفضلها الإنسان لاستعداده لفيض الأنوار القدسية عليه، واتصالها بالعالم العلوي، وحيث كان العالم العلوي مشتملاً على عقل كامل كلي ونفس ناقصة كلية يكون مصدراً للكائنات، وجب أن يكون في العالم السفلي عقل كامل يكون وسيلة إلى النجاة، وهو الرسول الناطق، ونفس ناطقة نسبتها إلى الباطن في تعريف طرق النجاة، نسبة النفس الأولى إلى العقل الأول، وهو الإمام الذي هو وصي الناطق، وكما أن تحرك الأفلاك بتحرك العقل والنفس، كذلك تتحرك النفوس إلى النجاة بتحريك الناطق والوصي، وتدور الحركات في كل زمان دائر على سبعة سبعة حتى ينتهي الدور إلى الآخر، وهو دور المهدي، ويدخل زمان القيامة، ويرتفع التكليف.

ثم قالوا: ما من فريضة، ولا حكم من أحكام الشريعة إلا وله وزان من العالم عدداً في مقابلة عدد، وحكماً في مطابقة حكم؛ فإن الشرائع عوالم روحانية أمرية، والعوالم شرائع جسمانية خلقية، وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات على وزان تركيبات الصور والأجسام.

وهذه المقالات كانت طرائق قدمائهم وأسلافهم، ولما ظهر الحسن ابن الصباح أظهر دعوته، وقصر على إلزامات دعوته، واستظهر بالرجال، وتحصن بالقلاع، وكثرت شوكتهم، وخافت ملوك السوء منهم.

وحاصل كلامه في تقرير الاحتياج إلى العلم، ثم إنه منع العوام عن الخوض في العلوم، والخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة لئلا يطلعوا على فضائحهم، ثم إنهم تفلسفوا ولم يزالوا مستهزئين بالأمور الدينية والأحكام الشرعية حتى أظهروا إسقاط التكليف، وأباحوا المحرمات، وصاروا كالحيوانات العجماوات بلا ضابط ديني، ولا وازع شرعي؛ نعوذ بالله من الضلالة والجهالة، ونسأله الصيانة في كل حال[1].

* **تَنْبِيهٌ:**

من قبائح الرافضة في التأويل ما نقله ابن قتيبة من قولهم في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[النمل: ١٦]: إن سليمان عبارة عن الإمام، ورث عن النبي ﷺ.

وقولهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾[البقرة: ٦٧]: إنها عائشة رضي الله تعالى عنها.

وفي قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾[البقرة: ٧٣]: إنه طلحة، والزبير رضي الله تعالى عنهما.

وقولهم في الخمر والميسر: إنهما أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.

والجبت والطاغوت: إنهما معاوية، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما[2].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٩٣ ـ ١٩٥).

(٢) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ٧١).

في عجائب يُرغب عن ذكرها، ويرغب العاقل عن سمعها، ولا شك أن من هذا اعتقاده فهو كافر.

وروى اللالكائي عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما: أن عائشة رضي الله تعالى عنها ذكرت عند رجل فسبها، فقيل: أتسب أمك.

قال: ما هي أمي.

فبلغها فقالت: صدق؛ أنا أم المؤمنين، وأما الكافرون فلست لهم بأم[1].

ولما اطلع جماعة من السلف الصالح على قبائح الروافض التي تؤذن بالانحلال عن الدين أكفروهم، ومنهم من جعلهم شراً من اليهود والنصارى كما روي عن الشعبي، وقد ذكر منه كلامه في: التشبه بأهل الكتابين.

وقال أحمد بن يونس: إنا لا نأكل ذبيحة رجل رافضي؛ كأنه عنده مرتد[2].

وقال محمد بن يوسف الفريابي: ما أرى الرافضة والجهمية إلا زنادقة[3].

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٣٦).

(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٥٩).

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨/ ١٤٥٧).

ولقد أخرج التشيع والغلو فيه كثيراً من الروافض عن حيز العقل، وأدخلهم في عداد أهل الحماقة والجهل كما يدل على ذلك تأويلاتهم المشار إليها آنفاً.

ومن ذلك ما ذكره الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» عن أبي الحسين بن المظفر الحافظ، عن القاسم بن زكريا المطرز قال: وردت الكوفة نكتب عن شيوخها كلهم غير عباد بن يعقوب ـ وكان عباد شيعياً ـ فلما فرغت دخلت إليه، وكان يمتحن من يسمع منه، فقال لي: من حفر البحر؟

قلت له: الله خلق البحر.

قال: هو كذلك، ولكن من حفره؟

فقلت: يذكر الشيخ.

فقال: حفره علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

ثم قال: من أجراه؟

قلت له: مجري الأنهار ومنبع العيون.

فقال: هو كذلك، ولكن من أجرى البحر؟

فقلت: يفيدني الشيخ.

فقال: أجراه الحسين بن علي رضي الله عنهما.

ـ قال: وكان عباد مكفوفاً، ورأيت في داره سيفاً معلقاً وحجفة ـ فقلت: أيها الشيخ! لمن هذا السيف؟

فقال: لي، أعددته لأقاتل به مع المهدي.

قال: فلما فرغت من سماع ما أردت أن أسمعه منه، وعزمت على الخروج عن البلد، دخلت عليه، فسألني من حفر البحر، فقلت: حفره معاوية، وأجراه عمرو بن العاص، ثم وليت من بين يديه، وجعلت أمشي، وجعل يصيح: أدركوا الفاسق عدو الله فاقتلوه[1].

ومما زعمه الروافض، ووافقهم عليه بعض سخفاء العقول ما أنكره ابن قتيبة، وغيره من أئمة الحديث قديماً وحديثاً، ومن متأخريهم شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر العسقلاني ما ادعته طوائف منهم أنهم يعلمون بعض المغيبات والأمور الباطنة مما وقع إليهم من الجفر المنسوب إلى سيدنا علي رضي الله تعالى عنه، وهو جلد جفر ادعوا أن علياً رضي الله تعالى عنه كتب فيه كل ما يحتاجون إلى علمه، وكل ما يكون إلى يوم القيامة، وقد ذكر هذا الجفر هارون بن سعد العجلي، وهو رأس الزيدية، فقال: [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرَّافِضِينَ تَفَرَّقُوا ... وَكُلُّهُمُ فِي جَعْفَرٍ قَالَ مُنْكَرا

فَطائِفَةٌ قَالُوا: إِمَامٌ، وَمِنْهُمُ ... طَوائِفُ سَمَّتْهُ النَّبِيَّ الْمُطَهَّرا

وَمِنْ عَجَبٍ لَمْ أَقْضِهِ جِلْدُ جَفْرِهِمْ ... بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِمَّنْ تَجَعْفَرا

بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ رافِضٍ ... بَصِيرٍ بِبابِ الْكُفْرِ فِي الدِّينِ أَعْوَرا

---

(١) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٤/ ١٧٩).

إِذا كَفَّ أَهْلُ الْحَقِّ عَنْ بِدْعَةٍ مَضَى عَلَيْها وَإِنْ يَمْضُوا عَلى الْحَقِّ قَصَّرا

وَلَوْ قالَ إِنَّ الفيلَ ضَبٌّ لَصَدَّقُوا وَلَوْ قالَ زُنْجِيٌّ تَحَوَّلَ أَحْمَرا

وَأَخْلَفُ مِنْ بَوْلِ الْبَعِيرِ فَإِنَّهُ إِذا هُوَ للإِقْبالِ وُجِّهَ أَدْبَرا

فقبَّحَ أَقْوامٌ رَمَوْهُ بِفِرْيَةٍ كَما قالَ فِي عِيسَى الفِرى مَنْ تَنَصَّرا[1]

ولم يكن حب الآل وموالاتهم [من] الرفض لولا هذه العظائم؛ فإن حب آل البيت رضي الله تعالى عنهم فرض واجب، كما أن حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقول الخير فيهم، والسكوت عما شَجَر بينهم كذلك.

ولقد كان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه يوالي آل البيت، ويثني عليهم حتى نسبته الخوارج إلى الرفض، وله فيهم ﷺ وعنهم:

[من مجزوء الكامل]

آلُ النَّبِيِّ ذَرِيعَتِي وَهُمُ إِلَيْهِ وَسِيلَتِي

أَرْجُو بِهِمْ أُعْطَى غَداً بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي

وقال ابن أبي حاتم: أنشدنا المزني قال: سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه ينشد: [من الطويل]

إِذا نَحْنُ فَضَّلْنا عَلِيّاً فَإِنَّنا رَوافِضُ بِالتَّفْضِيلِ عِنْدَ ذَوِي

---

(١) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ٧٠)، و«المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ١٨٧).

وَفَضْلُ أَبِي بَكْرٍ إِذا ما ذَكَرْتُهُ   رُمِيتُ بِنَصْبٍ عِنْدَ ذِكْرِي

فَلا زِلْتُ وَالرَّفْضُ وَنَصْبٌ كِلاهُما   بِحُبِّهِما حَتَّى أُوَسَّدَ فِي الرَّمْلِ[1]

أخبرنا شيخ الإسلام والدي: أن شيخي الإسلام أبا يحيى زكريا الأنصاري، وأبا إسحاق إبراهيم القلقشندي قالا: أنا العز عبد الرحيم ابن الفرات الحنفي، أنا قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن قاضي القضاة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، أنا أبي، أنا أحمد بن محمد بن الحسن بن سالم الصواف بدمشق، أنا أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الصمد السخاوي، أنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، أنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الموازيني، عن القاضي أبي عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي المصري كتابةً قال: قرأت على أبي عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق الحلبي، قال: حدثني جدي محمد وأحمد، قالا: سمعنا جعفر بن أحمد بن الرواس بدمشق، سمعت الربيع بن سليمان يقول: خرجنا مع الشافعي رضي الله تعالى عنه من مكة يريد مِنًى، فلم ينزل وادياً، ولم يصعد شِعْباً إلا وهو يقول: [من الكامل]

يا راكِباً قِفْ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى   وَاهْتِفْ بِقاعِدِ خَيْفِها وَالنَّاهِضِ

سَحَراً إِذا فاضَ الْحَجِيجُ إِلَى   فَيْضاً كَمُلْتَطَمِ الفُراتِ العارِضِ

---

(١) وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١/ ١٤٦).

إِنْ كانَ رَفْـضاً حُـبُّ آلِ مُحَمَّـدٍ فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلانِ أَنِّيَ رافِـضِـي[1]

وروى أبو نعيم عن مجاهد قال: شيعة علي رضي الله عنه: الحكماء العلماء، الذُّبل الشفاه، الأخيار، الذين يعرفون بالرهبانية من أثر العبادة[2].

وعن علي رضي الله عنه قال: «إنَّ ابنَي فاطمةَ رضي الله عنهم اشترك فيه البر والفاجر، وإني كتب إلي وعهد إلي أني لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق[3].

والمراد بحبه أن لا يبلغ التلف والغلو.

وروى ابن عساكر عنه: أن رسول الله ﷺ قال له: «يا عَلِيُّ! إِنَّ الإِسْلامَ عُرِيانٌ، لِباسُهُ التَّقْوى، وَرِياشُهُ الْهُدى، وَزِينَتُهُ الْحَياءُ، وَعِمادُهُ الوَرَعُ، وَمِلاكُهُ العَمَلُ الصَّالِحُ، وَأَساسُ الإِسْلامِ حُبِـي وَحُبُّ آلِ بَيْتِي»[4].

وروى أبو نعيم في «فضائل الصحابة» رضي الله تعالى عنهم، عن علي رضي الله تعالى عنه، وابن عساكر عنه، وعن حذيفة رضي الله عنه: أن

---

(1) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٩/ ١٥٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩/ ٢٠).

(2) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٨٦).

(3) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٨٥)، وعنده: أن النبي ﷺ قال: «إن ابنتي فاطمة يشترك في حبها البر والفاجر . . .».

(4) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٢٤١).

النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «يا عَلِيُّ! إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَتَّخِذَ أَبا بَكْرٍ والِداً، وَعُمَرَ مُشِيراً، وَعُثْمانَ سَنَداً، وَأَنْتَ يا عَلِيُّ ظَهْراً، فَأَنْتُمْ أَرْبَعَةٌ قَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَكُمْ فِي أُمِّ الْكِتابِ، لا يُحِبُّكُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلا يُبْغِضُكُمْ إِلاَّ فاجِرٌ، خَلائِفُ نُبُوَّتِي، وَعَقْدُ ذِمَّتِي، وَحُجَّتِي عَلَى أُمَّتِي؛ لا تَقاطَعوا، وَلا تَدابَروا، وَتَغافَروا»[1].

وروى اللالكائي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعالَى اخْتارَ أَصْحابِيَ عَلى جَمِيعِ الْعالَمِينَ سِوى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَاخْتارَ لِي مِنْ أَصْحابِيَ أَرْبَعَةً؛ أَبا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمانَ، وَعَلِيّاً، فَهَؤُلاءِ خَيْرُ أَصْحابِي، وَأَصْحابِي كُلُّهُمْ خَيْرٌ، وَاخْتارَ أُمَّتِي عَلى سائِرِ الأُمَمِ»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَجْتَمِعُ حُبُّ هَؤُلاءِ الأَرْبَعَةِ إِلاَّ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمانَ، وَعَلِيٍّ رضي الله عنهم»[3].

---

(١) رواه أبو نعيم في «فضائل الخلفاء الراشدين» (ص: ٣٦٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ٢٩)، وكذا الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٤٥) عن علي رضي الله تعالى عنه، وقال: هذا الحديث منكر جداً. وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ٦٣) عن حذيفة رضي الله عنه

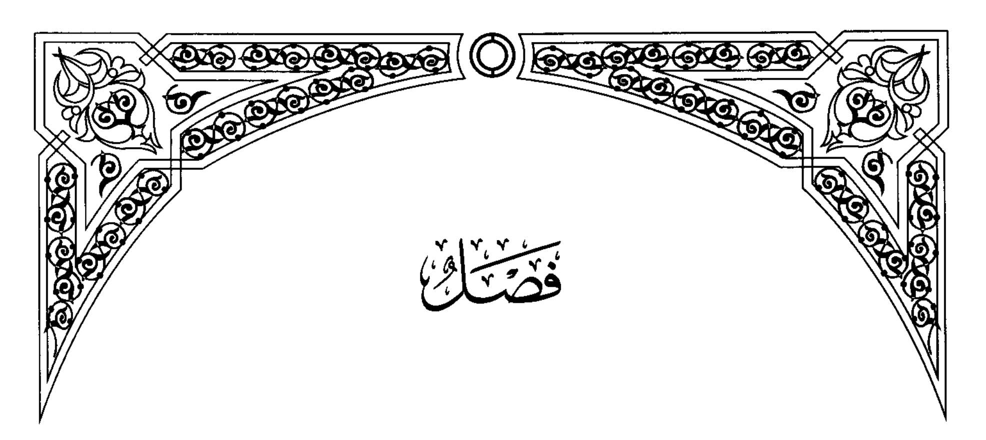
(٢) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٢٤٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦): رواه البزار، ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف.

(٣) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٢٤٢)، والإمام أحمد في «الورع» (ص: ٨١)، وعبد بن حميد في «المسند» (١٤٦٤).

وعن أيوب السختياني رضي الله تعالى عنه قال: من أحب أبا بكر الصديق فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علي بن أبي طالب فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب محمد ﷺ فقد برىء من النفاق[1].

* * *

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٢٤٣).



فصل

حيث ذكرنا لك هنا اعتقادات الفرق الهالكة لتكون حَذوراً من التشبه بهم في تلك الاعتقادات الفاسدة، فينبغي أن نذكر هنا عقيدة أهل السنة والجماعة من السلف والخلف، وهم الفرقة الناجية، منهم الأشاعرة أصحاب أبي الحسن الأشعري رحمهم الله تعالى، وحشرنا في زمرتهم لتكون حريصاً على التشبه بهم في ذلك إما بطريق الاستدلال بالأدلة القاطعة إن كنت من أهله، وإما بالاعتقاد الجازم الذي لا يتداخله شك.

فنعتقد أن الله تعالى واجب الوجود، وقديم أزلي، لا ابتداء له، باقٍ أبديٌّ لا انتهاء له، وهو واحد لا ينقسم ولا يشبه بوجه، لا تشبه ذاته الذوات، ولا صفاته الصفات، ليس بجوهر، ولا جسم، ولا عرض لأنها حوادث، وهو منزه عن الحدوث، والمكان، والزمان، وليس هو كغيره محلاً للحوادث، ولا يحل في شيء، ولا هو في حيز ولا جهة، ولا تصح عليه الحركة والانتقال، ولا الجهل ولا الكذب، ولا شيء من صفات النقص، ولم يزل سبحانه موجوداً بأسمائه وصفات ذاته.

وهي: الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام.

فهو حي، عليم، مريد، قدير، سميع، بصير، متكلم.

وهي صفات أزلية قائمة بذاته سبحانه.

وما ورد في الكتاب والسنة من مشكلات الصفات كالوجه، والعين، والطرف، والنظر، واليد، والروح، والنفس، والاستواء، والنزول نثبته؛ أي: نعتقد أنه ثابت كما هو، ونؤمن به بما يظهر لنا من معناه، وما أشكل علينا واشتبه فوَّضنا علمه إلى الله تعالى كما هو مذهب السلف مع التنزيه له سبحانه عن ظاهره، وجهلُنا بتفصيله لا يقدح في اعتقادنا المراد منه مجملاً.

أو أولناه بما يليق بجلال الله تعالى كما هو مذهب الخلف.

قال الجد الرضي الغزي رحمه الله تعالى: والتسليم أسلم، والتأويل أحكم[1].

---

(١) قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٣٥٢) ـ ناقلاً عن غيره ـ: قول من قال: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أحكم، ليس بمستقيم؛ لأنه ظن أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه في ذلك، وأن طريقه الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، فجمع هذا القائل بين الجهل بطريقة السلف والدعوى في طريقة الخلف، وليس الأمر كما ظن، بل السلف في غاية المعرفة بما يليق بالله تعالى، وفي غاية التعظيم له والخضوع لأمره والتسليم لمراده، وليس من سلك طريق الخلف واثقاً بأن الذي يتأوله هو المراد، ولا يمكنه القطع بصحة تأويله.

والقرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق، وهو محفوظ في صدورنا، مكتوب في مصاحفنا، مقروء بألسنتنا.

والله سبحانه وتعالى خلق العباد وأعمالهم، وهو غني عن العالمين، ولا خالق غيره.

والقدر منه سبحانه وتعالى خيره وشره، وكل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكَيْس.

خلق هذا العالم البديع من غير حاجة منه إليه.

ولا يجب على الله تعالى شيء، بل هو فعال لما يريد، فإن أثاب الطائعين فمن فضله، وإن عاقب العاصين فبعدله إلا أن يغفر بفضله ما دون الشرك مما يشاء من العباد، وله أن يثيب العاصي، ويعاقب المطيع، ويؤلم الطفل والدابة لأنه لا يسأل عما يفعل[1]، ويستحيل وصفه بالظلم، والسعيد سعيد الأزل، والشقي شقي الأزل.

وقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[الرعد: ٣٩]؛ أي: في اللوح المحفوظ.

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد: ٣٩]؛ أي: أصله الذي لا يغير منه شيء، كما قال ابن عباس، وغيره[2].

---

(١) ولحكم وأسرار لا يعلمها إلا الله. وقد تكلم في هذه المسألة بكلمات جامعات، وفوائد فريدات العلامة ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (ص: ٢٧٣ ـ ٢٧٦) فانظرها.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ١٦٩).

والرضا والمحبة غير الإرادة والمشيئة، فهو الهادي والمضل حقيقة، لا يكـون في ملكـه إلا ما يشـاء، ولا يرضـى لعبـاده الكـفر، ولا يجب لهم العصمة والتوفيق.

خلق قدره الطاعة في العبد، وضده الخذلان، خلق قدره المعصية في العبد، ثم للعبد ما كسب وعليه ما اكتسب، ولا حجة على الله تعالى، ولله الحجة البالغة.

والختم والطبع والأكنة والران المذكورة في القرآن كلها بمعنى خلق الضلالة في القلب.

أرسل الله سبحانه وتعالى رسله إلى خلقه مؤيداً لهم بالمعجزات، وخص محمداً ﷺ منهم بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان مقرراً لشريعته.

وأفضل المرسلين محمد ﷺ، ثم إبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

وهؤلاء هم أولوا العزم على الأصح.

وقيل: كلهم، وتقدم الكلام على ذلك.

ثم أفضل الخلق بعد هؤلاء بقية الرسل، ثم بقية الأنبياء، ثم خواص الملائكة، ثم البشر.

وأفضل البشر بعد الأنبياء عليهم السلام أبو بكر، فعمر، فعثمان، فعلي، فبقية العشرة، فبقية أهل بدر، فبقية أهل بيعة الرضوان رضي الله تعالى عنهم.

والإيمـــان: التصديق بالقلب بالله، وملائكته، وكتبه، ورســله، والقدر خيره وشره، واليوم الآخر.

والتلفظ بالشهادتين؛ قيل: شرط للإيمان، وعليه إمام الحرمين، والغزالي، وغيرهم.

وقيل: شطر منه، وعليه الجمهور.

ولا يستكمل العبد الإيمان إلا بالأعمال الصالحة التي هي شعب الإيمان، وهو معنى قول السلف: الإيمان قول وعمل ونية، ويزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية(١).

ولا يذهب الفسق الإيمان، بل من مات مصدقاً بقلبه وهو فاسق بما دون الشرك مات مؤمناً، وهو تحت المشيئة؛ إن شاء الله عاقبه، وإن شاء عفا عنه، ولا يخلد في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

ونؤمـن؛ أي: نصـدق بالبعـث بعد الـموت، والإعـادة للـروح والجسد، وعذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين، والحشر، والقيام لرب العالمين، والشفاعة، والحوض، والرؤية، والصراط، والميزان، والحساب، والجنة والنار، وأنهما مخلوقتان موجودتان الآن، ونؤمن أن المؤمنين يرون ربهم ﷻ يوم القيامة، وفي الجنة، ويحجب الكفار عن رؤيته كما جاء بذلك الكتاب والسنة.

---

(١) انظر: «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٥/ ٨٨٧).

ونصب الإمام واجب على الناس لسد الثغور، وتجهيز الجيوش، وقهر المتغلبة والمتلصصة ـ ولو كان المنصوب مفضولاً ـ فإن نصبه يكفي في الخروج من عهدة هذا الواجب، ولا يجوز الخروج عليه وإن جارٍ.

والصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول أخيار، وما شجر بينهم نسكت عنه، ونرى أن الكل مأجورون، وكان علي رضي الله تعالى عنه على الصواب فله أجران.

وأول الخلفاء الراشدين أبو بكر رضي الله تعالى عنه، والخلفاء على ترتيبهم في الفضيلة رضي الله تعالى عنهم، ولم يثبت عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قبل الإسلام حالة كفر، بل كان ملحوظاً بالرضا والتوفيق.

وروى ابن عساكر عن أبي العالية الرياحي قال: قيل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ: هل شربت الخمر في الجاهلية؟

فقال: أعوذ بالله!

فقيل: ولم؟

قال: كنت أحفظ مروءتي، وأصون عرضي؛ فإن من شرب الخمر كان مضيعاً لعرضه ومروءته.

قال: فبلغ رسول الله ﷺ فقال: «صَدَقَ أَبُو بَكْرٍ، صَدَقَ أَبُو بَكْرٍ» مرتين[1].

وعائشة رضي الله تعالى عنها بريئة في كل ما وقع فيه أصحاب

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٣٣).

الإفك، برَّأها الله تعالى، ومن قذفها بعد تبرئته إياها فهو كافر، ومن أنكر صحبة أبيها فهو كافر، والنبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم.

وأئمة المذاهب الأربعة أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وسائر أئمة المسلمين [...][1] رضي الله تعالى عنهم كالسفيانين، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وداود الظاهري ـ دون أئمة المبتدعة ـ على هدى من ربهم في العقائد وغيرها، ولا التفات إلى من تكلم فيهم بما هم بريئون منه، واختلافهم في الفروع رحمة، وهم مثابون على اجتهادهم.

وأبو الحسن الأشعري إمام في السنة، مقدم في الطريق في الاعتقاد على غيره.

وأبو القاسم الجنيد، وأمثاله من الصوفية كأبي الحسن الثوري، وأبي محمد الحريري، وابن عطاء، وسائر رجال «الرسالة» لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، و«الحلية» لأبي نعيم الأصبهاني، ومن كان على طريقتهم من المتأخرين كأبي عبد الرحمن السلمي، وأبي على الدقاق، والقشيري، والغزالي، وأخيه، والسهروردي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، وطبقة بعد طبقة إلى عصرنا كلهم على طريقة السداد، والعمل بالكتاب والسنة، والبراءة من البدعة، دون من انحرف عن هذه الطريقة.

---

(١) بياض في «أ» و«ت»، بمقدار كلمتين.

وفي طريقتهم ألفية جدي رضي الله تعالى عنه المسماة بـِ: «الجوهر الفريد في أدب الصوفي والمريد»، وشرحها الذي كتبته عليها، وسميته: «منبر التوحيد»، وقد جمعت فيه بتوفيق الله متفرقات الطريق على وجه التحقيق؛ فعليك بالتشبه بهؤلاء كلهم، والعمل بطريقتهم، لعلك تحشر معهم.

وأخبرنا والدي شيخ الإسلام رحمه الله تعالى إجازةً عن القاضي زكريا، عن ابن الفرات، عن أبي حفص المراغي، وجماعة قالوا: أنا الفخر أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد عُرف بابن البخاري، عن أبي المكارم أحمد بن محمد بن اللَّبَّان، وأبي الحسن مسعود بن محمد بن أبي منصور الكمال قالا: أنا أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد، أنا الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، ثنا محمد بن عمر بن سالم، ثنا جعفر بن محمد الفريابي، ثنا المسيب بن واضح، ثنا ابن إسحاق الفزاري، عن الأوزاعي قال: كان يقال: خمس عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله[1].

وبه إلى أبي نعيم: ثنا أبو جعفر محمد بن عبدالله بن عروة قال: سمعت يوسف بن موسى القطان يحدث أن الأوزاعي قال: رأيت رب العزة سبحانه وتعالى في المنام، فقال لي: يا عبد الرحمن! أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٤٢).

فقلت: بفضلك يا رب.

فقال: تمن علي؟

فقلت: يا رب أمتني على الإسلام.

فقال: وعلى السنة[1].

وقال أبو القاسم الأصبهاني في «ترغيبه»: أنا عبد الواحد بن إسماعيل الروياني في كتابه، أنا أبو محمد الحباري قال: سمعت أبا محمد الحسين بن علي سنة تسعين ـ بتقديم التاء ـ ومئتين يقول: علامة أهل السنة كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ.

ـ **ومن اللطائف**: ما رواه الدينوري عن الشعبي رحمه الله تعالى قال: أحب أهل بيت نبيك ﷺ ولا تكن رافضياً، واعمل بالقرآن ولا تكن حرورياً، واعلم أن ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، ولا تكن قدرياً، وأطع الإمام ولو كان عبداً حبشياً[2].

ونقل الأستاذ أبو القاسم القشيري في جزء جمع فيه كلام أبي علي الدقاق نقلاً عنه؛ قال: وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: نحن وأصحابنا قاصدون إلى الله تعالى، وأهل البدع راجعون عنه، وأهل الغفلة يدورون يَمْنة ويَسْرة، وقعوا في الوحل و[. . . .][3].

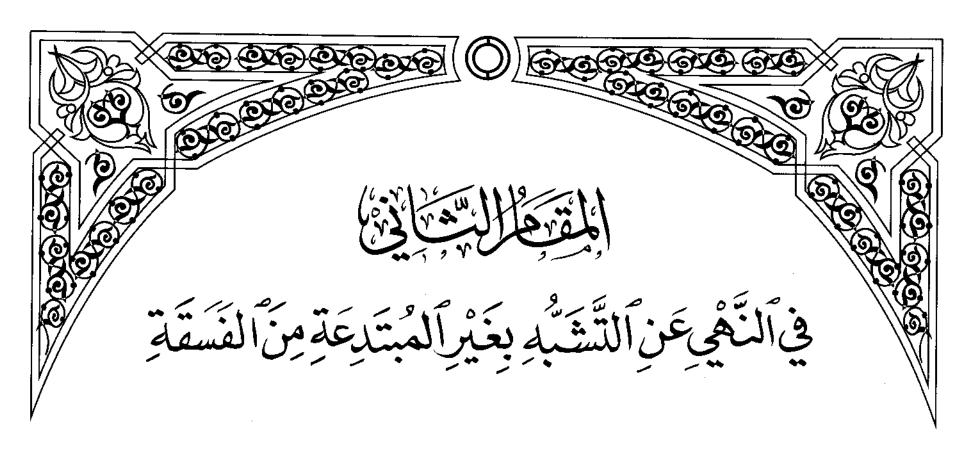
* * *

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٤٣).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤١٤).

(٣) كلمة غير واضحة في «أ» و«ت».



المقام الثاني

في النهي عن التشبه بغير المبتدعة من الفسقة

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[الحشر: ١٨ ـ ١٩].

نهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بالفاسقين إشارة إلى أن الإيمان لا يكمل إلا بالتقوى، والتنزه عن الفسق.

وروي عن محمد بن النضر الحارثي رحمه الله تعالى ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإِيْمانُ عَفِيفٌ عَنِ الْمَحارِمِ، عَفِيفٌ عَنِ الْمَطامِعِ»(١).

قال سفيان في الآية: نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم.

وقال مقاتل: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: تركوا أمره.

﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾[الحشر: ١٩]: أن يعملوا خيراً.

بل قال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى: نسوا الله عند

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٢٤).

الذنوب فأنساهم أنفسهم عند التوبة. نقل ذلك القرطبي، وغيره[1].

وقول سهل من أحسن التفاسير، ويدل عليه قول تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[الحشر: ١٩] لأن الفسق لا يدوم مع التوبة.

والمعنى: إن من نسي الله تعالى عند ارتكاب الذنب فلم يذكر عظمته، بل عصاه غير خائف منه، ولا مستحي من اطلاعه عليه، ولم يعقب معصيته ندمه عليها، فربما كان ذلك سبباً لمنعه عن التوبة، فيحق عليه اسم الفسق، بخلاف من أتبع الذنب بالندم والخوف والحزن؛ فإن حسنته تذهب سيئته، فلا يحق عليه اسم الفسق.

وروى الإمام أحمد، والنسائي، والطبراني، والبيهقي عن حذيفة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ بِلُحُونِ العَرَبِ وَأَصْواتِها، وَإِيَّاكُمْ وَلُحُونَ أَهْلِ الْكِتابَيْنِ، وَأَهْلِ الْفِسْقِ؛ فَإِنَّهُ سَيَجِيْءُ بَعْدِي قَوْمٌ يُرَجِّعُونَ بِالْقُرآنِ تَرْجِيعَ الْغِناءِ وَالرَّهْبانِيَّةِ وَالنَّوْحِ، لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُمْ، مَفْتُونَةٌ قُلُوبُهُمْ وَقُلُوبُ مَنْ يُعْجِبُهُمْ شَأْنُهُمْ»[2].

هذا الحديث يدل على النهي عن التشبه بأهل الفسق في ظاهر أعمالهم - وإن لم يكن المتشبه بهم على مثل قلوبهم - فإن التشبه بهم في بعض الأعمال قد يفضي بالمتشبه إلى التشبه بهم في التوغل في

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٨/ ٤٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٢٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٤٩).

الفسق، ونسيان عظمة الله تعالى عند المعصية، فإذاً التشبه بهم منهي على كل حال.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨].

فالمتشبه بالفاسق متعرض لحرمان الهداية من الله تعالى، وأي مصيبة وراء هذه المصيبة؟

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

قوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]؛ أي: خرج عنه فلم يمتثل أمره، ولم يطعه فيه، فالشيطان أول من فسق، وكل فاسق فالشيطان إمامه وقدوته.

وقال قطرب: في الكلام حذف، والتقدير: ففسق عن [رد] أمر ربه؛ أي: بسبب رده أمر الله تعالى(١).

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف: ٥٠] بعد أن علمتم بفسقه وفسق ذريته، والحال أنهم أعداء لكم؟

فإذا كان الذم واقفاً على موالاة الفاسق فكيف بمتابعته في الفسق، وتشبهه به فيه؟

وقوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] لم يقل: لهم،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٢٥٥).

بل وضع الظاهر موضع المضمر، ووصفهم بالظلم إشارة إلى تعليل ذمهم بالظلم، وهو موالاة الفاسق مع عداوته، وليس ذلك تركيباً للعلة، بل الفاسق لا ينبغي أن يوالى مع فسقه ولو كان صديقاً، فكيف يوالى وهو عدو؟

وروى ابن مردويه عن كثير بن عطية، عن رجل، عن النبي ﷺ: أنه قال: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ لِفاجِرٍ وَلا فاسِقٍ عِنْدِي يَداً وَلا نِعْمَةً، فَيَوَدَّهُ قَلْبِي»[1].

سأل ربه ﷻ أن يجنبه نعمة الفاسق لئلا تؤدي به إلى أن يكون له في قلبه ميل إليه ومودة له؛ إذ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها كما تقدم في أول الكتاب، ثم الحب والمودة قد تؤدي إلى التشبه بالمودود.

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: إني لألقى الرجل أبغضه، فيقول لي: كيف أصبحت؟ فيلين له قلبي، فكيف ممن أكل ثريدهم ووطىء بساطهم؟ رواه أبو نعيم[2].

فيتعين على العبد تجنب الفاسقين، والتباعد عنهم بقدر الإمكان، وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه: ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٧).

(٣) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٣٦٣).

ثم الفسق في اللغة: الخروج عن الشيء.

وحقيقته في الشرع كما قال القاضي أبو الحسن الماوردي: فيمن يكون مسخوط الدين والطريقة لخروجه عن الاعتدال، ولذلك كانت العدالة مقابلة للفسق، والعَدْل مَنْ كان مرضي الدين والمروءة[1].

ويتحقق فسق العبد بارتكابه لكبيرة، أو إصراره على صغيرة، أو غلبة الصغائر عليه.

وهل الإخلال بالمروءة يخل بالعدالة أم لا يخل بها ولكنه يخل بقبول الشهادة؟

قولان، وبالثاني جزم القرطبي، والنووي في كتب الفقه.

وبالأول أخذ الأصوليون، وغيرهم، وهو الذي جزم به القرطبي في «تفسيره»[2].

وعليه: فالإخلال داخل في مسمى الفسق.

وقد اختلف أصحابنا في تعاطي ما يخل بالمروءة، هل يحرم أم لا؟ على ثلاثة أوجه، ثالثها: يحرم أن تحمل شهادته.

ولما كان كتابنا هذا موضوعه على التنزه من الرذائل كلها، ناسب أن ندخل في الفسق الإخلال بالمروءة ليكون ذلك داخلاً في النهي عن

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (١٧/ ١٤٩).

(٢) انظر: «المستصفى» للغزالي (ص: ١٢٥)، و«تفسير القرطبي» (١٢/ ١٧٩ ـ ١٨١)، و«روضة الطالبين» للنووي (١١/ ٢٣٠).

التشبه بالفساق، وليكون الكتاب جامعاً للنهي عن كل ما ليس مستحسناً في الشرع.

على أن من يقول بإباحة تعاطي ما يخل بالمروءة لا يسعه أن يقول: إنه غير مكروه، ولا خلاف الأولى، وهما داخلان في قسم المنهي عنه، على أن النبي ﷺ نهى عن التشبه بمرتكبهما، وذلك فيما رواه الإمام أحمد، والشيخان، والنسائي، وابن ماجه عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبدالله! لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ؛ كانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيامَ اللَّيْلِ»[1].

وذكر الغزالي في «الإحياء»: أن المباح يصير بالمواظبة عليه صغيرةً؛ كالشطرنج، والترنم بالغناء على الدوام[2].

وأراد بالمباح بعض أقسامه، وهو المكروه وخلاف الأولى بدليل التمثيل، ولأن من المباح ما لا يتأتى فيه ما ذكر قطعاً كالأكل، والنكاح.

فإذاً التشبه بالفساق يحصل بأحد ثلاثة أمور:

الأول: ارتكاب كبيرة.

الثاني: الإصرار على صغيرة، أو غلبة الصغائر.

---

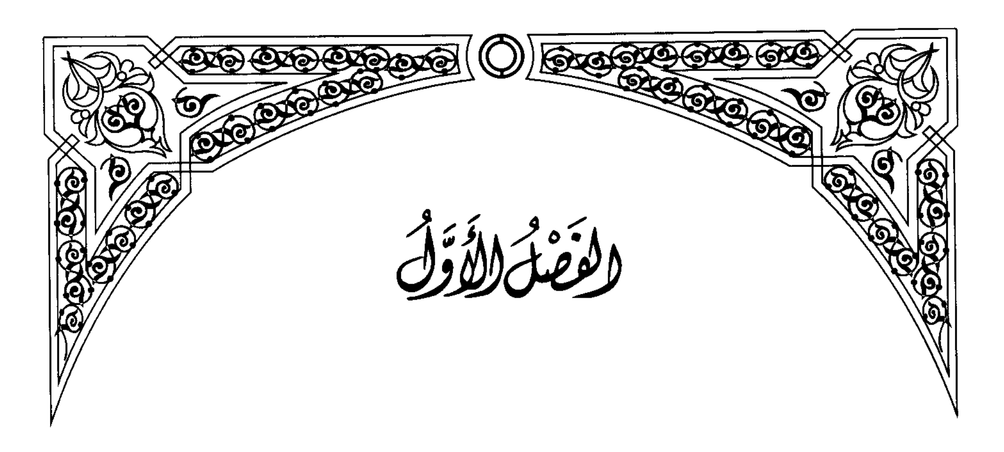
(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٠)، والبخاري (١١٠١)، ومسلم (١١٥٩)، والنسائي (١٧٦٣)، وابن ماجه (١٣٣١).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٢٢).

الثالث: الإخلال بالمروءة إذا اتخذه ديدناً أو عادة، وهو داخل فيما قبله على أحد الأقوال.

فتعين أن نشير إلى الكبائر، والصغائر، وما يخل بالمروءة، وذلك في ثلاثة فصول.

* * *



اختلف العلماء في تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر، فقال بعضهم: لا صغيرة، والذنوب كلها كبائر من حيث النظر إلى عظمة من يعصى بها، ويخالف أمره.

روى أبو نعيم بسند ضعيف، عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تَنْظُرُوا إِلَى صَغِيرِ الذُّنُوبِ، وَلَكِنِ انْظُرُوا إِلَى مَنِ اجْتَرَأْتُمْ».

قال أبو نعيم: وهو مشهور من قول بلال بن سعد[1].

والأصح أن من الذنوب كبائر، ومنها صغائر.

الكبائر: لا يكفرها إلا التوبة، وبعض الطاعات المخصوصة كالهجرة، والحج.

والصغائر: تكفرها الطاعات، واجتناب الكبائر.

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦/ ٧٨). قال ابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٦٨): منكر.

قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[النساء: ٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود: ١١٤].

وروى الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلَواتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضانُ إِلَى رَمَضانَ مُكَفِّراتٌ لِما بَيْنَهُنَّ ما اجْتُنِبَتِ الْكَبائِرُ»(١).

وروى مسلم عن عمرو بن سعيد بن العاص قال: كنت عند عثمان بن عفان رضي الله عنه، فدعا بطهور ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبةٌ، فَيُحْسِنُ طُهُورَها وَخُشُوعَها إلاَّ كانَ كَفَّارَةً لِما قَبْلَها مِنَ الذُّنُوبِ ما لَمْ يَأْتِ كَبِيرةً»(٢).

وأنشد الحافظ ابن حجر العسقلاني في عقب إملائه هذا الحديث لنفسه: [من الرمل]

أَحْسِنِ التَّطْهِيرَ وَاخْشَعْ قانِتاً ... مُطْمَئِنّاً فِي جَمِيعِ الرَّكَعاتِ

فَهْيَ كَفَّارَةُ ما قَدَّمْتَهُ ... مِنْ صَغِيرِ الذَّنْبِ إِنَّ الْحَسَناتِ

وروى الإمام أحمد، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، عن

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٠٠)، ومسلم (٢٣٣)، والترمذي (٢١٤).

(٢) رواه مسلم (٢٢٨).

أبي ذر رضي الله تعالى عنه، والإمامُ أحمد، والترمذي، والبيهقي في «السنن» عن معاذ، وابنُ عساكر عن أنس رضي الله تعالى عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ اللهَ ما اسْتَطَعْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُها، وَخالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1].

وأنشد شيخ الإسلام والدي رحمه الله تعالى عقب إملائه لهذا الحديث نفسه: [من الرمل]

اتَّــقِ اللهَ تَعــالَى مــا اسْتَطَعْــ ... ــتَ وَأَتْبِــعْ سَــيِّئاتٍ حَــسَنَة

خــالِقِ النَّــاسَ بِخُلْــقٍ حَــسَنٍ ... ذَا الْحَدِيثُ التِّرْمِذِيْ قَـدْ حَـسَّنَه

وقلت في عقده: [من الرمل]

خــالِقِ النَّــاسَ بِخُلْــقٍ حَــسَنٍ ... ثُــمَّ أَتْبِــعْ سَــيِّئاً بِالْحَــسَنِ

وَاتَّــقِ اللهَ تَعــالَى مــا اسْتَطَعْــ ... ــتَ رَواهُ التِّرْمِـذِيْ فِـي الـسُّنَنِ

وروى أبو يعلى ـ ورجاله رجال الصحيح ـ عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا رسول الله! علمني شيئاً يقربني من الجنة، ويباعدني من النار.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٥٣)، والترمذي (١٩٨٧) وصححه، والحاكم في «المستدرك» (١٧٨) عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه.
والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٦)، والترمذي (١٩٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٠٢٥) عن معاذ رضي الله عنه.
وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٣١٤) عن أنس رضي الله عنه.

قال: «إذا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْها حَسَنَةً».

قال: قلت: أَمِنَ الحسنات لا إله إلا الله؟

قال: «هِيَ أَحْسَنُ الْحَسَناتِ»[1].

وقلت في معناه: [من السريع]

إذا أَصَبْتَ الذَّنْبَ فَفِي عُقْباهُ أَحْسِنْ عَمَلاً عَساهُ أَنْ يُمْحاهُ

وَالذِّكْرُ أَجَلُّ كُلِّ ما تُحْسِنُهُ وَالأَحْسَنُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ

والأحاديث في ذلك كثيرة.

ثم اختلفوا في ضبط الكبيرة، فمنهم من ضبطها بالحد، فقيل: ما ورد عليه بخصوصه توعد شديد.

وقيل: ما وجب على فاعله حد[2].

واختار الوالد الجمع بين القولين.

وقيل: ما عظم ضرره في الوجود.

وجمع القرطبي بينه وبين الأول، فقال: كل ذنب عظَّم الشرع التوعد فيه بالعقاب وشدده، أو عظم ضرره في الوجود فهو كبيرة[3].

---

(١) رواه أبو يعلى كما في «الأمالي المطلقة» لابن حجر (ص: ١٢٩) وقال: هذا حديث حسن.

وكذا الطبراني في «الدعاء» (ص: ٤٣٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢١٨).

(٢) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٢/ ٨٤).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٥/ ١٦٠).

ووراء ذلك أقوال أخر، وما ذكرناه أقرب الأقوال إلى الصواب.

ومنهم من ضبطها بالعد، فقيل: هي أربع، وقيل: سبع.

وقال ابن عباس: هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع.

وفي رواية: هي إلى السبعمئة أقرب. رواه ابن جرير[1].

قال العلماء: وذلك باعتبار كثرة أنواعها وأصنافها.

وبلغ بها الوالد رحمه الله تعالى أكثر من مئة، وهو حاصل ما ذكره أصحابنا الشافعية رحمهم الله تعالى، وهي بعد الشرك بالله تعالى:

١ ـ قتل النفس بغير حق؛ ولو نفس القاتل.

٢ ـ وقطع عضو من نفسه أو غيره إلا بحكم الشرع.

٣ ـ وإتلاف منفعة العضو.

٤ ـ والزنا.

٥ ـ واللواط.

٦ ـ وشرب الخمر وسائر المسكرات.

٧ ـ والسرقة.

٨ ـ والغصب.

٩ ـ والقمار.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ٤١).

١٠ ـ والرشوة.

١١ ـ والربا.

١٢ ـ وأكل مال اليتيم.

١٣ ـ والخيانة في الكَيل والميزان، ونحوهما.

١٤ ـ والمُكْس.

١٥ ـ وشهادة الزور.

١٦ ـ وكتم الشهادة المتعينة ما لم يخش ضرراً.

١٧ ـ واليمين الغَموس.

١٨ ـ وعقوق الوالدين.

١٩ ـ وقطيعة الرحم.

٢٠ ـ وترك الصلاة.

٢١ ـ والصلاة مع الحدث.

٢٢ ـ وتقديمها وتأخيرها بلا عذر.

٢٣ ـ وترك الجمعة ممن تعينت عليه.

٢٤ ـ ومنع الزكاة.

٢٥ ـ وتأخير الحج مع الاستطاعة وخوف العضب؛ على أن من مات بعد تمكنه من الحج سنين تبين بعد موته أو عضبه فَسقَ في السنة الأخيرة.

ومن قال بأن وجوب الحج على الفور يحكم بالفسق بمجرد

التأخير مع الاستطاعة، فيكون كبيرة.

٢٦ ـ وكذلك إفساده ـ ولو كان تطوعاً ـ بالجماع قبل التحللين.

٢٧ ـ والفطر في رمضان بغير عذر.

٢٨ ـ والفرار من الزحف.

٢٩ ـ والأمن من مكر الله.

٣٠ ـ واليأس من رحمة الله تعالى.

٣١ ـ والكذب على النبي ﷺ.

٣٢ ـ وسب الصحابة؛ ولو واحداً منهم.

٣٣ ـ واستحلال اللعنة.

٣٤ ـ وإيذاء أولياء الله تعالى؛ ولو واحداً.

٣٥ ـ وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ما لم يخش ضرراً.

٣٦ ـ ونسيان القرآن بعد حفظه.

٣٧ ـ والوقيعة في أهل القرآن وأهل العلم.

٣٨ ـ والتسبب في شتم الأبوين.

٣٩ ـ والرياء.

٤٠ ـ والمَن.

٤١ ـ والابتداع في الدين.

٤٢ ـ والدعوة إلى البدعة.

٤٣ ـ والتكبر.

٤٤ ـ والإسبال خيلاءَ؛ بل الاحتياط مطلقاً.

٤٥ ـ والحسد.

٤٦ ـ والحقد.

٤٧ ـ والغِل.

٤٨ ـ وسوء الظن بالله تعالى.

٤٩ ـ وإيقاع الفتنة بين المسلمين.

٥٠ ـ ودلهم أعداءهم على عوراتهم.

٥١ ـ والإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه؛ بل ترويعه مطلقاً لغير تعزير مطلقاً.

٥٢ ـ وقذف المحصنات.

٥٣ ـ والسحر، والكهانة، وطلبهما، والسِّعاية.

٥٤ ـ وضرب المسلم بغير حق.

٥٥ ـ وقتل ما لا يضر من الحيوانات كالهرة.

٥٦ ـ وحرق الحيوان.

٥٧ ـ والغُلول.

٥٨ ـ وقطع الطريق.

٥٩ ـ والنميمة.

٦٠ ـ وأكل الميتة، والدم المسفوح، والخنزير إلا المضطر.

٦١ ـ والوطء في الحيض.

٦٢ ـ وإتيان البهيمة.

٦٣ ـ والظهار.

٦٤ ـ والسحاق.

٦٥ ـ والدياثة و[. . .][1]

٦٦ ـ والتحليل.

٦٧ ـ واللعب بالنرد.

٦٨ ـ وتصوير الحيوانات.

٦٩ ـ والانتساب إلى غير الآباء، أو إلى غير الموالي.

٧٠ ـ وبيع الحر، وأكل ثمنه.

٧١ ـ ومهر البغي.

٧٢ ـ وحُلوان الكاهن.

٧٣ ـ وثمن الخمر.

٧٤ ـ وثمن الكلب.

٧٥ ـ ومنع فضل الماء عن المحتاجين وأبناء السبيل.

٧٦ ـ والخروج على الإمام؛ ولو جائراً.

---

(١) بياض في «أ» و«ت» بمقدار كلمة.

٧٧ ـ والإضرار في الوصية.

٧٨ ـ ووسم وجوه الحيوان.

٧٩ ـ وتغيير منار الأرض.

٨٠ ـ وتخبيث العبد على سيده، والزوجة على بعلها، والابن على أبيه أو أمه.

٨١ ـ والمِراء.

٨٢ ـ والتلدُّد في الخصومات مع كثرتها.

٨٣ ـ وتشبه الرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل.

ويقال للأول: تخنيث، وتخنث، وللثاني: ترجل.

٨٤ ـ وكفران النعمة.

٨٥ ـ وجحد الحق.

٨٦ ـ والبغي.

٨٧ ـ والعشق.

٨٨ ـ والغدر.

٨٩ ـ والمكر.

٩٠ ـ والخديعة إلا في الحرب، أو في استخلاص الحق.

٩١ ـ وتعلم العلم للدنيا.

٩٢ ـ وكتمان العلم عن السائل عنه إذا تعين الإظهار، ولم يخش ضرراً.

٩٣ ـ واعتياد أن لا يستبرىء من البول والغائط.

٩٤ ـ والإصرار على صغيرة.

٩٥ ـ والاستكثار من الكبائر.

٩٦ ـ والاستهانة بالذنب، والتجاهر به، والتبجح والافتخار به، والسرور به.

وبهذه الأمور تصير الصغيرة كبيرة كما نص عليه حجة الإسلام في «الإحياء»[1].

وكذلك نص عنه أنها تصير كبيرة بكون الآتي بها عالماً يقتدى به، ومحل ذلك أن يأتي العالم بالمعصية في ملأ بحيث لا يأمن أن تحكى عنه، وهو ظاهر وجيه.

روى أبو نعيم ـ وقال: صحيح ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ شِرارِ أُمَّتِي الْمُجاهِرِينَ».

قيل: يا رسول الله! وما المجاهرون؟

قال: «الَّذِي يُذْنِبُ بِاللَّيْلِ فَيَسْتُرُ اللهُ عَلَيهِ، فَيُصْبِحُ، فَيُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذا وَكَذا، فَيَهْتِكُ سِتْرَ اللهِ عَلَيهِ»[2].

وروى الدينوري عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٣٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٩٧).

قال: من أعظم الذنب أن يستخف الرجل بذنبه[1].

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه سئل: من أعظم الناس ذنباً؟

قال: أعظم الناس ذنباً أن يستخف المرء بذنبه[2].

وعن العوَّام بن حوشب أنه قال: الابتهار بالذنب أعظم من ركوبه.

قال ابن قتيبة: هو أن يقول الرجل: زنيت ولم يزن، وقتلت ولم يفعل؛ يتبجح بذلك ويفتخر به.

يقول: فذاك أشد على الرجل من ركوبه لأنه لم يدعه على نفسه إلا وهو لو قدر عليه لفعل، فهو كفاعله بالنية، وزاد على ذلك بهتكه ستر نفسه، وقحته وقلة مبالاته به.

قال: ويقال: ابتهر الشاعر الجارية إذا قال: زنيت بها، ولم يفعل[3].

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَخافُ عَلى أُمَّتِي ثَلاثاً: زَلَّةَ عالِمٍ، وَجِدالَ مُنافِقٍ بِالقُرْآنِ، وَالتَّكْذِيبَ بِالقَدَرِ»[4].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٣٥).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٩٩).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٢١).

(٤) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٢٢٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣): فيه معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف.

وروى عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن عبدالله بن أبي جعفر رحمه الله تعالى قال: قيل لعيسى عليه السلام: يا روح الله وكلمته! من أشد الناس فتنة؟

قال: زلة عالِم؛ إذا زل زل بزلته عالَم كثير[1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: يهدم الإيمان ثلاثة: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون[2].

وقد قيل: [من الرمل]

زَلَّــةُ العــالِمِ مُــسْتَعْظَمَةٌ ... إِذْ بِها أَصْبَحَ فِي النَّاسِ مَثَل

وروى الدرامي عن هرم بن حيان رحمه الله تعالى أنه قال: إياكم والعالم الفاسق.

فبلغ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فكتب إليه: وأشفق منها في العالم الفاسق.

قال: فكتب إليه هرم: يا أمير المؤمنين! والله ما أردت إلا الخير؛ يكون إمام يتكلم بالعلم، ويعمل بالفسق، فيشبه على الناس، فيضلوا[3].

وروى أبو نعيم عن موسى بن أعين قال: قال لي الأوزاعي رحمه

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٥٢٠).

(٢) ورواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٠).

(٣) رواه الدارمي في «السنن» (٣٠٠).

الله تعالى: يا أبا سعيد! كنا نمزح ونضحك، فأما إذ صرنا يقتدى بنا ما أرى يسعنا التبسم(١).

* تَنْبِيهٌ:

من الكبائر التي لم أجد من نبه عليها من الفقهاء: الأنفة عن قبول النصيحة، وعن امتثال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أن يكون داخلاً في الكبر، بل هو من أقبح أنواعه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾[البقرة: ٢٠٦] الآية.

وروى البيهقي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: من أكبر الذنب عند الله أن يقول الرجل لأخيه: اتق الله، فيقول: عليك نفسَك(٢).

وروى الدينوري عن الحسن رحمه الله تعالى قال: ما من صاحب كبيرة لا يكون وَجِل القلب إلا كان ميت القلب(٣).

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٤٣).

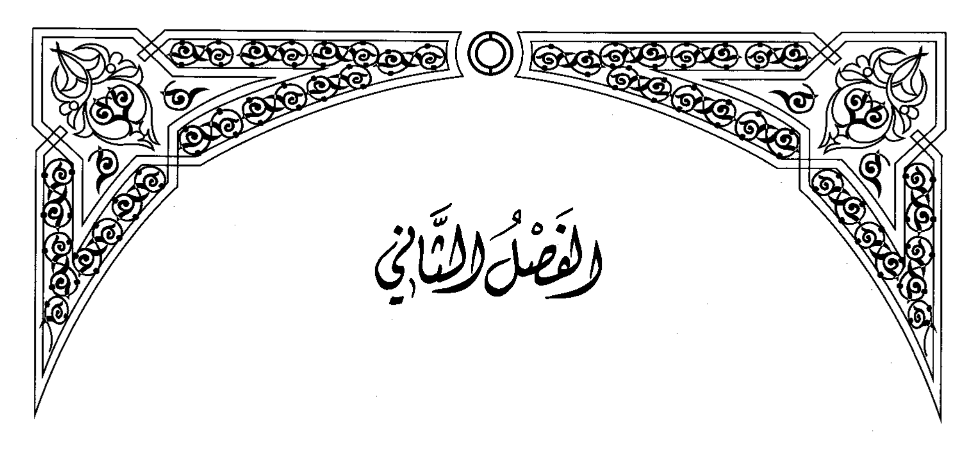
(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٢٤٦)، وكذا النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٨٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٨٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧١): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٢٤).

وروى أبو نعيم عنه قال: إن أفسق الفاسقين الذي يركب كل كبيرة، ويسحب على ثيابه ويقول: ليس عليك بأس، سيعلم أن الله ربما عجل العقوبة في الدنيا، وربما أخرها ليوم الحساب[1].

* * *

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٤٨).



الفصل الثاني

الصغائر كثيرة، وحصرها عَسِرٌ، ولكن منها:

١ ـ نظر الرجل إلى امرأة أجنبية كبيرة إلا لمعاملة ونحوها بقدر الحاجة.

ـ وإلى ما بين السرة والركبة من ذات محرمية غير الحليلة.

ـ وإلى فرج صغيرة لا تشتهى.

ـ وإلى أمرد جميل غير محرم إلا لتعليم ونحوه.

ـ ونظر المرأة إلى الرجل الأجنبي.

ـ وإلى ما بين السرة والركبة من المحرم، ومن المرأة.

ـ وإلى فرج صغير لا يشتهى إلا لو كانت ترضعه أو تربيه.

ـ وحكم المس حكم النظر.

ـ وكذلك مضاجعة رجلين.

ـ ومضاجعة امرأتين ليس بينهما شعار إلا الزوجين، أو الرجل وامرأته الخلية عن نكاح غيره.

- ومصافحة الأمرد غير المحرم.

- وكثرة الضحك بغير عجب.

- والضحك في الصلاة بغير حاجة.

- والكذب من غير ضرورة، ولا [. . .][1] إلا ما تقدم أنه كبيرة.

- وغيبة غير أهل العلم والقرآن إلا لمستفت، ومتظلِّم، ومعرِّف باللقب، وإلا غيبة معلن بالفسق؛ فمال الأذرعي: إلى أن الغيبة كبيرة مطلقاً في غير ما ذكر، ونقل القرطبي الإجماع عليه، وهو ظاهر الأحاديث[2].

- والسكوت عن الغيبة من غير إنكار.

- وكثرة الخصومات.

- وهجر المسلم فوق ثلاث إلا لغرض ديني، أو لدفع مضرة.

- والاطلاع على دُور الأجانب.

- والنياحة، والصياح، وشق الجيب، ولطم الخد والصدر، ونشر الشعر في المصائب.

وقال الأذرعي: إن كانت هذه الخمسة سخطاً للقضاء فالظاهر أنها كبيرة[3].

---

(١) كلمة غير واضحة في «أ» و«ت».

(٢) انظر: «الزواجر» لابن حجر الهيثمي (٢/ ٥٥٣).

(٣) انظر: «الزواجر» لابن حجر الهيثمي (١/ ٣٠٩).

- والصلاة التي لا سبب لها في أوقات الكراهة.

- والمرور بين يدي المصلي بشرطه.

- ومسابقة الإمام في أفعال الصلاة.

- وتخطي رقاب الناس إلا للإمام إذا لم يبلغ المحراب إلا بالتخطي، ولمن وجد في الصفوف التي بين يديه فرجة، ونحو ذلك.

- واتخاذ مكان من المسجد للبيع والشراء، ونشدان الضالة فيه.

- وإدخال الصغار والمجانين إليه إن خيف منهم التنجيس والبول فيه؛ ولو في إناء.

- والفَصْد والحجامة فيه إلا في الإناء.

- والدخول إليه بلحم يخشى منه تلويث، وكذلك غيره.

- ودخول، أو إدخال سَلِسِ بولٍ، أو نحوه، وحائض إن خيف منها تلويثه.

- ووضع النجاسة على سطحه، وفي الطرق.

- والبصاق في المسجد.

- ومكث الجنب فيه.

- وقراءته القرآن بقصده.

- وكذلك الحائض والنفساء، وصلاتهما، وصلاة الجنب والمحدث، وطوافهما، ولعلهما كبيرة.

- وحملهما المصحف، ومسهما إياه.

- وطلاق الزوجة في الحيض، أو في طهر جامعها فيه.

- وكشف العورة لغير حاجة ولا ضرورة؛ ولو في الخلوة.

- واستقبال القبلة ببول أو غائط بالصحراء ونحوها من غير ساتر.

- والتغوط في الطريق.

- ونبذ الميت المحتوم من غير دفن، أو ترك تغسيله والصلاة عليه إلا شهيداً.

- وترك تكفينه.

- وحمله على هيئة مُزْرية.

- وكسر عظمه.

- والاستخفاف به.

- والجلوس على قبره، ونبشه من غير ضرورة، ونقله إلا ما استثني.

- ودفنه إلى غير القبلة.

- واعتداء الساعي في الزكاة.

- وقُبلة الصائم إذا حركت شهوته.

- والوصال في الصوم.

- ووطء الحائض إذا طَهُرت قبل أن تغتسل.

- واستمتاع بزوجته التي ظاهر منها قبل الكفارة.

ـ والإيلاء أكثر من أربعة أشهر.

ـ ووطء الرجل مطلقته الرجعية قبل الرجعة.

ـ ووطء أمة مسبية قبل مضي مدة الاستبراء.

ـ والاستمتاع بأمة دخلت في ملكه قبل انقضاء مدة الاستبراء.

ـ ووطء الحليلة في الدبر، ولم يعده من الكبائر لاختلاف العلماء فيه، بخلاف وطء الحائض.

لكن ذكر النووي أن المتأخرين انعقد إجماعهم على تحريمه[1]، ولعله داخل في مسمى اللواط، فيكون كبيرة.

وفي الحديث تسميته: «اللوطية الصغرى»[2].

ـ والخلوة بالأجنبية.

ـ واجتلاب المني بيده، ونحوها، أو بيد غير حليلته.

ـ والاستمتاع بالأجنبية بدون وطء، أو بالغلام الأمرد.

ـ ومسافرة المرأة وحدها بغير زوج، أو محرم، أو نسوة ثقات.

ـ وتسويف المرأة لحليلها بأن يدعوها إلى فراشه فتقول: سوف حتى تغلب عيناه، أو يفتر.

ـ وتفسيلها له بأن تقول له: أنا حائض إذا أرادها على نفسه،

---

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٠/ ٦).

(٢) تقدم تخريجه.

وهي كاذبة؛ ففي الحديث لَعْنُها على ذلك[1].

ـ وتحديثها بما يصير بينها وبين حليلها من جماع ونحوه.

ـ وتحديثه بذلك.

ـ والخِطبة على خِطبة من صرح له بالإجابة ما لم يأذن أو يترك.

ـ والسَّوم على سَوم الغير بعد استقرار الثمن بالتراضي به صريحاً.

ـ والبيع على بيع الغير قبل لزومه.

ـ وشراؤه بعد شرائه قبل اللزوم ما لم يأذن في ذلك.

ـ والنجش بأن تزيد في ثمن السلعة لا لرغبته فيها، بل ليخدع غيره.

ـ وبيع العنب والرطب ونحوهما لمن يعصرها خمراً.

ـ وبيع الأمرد ممن يغلب على ظنه أنه يلوط به.

ـ والتفريق بين الأمة وولدها ببيع ونحوه ـ وإن رضيت ـ ما لم يميز.

---

(١) روى أبو يعلى في «المسند» (٦٤٦٧) عن أبي هريرة ﷺ قال: لعن رسول الله ﷺ المسوفة والمفسلة؛ فأما المسوفة فالتي إذا أرادها زوجها قالت: سوف، الآن، وأما المفسلة فالتي إذا أرادها زوجها، قالت: إني حائض وليست بحائض.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٩٦): فيه يحيى بن العلاء، وهو ضعيف متروك.

ـ وتعاطي العقود الفاسدة كبيع المصحف، وكتب العلوم الشرعية، والمسلم للكافر، وبيع السلاح، وكل ما يستعان به في الحرب للحربي، وبيع ماء الفحل، وبيع [حبل الحبلة][1] بأن تبيع نتاج النتاج، أو إلى نتاج النتاج، وبيع ما في بطون الحيوان، وغير ذلك.

ـ والاحتكار: وهو شراء ما تعم حاجة الناس إليه من القوت؛ كالقمح، والملح، والأرز وقت الغلاء ليبيعه بأغلى.

ـ والتسعير.

ـ وتلقِّي الركبان بأن يتلقى طائفة يحملون متاعاً إلى البلد فيشتريه منهم قبل قدومهم ومعرفتهم بالسعر، ولهم الخيار إذا عرفوا الغبن.

ـ وبيع الحاضر للبادي: بأن يقدم غريب بمتاع تعم الحاجة إليه ـ وإن لم يظهر به سعة في البلد ـ ليبيعه بسعر يومه، فيقول له بعض أهل البلد: اتركه عندي لأبيعه لك بالتدريج بأغلى، فيجيبه لذلك؛ وكلاهما مرتكب لصغيرة.

ـ والتصرية: وهي ترك حلب الناقة أو غيرها مدة قبل بيعها ليتوهم المشتري كثرة لبنها، وله الخيار؛ فإن ردها بعد تلف اللبن رد معها صاعاً من التمر.

ـ وبيع المعيب من غير بيان عيبه.

ـ والكذب في تخيير المشتري.

---

(١) بياض في «أ» و«ت» بمقدار كلمتين، ولعل الصواب ما أثبت.

ـ واقتناء الكلب لغير صيد، أو حراسة، أو ماشية.

وفي معناه: اقتناء السباع، والخنازير، والقردة، وأمثال هذه يعوز اقتناؤها إلى نفقة، وهي إضاعة مال، وهي حرام.

ـ وإعارة الجارية لغير محرم.

ـ وقذف المملوك، والعاهرة، والصغيرة التي لا تحتمل الوطء.

ـ وضرب المسلم ضرباً خفيفاً لا يتألم منه.

ـ وانتهاك حرمته بكل قول أو فعل بغير حق.

ـ والعبوس بوجه الوالدين.

ـ وإظهار السآمة منهما كقوله: أف؛ فإن تجاوز ذلك إلى الانتهار كان كبيرة.

ـ ورد الغني السائل محروماً، بل يعطيه ولو ظلفاً محرقاً.

ـ وسرقة الشيء التافه، أو ما لا يتمول كالكلب النافع، وغصبه.

ـ وترك الجمعة مرة أو مرتين إذا صلاها ظهراً.

ـ والمداومة على ترك السنن والرواتب.

ـ والأكل والشرب للرجل والمرأة جميعاً في آنية الذهب والفضة، والإناء المضبَّب بالذهب مطلقاً، أو بالفضة ضبة كبيرة لغير حاجة.

ـ ولبس الرجل ما أكثرُه حريرٌ لغير ضرورة كالقمل، والحكة، وكالبرد ما لم يجد غيره.

- وتختم الرجل بخاتم الذهب، وغيره من الحِلية في حق الرجال كبيرة.

- وضرب الملاهي إلا الدف، وطبل الحجيج ونحوه، والاستماع إليها، واتخاذها، وبيعها وشراؤها، وإهداؤها لمن يلعب بها، أو تضرب بين يديه.

- والمداومة على اللعب بالشطرنج؛ وقرن اللعب به بالفحش، أو بإخراج صلاةٍ عن وقتها.

- واللعب به مع من يعتقد تحريمه.

- والمداومة على اللعب بالحمام، وعلى استماع الغناء، وعلى الغناء للناس، وأخذ الأجرة عليه، وعلى ضرب الدف، وعلى إنشاء الشعر وإنشاده إلا ما كان منه مستحباً لتفيد فائدة عليه، ومدح النبي ﷺ، وعلى الرقص، وعلى الاختصار في الصلاة، والالتفات فيها، وتفقيع الأصابع، وعلى كل مكروه.

- والتضيفن: وهو حضور الطعام بغير إذن المضيف.

- وترك الجماعة لغير عذر.

- وإضاعة المال.

- والتقتير على من تلزمه نفقته.

- وتضييع العيال.

- والسجود لمخلوق على نعت التحية، والانحناء له.

- والشفاعة في حد من حدود الله إلا عند مستحقه؛ أي: في ترك

حق لا يجوز تركه كالشفاعة إلى ولي اليتيم، وناظر الوقف في بعض حقوقها.

ـ والجلوس في وسط حلقة العلم، إلا لمن جرت العادةُ بجلوسه وسْطَها لمستملي الحديث.

ـ وترك الغزو، وتحديث النفس به معاً.

ـ وإخافة الجار بحيث لا يَأْمَنْ بوائِقَه.

ـ وترك رد السلام المتعين رده لغير عذر.

ـ ولبس المزعفر والمعصفر للرجل.

ـ والوشم، والوشر[1]، ووصل الشعر، ونتف الشيب، وخضبه بالسواد إلا للمجاهد.

ـ وحلق لحية الرجل، ورأس المرأة لغير ضرورة.

ـ وتنميص وجه المرأة، وتحمير وجنتها إلا بإذن الزوج؛ وهما للرجل كبيرة.

ـ وترك الختان.

ـ وبيع شيء من لحم الأضحية، وإتلافه، وبيع جلدها، وإعطاء أجرة الذبح من لحمها.

ـ والذبح تقرباً إلى السلطان ونحوه.

ـ وذبيحة الجن إلا إذا قصد التقرب إلى الله ليكفيه شرهم.

---

(١) الوشر: أن تحدد المرأة أسنانها، وترققها.

ـ وصوم يومي العيد، أو أحدهما، وأيام التشريق.

ـ ومحرمات الإحرام.

ـ والتعرض لصيد الحرمين.

ـ و[. . . . .][1] الطائف سواء في ذلك المحرم وغيره.

ـ وكذلك قطع نبات الأماكن الثلاثة.

ـ ونقل تراب حرم مكة وأحجاره إلى الحل.

ـ وأخذ طيب الكعبة وسترها ما لم يتصرف فيه الإمام.

ـ وقتل ما نُهي عن قتله من الحيوان في الحل أو الحرم كالنحل، والنمل السُّليماني، والخُطَّاف، والخفاش، والضفدع، والهُدْهُد، وما فيه منفعة مباحة ككلب الصيد، وأكل ما يضر كالحجر، والتراب، والزجاج، والمسمومات كالأفيون إلا قليلاً للتداوي.

ـ وأكل المستقذرات، وبيض ما لا يؤكل كالحَدَأة.

ـ وأكل ما يسكر، أو يخدر من النباتات كالحشيشة؛ وإن لم يطرب.

ولا يتداوى به إلا عند فقد غيره، ولا يجوز التداوي بالخمر مطلقاً.

ـ وأكل النجس والمتنجس، وإطعامه غيره.

ـ والتضمخ بالنجاسة لغير عذر كالتداوي.

---

(١) بياض في «أ» و«ت» بمقدار كلمة.

- والمناقرة بين الديوك.

- والمناطحة بين الكِباش.

- وترك الوفاء بالنذر ما لم يكن في معصية، فلا ينعقد من أصله.

- وترك كفارة اليمين وغيرها.

- وترك قضاء رمضان حتى يدخل رمضان آخر.

- وتقدم رمضان بصوم يوم أو يومين.

- والصوم بعد نصف شعبان إلا ممن له عادة أو قضاء.

- وترك تسوية القاضي بين الخصمين في الإذن لهما بالدخول، والقيام لهما، واستماع كلامهما، وطلاقة الوجه، ورد السلام، والمجلس، واتهام الخصم بأن يشهد عليه.

- وإعانة المبطل؛ ولو بالمشي معه.

- وإعانة كل ذي صغيرة عليه، والرضا بها، والسكوت عن إنكارها ما لم يخش ضرراً.

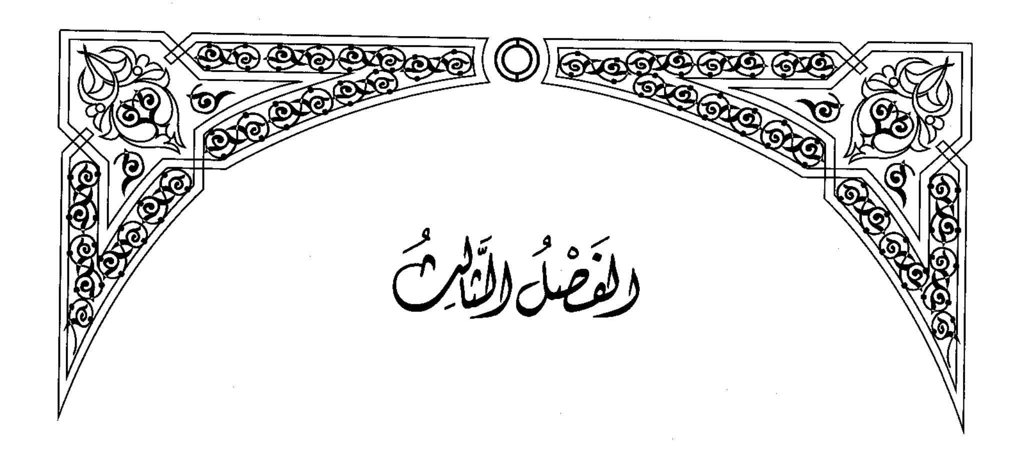
ولا حصر للصغائر فيما ذكرنا، لكنه معظمها.

* تَنْبِيهٌ:

روى أبو نعيم عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «لا تَنْظُرُوا فِي صِغَرِ الذُّنُوبِ، وَلَكِنِ انْظُرُوا عَلى مَنِ اجْتَرَأْتُمْ»(١).

* * *

(١) تقدم تخريجه.



الفَصْلُ الثَّالِثُ

المروءة على قسمين :

ـ ما هو شرط في العدالة .

ـ وما ليس مشروطاً فيها .

وأما القسم الأول :

فهو تخلق المرء بخلق أمثاله في زمانه ومكانه، فمن اختلَّت فيه هذه المروءة لم تقبل شهادته؛ لأن طرح هذا القذر من المروءة إما لنقصٍ في العقل، وإما لقلة المبالاة والحياء .

أما الأول فظاهر .

وأما الثاني فلأنَّ من لا حياء له يصنع ما يشاء، كما في الحديث : «إِذا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ ما شِئْتَ»[1] .

وقيل : [من الوافر]

---

(١) تقدم تخريجه .

وَرُبَّ قَبِـيحَةٍ مـا حـالَ بَيْنِـي وَبَـيْنَ رُكُوبِـها إِلاَّ الْحَيـاءُ
إِذا لَـمْ تَخْـشَ عاقِبَـةَ اللَّيـالِي وَلَمْ تَـسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مـا تَـشاءُ

وروى الدينوري عن المدائني قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: ما وجدت لئيماً قط إلا وجدته رقيق المروءة[1].

وقال الإمام عبدالله بن المبارك في كتاب «البر والصلة»: بلغنا أن وفداً وفدوا على معاوية رضي الله تعالى عنه فقال: ما تعدُّون المروءة فيكم؟

قالوا: العفاف في الدين، والإصلاح في المعيشة.

فقال معاوية رضي الله تعالى عنه: اسمع يا يزيد[2].

وروى أبو نعيم عن أبي الوليد الجارودي قال: سمعت الشافعيَّ رضي الله تعالى عنه يقول: لو علمت أن الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته[3].

وروى الخطيب عن أبي الحسن بن سمعون رحمه الله تعالى قال: رأيت المعاصي نَذَالة فتركتها مروءةً، فاستحالت ديانةً[4].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٤٨).
(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٧٠) من طريق ابن المبارك.
(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٢٤).
(٤) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١/ ٢٧٥).

ويروى نحو هذا عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه.

وقال الخرائطي: وكان يقال: آفة المروءة خُلْفُ الوعد[1].

ويعجبني هنا ما ذكره الحاكم في «تاريخ نيسابور» عن أبي الحسن علي بن أحمد البُوشَنْجي العالم الزاهد الصوفي رحمه الله تعالى: أنه سئل عن المروءة فقال: ترك ما يكرهه الكرام الكاتبون.

ونقل عنه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته»: أنه سئل عن المروءة فقال: ترك استعمال ما هو محرم عليكم مع الكرام الكاتبين.

قال: وسئل مرة أخرى: ما المروءة؟

فقال: حسن السر[2].

وروى أبو نعيم عن عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى قال: جالسوا أهل الدين، فإن لم تجدوهم فجالسوا أهل المروءات؛ فإنهم لا يَرْفُثُون في مجالسهم[3].

وأراد بذلك بعض أنواع المروءة؛ فإن كمالها يرجع إلى استكمال الدين.

ونقل الطرطوشي في «سراج الملوك» عن بزرجمهر قال: لم أر ظهيراً على ثقل الدولة كالصبر، ولا مُذِلاً للحسَّاد كالتجمّـُل،

---

(١) انظر: «مكارم الأخلاق» للخرائطي (ص: ٥٥).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٣٤٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٦٠).

ولا مكسبة للإجلال كتوقي المزاح، ولا مَجْلبة للمَقْت كالعُجْب، ولا مَتلفة للمروءة كاستعمال الهَزَل في موضع الجد[1].

فمن الأمور المخلة بالمروءة:

- الأكل في السوق، لنفس السوق، ومَن عادته أن يأكل حيث يجد لترك التكلف، وكذلك الشرب إذا اشتد عطشه.

- والمشي مكشوف الرأس إذا كان ممن لا يليق به مثل ذلك.

- والتعري من الثياب في بلد يلبس فيه أهل الصيانة ثيابهم كالشام دون الحجاز ونحوه.

- ولبس الفقيه القباء والقَلَنْسُوة حيث لا يعتاده الفقهاء.

- وتقبيل الزوجة، أو الأمة بحضرة الناس؛ ولو نسوة محارم.

- ونزع السراويل حيث يلبس أهل الصيانة سراويلهم.

- وإكثار الحكايات المضحكة ما لم تشتمل على كذب أو سُخْرية بمسلم، أو غيبة فتحرُم.

- والتجاوز في الدعابة عن حُسن العشرة مع الأهل والجيران إلى حد السُّخْف والمُجون.

- ومد الرِّجل بين الناس إلا لمرض ونحوه.

- ولبس التاجر ثوب الحمَّال ونحوه.

---

(١) انظر: «سراج الملوك» للطرطوشي (ص: ٧٩).

ـ وتعمُّم الحمَّال والقصاب ونحوهما بعمامة الفقهاء والقضاة.

ـ ولبسه الطَّيلُسان وطوافه في الأسواق راكباً على بغلة ثمينة ونحوها، فيصير ضحكة للناس، فإن قصد بلباس زي السخرية منهم حَرُم، وقيل: كفر.

ـ ولباس الفقيه ونحوه لباس الأجناد، أو لباس الذعار.

ـ وتبذُّل الرجل المعتبر بنقل الماء والأطعمة إلى بيته شُحّاً وبخلاً، لا إذا فعله استكانة، وتواضعاً، واقتداءً بالسلف في ترك التكلف.

ـ واتخاذ الرجل للدبوقة[1]، وإرسالها بين الكتفين كالمرأة، أو على الناصية ومقدم الرأس في الحمام ونحوه كما نص عليه الأذرعي، وهو ظاهر.

ـ ونتف اللحية.

ـ والحرفة الدَّنِيَّة كالحجامة، وكنس الأخلية ما لم يكن معتاداً لها، فقيل: ما لم تكن حرفة أبيه.

ومدار هذا الباب على العرف؛ فيختلف باختلاف الحال، والمقام، والزمان، والمكان.

ـ **وأما المروءة التي لا تشترط في العدالة**، بل هي أعم من العدالة، وهي أخلاق شريفة، وكمالات مرضية كالإحسان والإفضال، والعفو، والاحتمال، فقد اختلفت أقوال الناس فيها، وذكر النبي ﷺ

---

(١) الدبوقة: الشعر المفتول المنسوج أو المضفور.

بعض أفرادها فيما رواه ابن عساكر عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ الرِّبْحُ عَلى الإِخْوانِ»[1].

وروى أبو نعيم عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل من ثقيف: «ما الْمُرُوءَةُ فِيْكُمْ يا أَخا ثَقِيفٍ؟»

قال: الإنصاف والإصلاح.

قال: «وَكَذَلِكَ فِينا»[2].

وقال الخرائطي: سمعت أبا موسى عمران بن موسى يقول: بلغني أن سفيان الثوري رحمه الله تعالى سئل عن المروءة ما هي؟

قال: الإنصاف من نفسك والفضل؛ ألم تسمع الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]؟ وهو التفضل[3].

ولا يتم الأمر إلا بهما؛ ألا تراه لو أعطى جميع ما يملك، ولم يُنصف من نفسه، لم يكن له مروءة لأنه لا يريد أن يعطيَ شيئاً إلا يأخذ من صاحبه مثله؟ وليس هذا مروءة.

وروى ابن النجار عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه:

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٣٢٥)، قال الذهبي في «مختصر التاريخ»: منكر. انظر: «فيض القدير» للمناوي (٥/ ٣٨٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٥٥) وقال: غريب.

(٣) وروى نحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٩١).

أنه مر بقومٍ يتحدثون، فقال: فيم أنتم؟

قالوا: نتذكر المروءة.

فقال: أوَمَا كفاكم الله ﷻ ذلك في كتابه إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[النحل: ٩٠]؟ فما بعد هذا[١]؟

وروى أبو نعيم عن المزني قال: سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول: العلم مروءة من لا مروءة له[٢].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن إبراهيم النخعي رضي الله تعالى عنه قال: ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق.

قال: ويقال: سرعة المشي تُذهب ببهاء المؤمن[٣].

وعن محمد بن عمار قال: ما شيء أشد من حمل المروءة.

قيل له: وأي شيء هي المروءة؟

قال: أن لا تعمل شيئاً في السر تستحيي منه في العلانية[٤].

وعن الأصمعي رحمه الله تعالى قال: ثلاثة يُحكم لهم بالمروءة

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٦٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٤٠).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٤١).

(٤) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٤١)، وعنده: «محمد ابن عمران» بدل «محمد بن عمار».

حتى يتكلموا: رجل رأيته راكباً، أو شممت منه رائحة طيبة، أو سمعته يعرب.

قال: وثلاثة يحكم لهم بالدناءة حتى يعرفوا: رجل يتكلم بالفارسية في مِصْرٍ عربي ـ قلت: وفي معنى الفارسية: التركية، ونحوها ـ قال: أو رجل رأيته على طريق ينازع في القدر، ورجل شممتَ منه رائحة [نبيذ](1).

وأنشد: [من البسيط]

نَوْمُ الغَداةِ وَشُرْبٌ بِالْعَشِيَّاتِ ... مُوَكَّلانِ بِهَدْمٍ لِلْمُرُوءاتِ(2)

وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قال: قال محمد بن نصر الحارثي رحمه الله تعالى: أول المروءة طلاقة الوجه.

والثاني: التودد إلى الناس.

والثالث: قضاء الحوائج.

ومن فاته حَسَبُ نفسه لم ينفعه حسب أبيه؛ يعني: الدين(3).

وعن المدائني قال: قال معاوية للحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم: ما المروءة يا أبا محمد؟

فقال: فقه الرجل في دينه، وإصلاح معيشته، وحسن مخالقته.

---

(1) بياض في «أ» و«ت»، وفي مصدر التخريج: «نبيذ».

(2) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٦٣).

(3) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٤١).

قال: فما النجدة؟

قال: الذب عن الجار، والإقدام على الكريهة، والصبر على النائبة.

قال: فما الجود؟

قال: التبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في المحل[1].

وعن الزِّيادي قال: سئل بعض الحكماء عن المروءة، فقال: إنصاف مَنْ هو دُونك، والسمو إلى من هو فوقك، والجزاء بما أوتي إليك من خير أو شر[2].

قلت: وهذا معنى قول الناس: مقابلة الفاسد بالفاسد من المروءة، وهذا مشروط بالسلامة من الإثم كأن تزيد على فاسده، أو تكون مما لا يأذن الشرع فيه، ثم العفو أولى وأحسن.

وروى الدينوري عن مسلم بن قتيبة قال: قال بعض حكماء العرب: ما أعان على نظم مروءات الرجال كالنساء الصوالح[3].

قال مسلم: الدنيا: العافية، والشباب: الصحة، والمروءة: الصبر على الرجال، ولا خير في المعروف إذا أحصي.

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٩٥).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٩٥).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٩٨).

قال: ومن المروءة أيضاً: أن تصون ثوبي جمعتك، وتكثر تعاهد صبيتك، وتعرف المسجد بمحلتك[1].

وروى الحاكم في «مناقب الشافعي» عن البويطي عنه رحمهما الله تعالى أنه قال: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه[2].

وروى أبو نعيم عن الزهري رحمه الله تعالى قال: ما أحدث الناس مروءة أعجب إليَّ من الفصاحة[3].

وروى ابن باكويه الشيرازي، ومن طريقه ابن الجوزي عن أحمد ابن الصلت قال: سمعت بشر بن الحارث يقول رحمه الله تعالى: ليس من المروءة أن تحب ما يبغض حبيبك[4].

قلت: أشار إلى أن من كان الله حبيبه، فمروءته أن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، ولا يبغض ما أحب الله، ولا يحب ما أبغضه الله.

وفيه معنى آخر: وهو أن من له صديق يعلم منه الصداقة والديانة والمحبة والصيانة، فليس من المروءة أن يصادق عدو صديقه.

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٩٨)، وعنده: «ضيفك» بدل «صبيتك»، و«مجلسك» بدل «محلتك».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ٢٥٤).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٦٤).

(٤) وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٠٠) عن بشر بن السري بمعناه.

وروى الدينوري عن الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى: أنه سئل عن المروءة، فقال: العفة والحرفة[1].

قال المغيرة: المروءة العفة عما حرم الله، والحرفة فيما أحله[2].

وعليه يحمل كلام الأحنف.

ويروى عن الأحنف أيضاً أنه قال: المروءة صدق اللسان، ومواساة الإخوان، وذكر الله في كل مكان[3].

وروى السلمي في «طبقاته» عن عمرو بن عثمان المكي رحمه الله تعالى قال: المروءة: التغافل عن زلل الإخوان[4].

وروى الخطيب عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يُنْصِتَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ إِذا حَدَّثَهُ، وَمِنْ حُسْنِ الْمُواساةِ أَنْ يَقِفَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ إِذا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِهِ»[5].

قلت: وكذلك إذا كان معه في سفر أو طريق، ووقعت دابته، أو عرض له أمر يقف معه ويساعده.

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٤٩).

(٢) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٤٠٦).

(٣) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٤٢٥).

(٤) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٦٤).

(٥) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٩٤)، وعنده: «المماشاة» بدل «المواساة».

وروى الدينوري عن الأصمعي، عن أبيه قال: قال الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى: جنِّبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام؛ فإني أبغض الرجل أن يكون وصَّافاً لفرجه وبطنه، وإن من المروءة والديانة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه[1].

ومن أجمع ما قيل في المروءة ما حكي عن العتَّابي أنه قيل له: ما المروءة؟

قال: ترك اللذة.

قيل له: فما اللذة؟

قال: ترك المروءة[2].

وبيانه: أن المرء مهما استرسل فيما يستلذه لقضاء شهوته نقص بقدرها من نخوته، لأن الاسترسال في الشهوات يرق رداء الحياء، ويربي القِحة، وبذلك تذهب المروءة.

ومن هنا قيل: «إِذا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ ما شِئْتَ»، وهو «مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى» كما في الحديث[3].

وروى ابن عساكر عن الزهري رحمه الله تعالى قال: ما طلب الناس شيئاً خيراً من المروءة، ومن المروءة: ترك صحبة من لا خير

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١١١).

(٢) انظر: «البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي (٣/ ٥٨).

(٣) تقدم تخريجه.

فيه، ولا يستفاد منه عقل؛ فتركُه خير من كلامه[1].

وروى الدينوري عن الحسن بن علي الخلال رحمه الله تعالى قال: قال بعض الحكماء: مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلوب صدأ الذنوب، ومجالسة ذوي المروءة تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تفتح ذكاء القلوب، ومن عرف تقلُّب الزمان لم يركن إليه[2].

وروى أبو نعيم عن بشر بن الحارث رحمه الله تعالى قال: قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: لا تكمل مروءة الرجل حتى يسلم منه عدوُّه.

قال بشر: كيف والآن لا يسلم منه صديقه[3].

وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: لقد أدركنا أقواماً شُطَّارهم لمروآتهم أتقى[4] من قُرَّاء هذا الزمان[5].

قال في «القاموس»: الشاطر: الذي أعيا أهله خُبثاً[6].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ٣٨١).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٣٧).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٤١).

(٤) في «الحلية»: «هم اليوم أبقى» بدل «شطارهم أتقى».

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٣٩).

(٦) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٥٣٣) (مادة: شطر).

وسئل عمرو بن العاص ﷺ عن المروءة فقال: تقوى الله، وصلة الرحم[1].

نص على صلة الرحم ـ وإن كانت داخلة في التقوى ـ لأنها كالأهل بالنسبة إلى سائر أنواع البر؛ لأن من قصَّر في حق أرحامه كان في حق غيرهم أشد تقصيراً، ولأن القرابة داعية إلى حفظ الحقوق وحسن الصنيعة، فإذا لم تكن القرابة مؤثرة ذلك فغيرها لا يؤثره.

وروى ابن عساكر عن ربيعة بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى أنه قال: للسفر مروءة، وللحضر مروءة.

فأما مروءة السفر: فبذل الزاد، وقلَّة الخلاف على أصحابك، وكثرة المزح في غير ما يسخط الله تعالى.

وأما مروءة الحضر: فإدمان الاختلاف إلى المساجد، وكثرة الإخوان، وقراءة القرآن[2].

واعلم أن المروءة إما أن تكون ثمرتها راجعة إلى نفس المرء، وإما إلى غيره.

أما المروءة التي تعود ثمرتها إلى نفس المرء فهي: العفة عن المحارم، وهي ضبط الفرج، وكف اللسان عن المآثم، والكف عن

---

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٤٠٦).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٢٤٩)، وكذا ابن أبي الدنيا في «الإشراف في منازل الأشراف» (ص: ٢٧٦).

التجاهر بالظلم، والتنزه عن الاستمرار بالخيانة، والنزاهة عن المطامع الذميمة، ومواقف الرِّيبة، وصيانة النفس عن حمل المِنَن، والاسترسال، والاستعانة بالتماس الكفاية، وتقدير المادة.

وأما المروءة التي تعود ثمرتها على غير المرء فهي: إسعاف الأهل والإخوان والجيران وغيرهم في النوائب، والعفو عن الزلات، وعن بعض الحقوق المالية ـ ولو بالتخفيف والإنظار ـ والحقوق الأحوالية كالرضا بالدون من المجلس، وطرح المنازعة في الرتب، والتقدم في المحافل، والمسامحة في المعاملات، والإفضال جوداً على شكور، أو تآلفاً لنفور، أو استكفافاً ودفاعاً عن العرض.

فمن أتى بذلك كله فهو المرء الكامل المروءة كما يؤخذ من كلام القاضي الماوردي في كتاب «أدب الدين والدنيا»[1].

* **تَتِمَّةٌ:**

روى الدينوري عن المدائني قال: قال عمر ﷺ: ما وجدت لئيماً قط إلا وجدته رقيق المروءة[2].

ويناسب هذا ما يحرم على الألسنة من المدح بكمال المروءة، والذم بنقصانها.

ونقل ابن عبد ربه في «عقده» عن الأحنف بن قيس أنته قال:

---

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٤٠٦ ـ ٤٠٩).

(٢) تقدم تخريجه.

لا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لبخيل، ولا ورع لسيىء الخلق[1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال: المروءة مروءتان؛ مروءة ظاهرة، ومروءة باطنة؛ فالمروءة الظاهرة الرياش، والمروءة الباطنة العفاف[2].

وعن العتبي، عن أبيه قال: لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس: أن يكون عالماً، عاقلاً، صادقاً، ذا بيان، مستغنياً عن الناس[3].

وذكر حجة الإسلام في «الإحياء» عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه: يا بني! استغن بالكسب الحلال عن الفقر؛ فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب في مروءته؛ وأعظم من هذا استخفاف الناس به[4].

وروى أبو نعيم عن الحارث قال: سأل علي ابنه الحسن رضي الله تعالى عنهما عن أشياء من المروءة، فقال: يا بني! ما السَّداد؟

قال: يا أبه! دفع المنكر بالمعروف.

قال: فما الشرف؟

قال: اصطناع العشيرة، وحمل الجَريرة.

---

(١) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ١٣٩)، وروى نحوه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٣٦).

(٢) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ١٣٨).

(٣) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ١٣٩).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٦٢).

قال : فما المروءة؟

قال : العفاف، وإصلاح المال.

قال : فما الرقة؟

قال : النظر في اليسير، ومنع الحقير.

قال : فما اللؤم؟

قال : إحراز المرء نفسه، وبذله عرسه.

قال : فما السماحة؟

قال : البذل في اليسر والعسر.

قال : فما الشح؟

قال : أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تَلَفاً.

قال : فما الإخاء؟

قال : المواساة في الشدة والرخاء.

قال : فما الجبن؟

قال : الجرأة على الصديق، والنكول عن العدو.

قال : فما الغنيمة؟

قال : الرغبة في التقوى والزهادة في [الدنيا] هي الغنيمة الباردة.

قال : فما الحكمة؟

قال : كظم الغيظ وملك النفس.

قال : فما الغنى؟

قال: رضى النفس بما قسم الله ﷻ لها وإن قل.

قال: فما الفقر؟

قال: شَرَه النفس في كل شيء.

قال: فما المنعة؟

قال: شدة البأس، ومنازعة أعز الناس.

قال: فما [الذل؟

قال]: الفزع عند [المصدوقة].

قال: فما العي؟

قال: العبث باللحية، وكثرة البزق عند المخاطبة.

قال: فما الجرأة؟

قال: موافقة الأقران.

قال: فما الكُلفة؟

قال: كلامك فيما لا يعنيك.

قال: فما المجد؟

قال: أن تعطي في المغرم، وتعفو في الجرم.

قال: فما العقل؟

قال: حفظ القلب كل ما استوعبته.

قال: فما الخرق؟

قال: معاداتك إمامك، ورفعك عليه كلامك.

قال: فما السَّناء؟

قال: إتيان الجميل، وترك القبيح.

قال: فما الحزم؟

قال: طول الأناة، والرفق بالولاة.

قال: فما السَّفَه؟

قال: اتباع الدُّنَاة، ومصاحبة الغُواة.

قال: فما الغفلة؟

قال: تركك المسجد، وطاعتك المفسد.

قال: فما الحرمان؟

قال: تركك حظك وقد عرض عليك.

قال: فما السيد؟

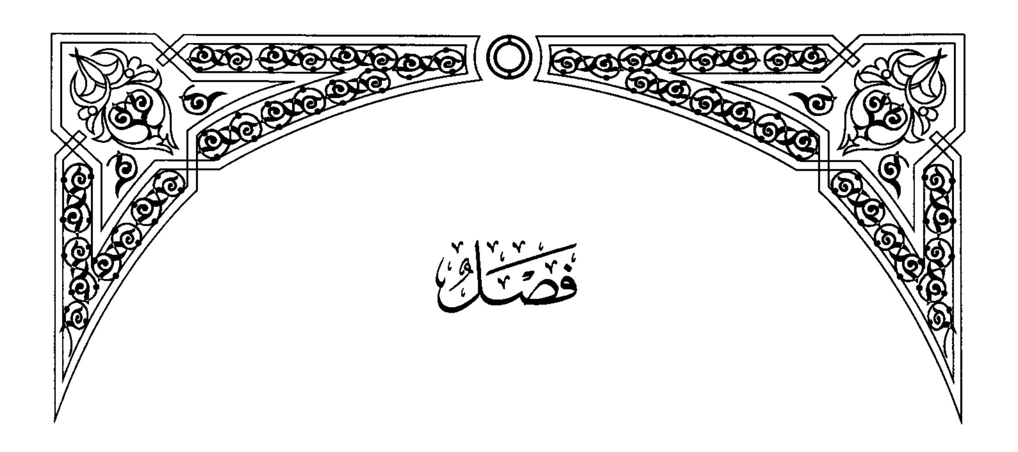
قال: الأحمق في ماله، والمتهاون في عرضه، يُشتم فلا يجيب، المتحزن بأمر عشيرته هو السيد.

فقال علي ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا فَقْرَ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ وَلا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ العَقْلِ»[1].

* * *

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٦)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨٢): رواه الطبراني، وفيه أبو رجاء الحنطي، وهو كذاب.



فصل

قال النصرأباذي رحمه الله تعالى: المروءة شعبة من الفتوة، والظاهر أن الفتوة تمام المروءة(١).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان(٢).

وقال سهل رحمه الله تعالى: الفتوة اتباع السنة.

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: الفتوة كف الأذى، وبذل الندى(٣).

قلت: وفي معناه ما أنشده البيهقي في «شعب الإيمان»: [من الرجز]

مـا الْمَـرْءُ إِلاَّ مَـنْ أَطـاعَ رَبَّـهُ ... وَلا الفَتَى إِلاَّ الْمُواسِـي صَحْبَهُ

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٦٢).

(٢) رواه القشيري في «الرسالة» (ص: ٢٦١).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٦٢).

كُلُّ امْرِئٍ يَومـاً سَـيَلْقَى حَتْفَـهُ   إِنْ كَـرِهَ الْمَـوْتَ وَإِنْ أَحَبَّـهُ[1]

وأنشد ابن عساكر في «تاريخه» عن ابن الدواليبي هكذا: [من الرجز]

كُلُّ امْرِئٍ يَوْماً سَيَقْضِي نَحْبَهُ   إِنْ كَـرِهَ الْمَـوْتَ وَإِنْ أَحَبَّـهُ

ما الْمَرْءُ إِلاَّ مَنْ يُواسِـي صَـحْبَهُ   وَلا الفَتَـى إِلاَّ الْمُطِيـعُ رَبَّـهُ[2]

وروى الخطيب في «التلخيص» عن إبراهيم بن جناح المحاربي قال: سمعت أبا نواس يقول: سبقني والبة إلى بيتين من الشعر قالهما، وددت أني كنت سبقته إليهما وأن بعض أعضائي اختلج مني، وهو قوله: [من الطويل]

وَلَيْسَ فَتَى الفِتْيانِ مَنْ راحَ وَاغْتَدَى   لِشُرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لِـشُرْبُ غَبُـوقِ

وَلَكِنْ فَتَى الفِتْيانِ مَنْ راحَ وَاغْتَدَى   لِـضُرِّ عَـدُوٍّ أَوْ لِنَفْـعِ صَـدِيقِ[3]

والقول الجامع في الفتوة أنها أمران:

الأول: الإقبال على الطاعة مع قيام دواعي المعصية.

ولذلك سمي أصحاب الكهف فتية؛ فإنهم أكثروا طاعة الله تعالى مع ما كان يدعوهم إلى المعصية من شرف أنسابهم، وعرض ملكهم

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٨٨).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٤٠٩).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٥١٨).

عليهم الدنيا، ورد الأمر إليهم إن اتبعوا دينه، فأقبلوا على الطاعة وتركوا ذلك كله.

ولقد أحسن الإمام أحمد رحمه الله تعالى حين سئل عن الفتوة فقال: ترك ما تهوى لِمَا تخشى[1].

والأمر الثاني: معاملة الخلق بالوفاء والإفضال ـ وإن قابلوه بالجفاء والحرمان ـ تعظيماً لوجه الله تعالى.

ولذلك أجرى الله تعالى على ألسنة قوم إبراهيم عليه السلام تسميته بالفتى في قولهم ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾[الأنبياء: ٦٠] وإن لم يعترفوا له بالفتوة في نفس اعتقادهم؛ لأن إبراهيم عليه السلام كان يعاملهم بالوفاء بدعوتهم إلى الله تعالى تعظيماً له، وعطفاً عليهم، وكانوا يعاملونه بالجفاء جهالة بالله تعالى، وتفضيله إبراهيم عليه السلام، ومن ثَمَّ شهد الله تعالى له بالوفاء في قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[النجم: ٣٧] ليدخل في الفتوة ـ على ما بيناه ـ جميعُ العبادات والتطوعات، والإيثار والإحسان، وقضاء حوائج الإخوان، والعفو، واحتمال الأذى، وغير ذلك.

وقد أشارت إلى ذلك الفاضلة الكاملة زينب بنت رضي الدين الغزي شقيقة والدي رحمهم الله تعالى ـ وكانت من العلماء ـ بقولها:

[من السريع]

---

(١) رواه القشيري في «الرسالة» (ص: ٢٦٢).

لَيْسَ الفَتَى كُلُّ الفَتَى عِنْدَنا ... إلاَّ الَّذِي يَنْهَى عَنِ الفُحْشِ
يَأْتِي إِلَى الْخَيْراتِ مِنْ بابِها ... وَيَفْعَلُ الْخَيْرَ بِلا فُحْشِ

وروى ابن الجوزي في «صفة الصفوة» عن رويم بن محمد رحمه الله تعالى قال: الفتوة أن تعذر إخوانك في زللهم، ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار إليهم[1].

وروى الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته» عن معروف الكرخي رحمه الله تعالى قال: للفتيان ثلاث علامات: وفاء بلا خلاف، ومدح بلا جور، وعطاء بلا سؤال[2].

وعن محمد بن الفضل البلخي رحمه الله تعالى أنه سئل: ما الفتوة؟

قال: حفظ السر مع الله تعالى على الموافقة، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة، واستعمال الخلق[3]؛ أي الحسن الجميل.

فينبغي التشبه بأهل الفتوة والمروءة في حمل أثقال الفتوات والمروءات، لا في الزي والدعوى مع خلو النفس عن كمالات الفتوة، وخصال المروءة؛ فإن ذلك يلحق العبد بأهل السَّفالة والنذالة،

---

(١) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٤٢)، وكذا أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٤٤٢)، وعندهما: «رويم بن أحمد» بدل «رويم بن محمد».

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٨٥).

(٣) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٧٥).

وليس لعاقل أن يلحق نفسه بهؤلاء لا في هذا الخلق، ولا في غيره من أخلاق الأنذال والأوباش.

وفي «الحلية» لأبي نعيم: قيل لأبي عبدالله ـ يعني: السجزي ـ رحمه الله تعالى: ما يدفعك عن لبس المرقعة؟

فقال: من النفاق أن تلبس لباس الفتيان، ولا تدخل في حَمَلَة أثقال الفتوة، فما يلبس لباس الفتيان من يقدر على حمل أثقال الفتوة.

فقيل له: وما الفتوة؟

قال: رؤية أعذار الخلق وتقصيرك، وتمامهم ونقصانك، والشفقة على الخلق برهم وفاجرهم، وكمال الفتوة هو أن لا يشغلك الخلق عن الله تعالى[1].

وروى السلمي عن شاه الكرماني رحمه الله تعالى قال: الفتوة من طباع الأحرار، واللؤم من شِيَم الأنذال[2].

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري في «رسالته»: أصل الفتوة أن يكون العبد أبداً ساعياً في أمر غيره[3]؛ أي: موافقاً في ذلك للشرع.

ثم أسند حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يَزالُ اللهُ تَعالَى فِي حاجَةِ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٥١).

(٢) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٥٧).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٦٠).

العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ فِي حاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ»[1].

وقال: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: سمعت النصرأباذي يقول: سمي أصحابُ الكهف فتية لأنهم آمنوا بربهم من غير واسطة.

قال: وقال: الفتى من كسر الصنم؛ قال الله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

وقال ﷻ: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٨].

قال: وصنم كل إنسان نفسه؛ فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة[2].

ولنا في معنى كلام النصرأباذي رحمه الله تعالى: [من الرجز]

إِنَّ الفَتَى لَمَنْ يُخالِفُ الْهَوى ... ما ضَلَّ عَنْ طَرِيقِهِ وَلا غَوى

لاحَ لَهُ يَوْمُ الْمآبِ فَارْعَوى ... ثُمَّ اسْتَقامَ فِي الطَّرِيقِ وَاسْتَوى

قال القشيري رحمه الله تعالى: وقال الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى: الفتوة أن تنصف ولا تنتصف.

قال: وقال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله تعالى: الفتوة حسن الخلق.

---

(١) ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٢٨٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٨٠٢).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٦١).

وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن الفتوة، فقال: لا تنافي فقيراً، ولا تعارض غنياً.

قال: وقال محمد بن علي الترمذي يرحمه الله تعالى: الفتوة أن يستوي عندك المقيم والطارىء[1]؛ يعني: في المعاشرة، والإكرام، ونحوهما، وفي عدم الالتفات إلى أحد منهما في فعل أو ترك، فيكون إشارة إلى الإخلاص والصدق. . .[2]

في معنى ما نقله أيضاً عن النصرأباذي: المروءة شعبة من الفتوة، وهو الإعراض عن الكونين، والأَنفَة منهم؛ يعني: شغلاً بالله تعالى، وفناءً في حبه، وارتباطاً بأوامره.

وقيل: الفتوة إظهار النعمة، وإسرار المحنة. نقله التستري[3].

وقال رحمه الله تعالى: واعلم أن من الفتوة الستر على عيوب الأصدقاء؛ لاسيما إذا كان لهم فيه شماتة الأعداء[4]. [من المتقارب]

رَأَيْتُ الفَتَى مَنْ يُغَطِّي الزَّلَلْ
وَيَرْفُو مِنَ الأَصْدِقاءِ الْخَلَلْ

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٦٢)، وعنده: «لا تنافر».

(٢) بياض في «أ» بمقدار كلمة.

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٦٢)، و«مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٣٤٢).

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٦٥).

وَيُظْهِـــــرُ أَحْـــــسَنَ أَعْمـــــالِهِمْ

وَيُثْنِـــي عَلَـــيْهِمْ بِحُـــسْنِ العَمَـــلْ

أخبرنا والدي رحمه الله تعالى، أنا شيخنا زكريا الأنصاري عن العز ابن الفرات الحنفي، عن قاضي القضاة تاج الدين السبكي، أنا قاضي القضاة أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الشافعي كتابةً عن أبي الفضل بن أبي العباس بن الحسين بن محمد بن أحمد الدمشقي، عن الإمام أبي الخطاب عمر بن محمد بن عبدالله الكرماني، أنا أبو بكر محمد بن إسماعيل بن محمد القرشي النقيسي قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت يحيى بن منصور يقول: سمعت الفربري، سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول ـ وقصده رجل فطلب منه شيئاً، فأعطاه ما أمكنه ـ ثم أنشأ يقول: [من البسيط]

يـا لَهْـفَ نَفْـسِي عَلـى مـالٍ أُفَرِّقُـهُ

عَلـى الْمُقِلِّـينَ مِـنْ أَهْـلِ الْمُـرُوءاتِ

إِنَّ اعْتِـذارِي إِلـى مَـنْ جـاءَ يَـسْأَلُنِي

ما لَيْسَ عِنْدِي لَمِـنْ إِحْـدى الْمُـصِيباتِ[1]

* * *

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٤٠٤).



فَصْلٌ

كثيراً ما يقع في عبارات الفقهاء التعبير بالسَّفَه عما يُسقط المروءة كقول الماوردي: نتف اللحية سفه تُرَدُّ به الشهادة[1].

وقول القاضي حسين: في اعتياد الرجل البول قائماً: تُرَدُّ به الشهادة لأنه يعد سفهاً.

ويفهم من ذلك أن السفه يقابل المروءة، والمشهور أنه يقابل الحلم، وفسروا السفه في باب الْحَجْر بسوء التصرف في المال.

وقال القاضي البيضاوي: والسفه خِفَّة وسخافة دائمة يقتضيهما نقصان العقل، انتهى[2].

وقال صاحب «القاموس»: السفه ـ محركة، وكسحاب، وسحابة ـ خفة الحلم، أو نقيضه، أو الجهل[3].

قلت: والذي تحرَّر لي أن السفه إما أن يكون في الدين، وإما أن

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (١٧/ ١٥١).

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (١/ ١٧٥).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٦٠٩) (مادة: سفه).

يكون في الدنيا؛ وكلاهما مذموم.

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[البقرة: ١٣٠]؛ أي: اِسْتَمْهَنَهَا وأذلَّها، واستخف بها.

والمعنى: لا يرغب عن ملة إبراهيم عليه السلام إلا من حملته الخفة والسخف على امتهان نفسه وإذلالها بتعريضها لعذاب الآخرة، أو لحرمان الثواب يوم المآب.

ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[النساء: ٥].

والمعنى: إن إيتاء المال السفيه يؤدي إلى ضياعه، وقد كره الله تعالى لنا إضاعة المال؛ فإن السفيه تحمله الخفة والطيش على التبذير، وصرف الأموال في غير مصارفها، فتذهب باطلة.

فحقيقة السفه: أن تحمل المرء الخفة والسخافة وضعف الرأي على معصية الله تعالى، ومخالفة سنن الصالحين، والاشتطاط على الناس، وسوء التصرف في الأموال وغيرها من نعم الله تعالى كصرف نعمة الفراغ والصحة في اللهو واللعب، وصرف نعمة الفطانة والذكاء والصنعة في العلوم أو الأعمال التي لا يعود نفعها عليه في العاقبة كالسحر، والأوفاق، والتنجيم، والموسيقا، وكعمل آلات اللهو، والملاعب، والتصاوير، فمن فعل ذلك أو شيئاً منه كان سفيهاً، ومن تشبَّه بالسفهاء فهو منهم، ومن عاشر السفهاء يوشك أن يتشبه بهم،

ويَسْري إلى طبعه شيء من طباعهم.

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن عمير بن حبيب بن حماسة ـ وكانت له صحبة ـ رضي الله تعالى عنه: أنه أوصى بنيه فقال: يا بني! إياكم ومجالسةَ السفهاء؛ فإن مجالستهم داء، إن من حلم على السفيه يسره بحلمه، ومن لا يقر بقليل ما يأتي به السفيه يقر بالكثير، ومن يصبر على ما يكره يدرك ما يحب، وإذا أراد أحدكم أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر فليوطِّن نفسه على الصبر على الأذى، وليوقِنْ بالثواب من الله عَجَّلَ؛ فإن من يثق بالثواب من الله تعالى لا يجد مس الأذى(١).

ثم اعلم أن السفه شجرة مددها الحمق، ولذلك حجر على السفيه.

ويرى السفيه الحق باطلاً، والقبيح حسناً، والإحسان والنصيحة إساءة وغشاً، والصديق عدواً، والنافع ضاراً، والضار نافعاً، والخير شراً.

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: يا هؤلاء! إن الكلب إذا طرح إليه الذهب والفضة لم يعرفهما، وإذا طرح عليه العظم أكب عليه، كذلك سفهاؤكم لا يعرفون الحق. رواه الإمام أحمد في «الزهد»، ومن طريقه أبو نعيم(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٨٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٦٠).

قال مالك بن دينار أيضاً: لولا سفهاؤكم للبست لباساً لا يراني محزون إلا بكى. رواه أبو نعيم[1].

وفيه تأييد لالتزام العالم زي العلماء، وكل واحد من أهل صناعة زيهم لئلا يجترىء السفهاء على ذوي المروءات؛ وهو نفيس.

وإذا كان زي السفهاء قبيحاً بالعلماء، فتخلُّق العلماء بأخلاق السفهاء أقبح.

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى: إذا كان نهاري نهار سفيه، وليلي ليل جاهل، فما أصنع بالعلم الذي كتبت؟ رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة»[2].

وأشقى السفهاء من يسمي سفهه عقلاً، وجهله علماً، ويستكمل رأي نفسه في ذلك، ويرى أن العقلاء والفضلاء والعلماء سفهاء لأنه قد دلس على نفسه بما يروج سوقه، ولا يستحسن رأيه عند أهل النُّبل والكمال، ولو طمع أنه يخفى عليهم، فلا والله لا يخفى على الله تعالى حقيقة أمره، بل الله تعالى يهتك ستره، ويوضح للناس أمره، ألا ترى المنافقين حين أطلقوا اسم السفه على الصحابة رضي الله تعالى عنهم كيف قلب الله لقبهم عليهم، ووسمهم بالاسم الذي سمُّوهم به، فقال

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٥).

(٢) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢ / ٢٣٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧١).

تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٣]؟

فانظر كيف رد الله عليهم هذا اللقب حين لقبوا به المؤمنين إذ قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[البقرة: ١٣]؟

وقولُه ـ سبحانه ـ الحقُّ إشارة إلى أن من أعرض عن الدليل، ثم نسبه المتمسك به إلى السفاهة، فهو السفيه حقيقة، ومن باع آخرته بدنياه فهو السفيه، ومن عادى محمداً ﷺ فقد عادى الله، ومن عادى الله فهو السفيه المستوجب لذمه، المستحق لعقوبته.

ولله در الشافعي رضي الله تعالى عنه حيث يقول: من تزين بباطل فلا بد أن ينهتك ستره[1].

وقال العلامة الجد رضي الله تعالى عنه: [من السريع]

قُولُـوا لِمَـنْ بَهْـرَجَ فِـي عُمْـرِهِ ... بِـالعِلْمِ إِذْ ضـاقَ بِـهِ الْمَخْـرَجُ

يا صاحِبَ التَّمْوِيهِ بَـيْنَ الـوَرَى ... لا بُـدَّ أَنْ يَنْكَـشِفَ البَهْـرَجُ

واعلم أنه قد جرت عادة الله تعالى في كل ذي رأي أن يستحسن رأيه ويفخر كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[المؤمنون: ٥٣].

وأنشد الحاكم بإسناده إلى الربيع قال: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: [من الوافر]

وَمَنْزِلَـةُ الـسَّفِيهِ مِـنَ الفَقِيـهِ ... كَمَنْزِلَـةِ الفَقِيـهِ مِـنَ الـسَّفِيهِ

---

(١) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٧٦).

فَهَـذا زاهِـدٌ فِـي عِلْـمِ هَـذا وَهَـذا فِيـهِ أَزْهَـدُ مِنْـهُ فِيـهِ
إِذا غَلَـبَ الـشَّقاءُ عَلـى سَـفِيهٍ تَنَطَّـعَ فِـي مُخالَفَـةِ الفَقِيـهِ[1]

وهذه أعظم المُهْلِكات التي أشار إليها النبي ﷺ لأبي ثعلبة الخشنيِّ رضي الله تعالى عنه: «مُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذا رَأَيْتَ شُحّاً مُطاعاً، وَهَوىً مُتَّبَعاً، وَدُنْيا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعِ العَوامَّ» الحديث. رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي، وحسنه[2].

ونص النبي ﷺ في حديث آخر رواه الطبراني وغيره: أن هذه الأمور مهلكات[3].

وقال الدينوري في «المجالسة»: أنشدنا محمد بن عبد العزيز لموسى بن سعيد بن عبد الرحمن المقنع الأنصاري: [من الطويل]

ثَـلاثُ خِـلالٍ كُلُّهـا غَيْـرُ طائِـلِ يَطُفْـنَ بِقَلْـبِ الْمَـرْءِ دُونَ غَـشائِهِ
هَوى النَّفْسِ ما لا خَيْرَ فِيهِ وَشُحُّها وَإِعْجابُ ذِي الرَّأْيِ السَّفِيهِ بِرَأْيِهِ[4]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود (٤٣٤١)، وابن ماجه (٤٠١٤)، والترمذي (٣٠٥٨) وحسنه.

(٣) روى الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٤٥٢) عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه».

(٤) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤١٧).

ولا يكون الإعجاب بالرأي مهلكاً إلا إذا كان مخالفاً للحق، وهو الرأي السفيه، وإذا وافق الرأي الحق فلا يضره الإعجاب به من حيث إنه حق، بل من حيث إنه منسوب إليه.

والإعجاب بالرأي من هذه الحيثية هو الغالب على الناس، ولذلك جاء ذم الإعجاب بالرأي في الحديث مطلقاً، فالعالم العامل والفقيه الخاشع مهما أعجبه ما هو عليه من حيث إنه حق مأمور به مع التبرؤ من الحول والقوة ليستحث نفسه على طلب الزيادة منه عملاً بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤]، وليبعث غيره على الاقتداء به ليفوز بالنجاة والنجاح، فإن ذلك دليل الخير والسعادة.

ومن هذا القبيل: ما رواه ابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته[١].

وروي نظير ذلك عن علي، ومعاوية، وسعيد بن المسيب، وغيرهم[٢].

وأما السفيه فإنه مهما أعجب بنفسه وسفَهِهِ ودعا الناس إلى مثل عمله، وصرف فكره وفطنته في تقبيح حال العلماء الكُمَّل، ومخالفتهم

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ٣٦).

(٢) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٤/ ٤٩٣).

في القول أو الرأي أو العمل، فذلك دليل شقاوته كما أشار إليه الشافعي رحمه الله تعالى[1].

ومن ثم لا ينبغي أن يقر السفيه على ما يصنعه مخالفاً للسنة، ولا يُحَسَّن له رأي ولا عمل، بل ولا تقبل له هدية؛ فإن قبول هدية المرء دليل المحبة والرضا عنه كما قال حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى: إياكم وهدايا الفجار والسفهاء؛ فإنكم إن قبلتموها ظنوا أنكم قد رضيتم فعلهم. رواه ابن جهضم[2].

بل ينبغي نهيه، وزجره، ومنعه.

روى الطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «السنن» عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «خُذُوا عَلى أَيْدِي سُفَهائِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَهْلَكُوا، أَوْ تُهْلِكُوا»[3].

وفي معنى الحديث قول العرب: حكموا سفهاؤكم بالكلف؛ أي: امنعوهم.

قال في «الصحاح»: يقال: حكمت السفيه، وأحكمته: إذا أخذت على يده.

---

(١) في الأبيات المتقدم ذكرها قريباً.

(٢) ورواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ٢٧٠).

(٣) رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٠٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٧٧).

قال جرير: [من الكامل]

أَبَنِي حَنِيفَةَ حَكِّمُوا سُفَهاءَكُمْ   إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبا

وكأنه مأخذ من حلة اللجام، وهي بالتحريك: ما أحاط بحنك الدابة، فقال منه: حكمت الدابة حكماً، وأحكمته[1].

ومنهم من ينشد البيت: حلموا ـ باللام ـ أي: احملوهم على الحلم؛ كأنه فر من إيهام معنى التحكيم الذي هو جعلهم حكاماً؛ فإنه لا يليق الأمر به.

ولقد جرت عادة الله تعالى في خلقه منذ خلق آدم عليه السلام إلى عصرنا أنه لم يكن عليم حكيم دخل في ولاية الله تعالى إلا ابتلي بسفيه يُباريه ويُماريه، ويعاديه ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حَيَّ عن بينة كابتلاء آدم بإبليس، وهابيل بقابيل، ونوح وهود وصالح وشعيب بأقوامهم، وإبراهيم بنمرود وقومه، ولوط بأهل سَدُوم، وموسى بفرعون وقومه، وعيسى باليهود، ومحمد صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وسلم بأبي جهل وصناديد قريش، ثم بكعب بن الأشرف وأحبار يهود، وبالسيد والعاقب، ومن معهما من نصارى نجران، وبعبدالله بن أُبَي ابن سلول والمنافقين.

وكل هؤلاء السفهاء أُعجبوا برأيهم، وسفَّهوا أحلام خيارهم.

فقال إبليس: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١].

---

(١) وانظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ١٤٤) (مادة: حكم).

وقال لآدم وحواء عليهما السلام ما تحصيلُه: إنَّ ترككما الشجرةَ سفهٌ لأنها شجرة الخُلد، والأكل منها يلحقكما بالملائكة، ومن أعرض عن هذا فهو سفيه.

وقال قابيل لأخيه: ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾[المائدة: ٢٧]، ثم قتله، ولم تمنعه الأخوة من السفه.

وقال قوم نوح عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾[الأعراف: ٦٠ ـ ٦١].

وقال قوم هود عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[الأعراف: ٦٦].

وقال قوم صالح عليه السلام: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾[هود: ٦٢].

وقال قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾[هود: ٨٧ ـ ٩١].

وقال قوم إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٥٩].

وقال قوم لوط عليه السلام: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾[النمل: ٥٦].

وقال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[الشعراء: ٢٧].

وقالت قريش عن النبي ﷺ: إنه سَفَّه أحلامهم، وصَبَأ عن دينهم.

وقالوا: ساحر وشاعر ومجنون.

وسمَّوه صابئاً، ومذمماً، وابن أبي كبشة.

وقال أهل الكتابين: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾[البقرة: ١٣٥].

وقال المنافقون: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[البقرة: ١٣].

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[البقرة: ١٤].

ثم صارت هذه السنة في هذه الأمة إلى الآن؛ ما ظهر منها ظاهر بحق يدعو إلى الله على بصيرة بطريق الوراثة عن النبي ﷺ يأمر بسنة وينهى عن مخالفة شريعته، إلا ابتلي بسفيه يسفِّه رأيه، ويقبِّح طريقه؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*** تَنْبِيهٌ:**

وظيفة العدل الرشيد مع السفيه أمور:

الأول: أن لا يتشبه بالسفهاء.

ومتى رغبت عن حال الراشدين التحقت بالسفهاء؛ ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[البقرة: ١٣٠]؟

الثاني: أن تأخذ على يد السفيه، وتنكر عليه وتنهاه، إلا عند خوف الفتنة أو الضرر؛ فإن التغافل عن السفهاء ربما أدى إلى هلاك العامة.

روى الإمام عبدالله بن المبارك عن الشعبي رحمه الله تعالى قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما يقول على هذا المنبر: يا أيها الناس! خذوا على أيدي سفهائكم؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ قَوْماً رَكِبُوا فِي سَفِينَةٍ، فَاقْتَسَمُوها، فَأَصابَ كُلُّ واحِدٍ مَكاناً، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْهُ الفَأْسَ فَنَقَرَ مَكانَهُ، قالُوا: ما تَصْنَعُ؟ قالَ: مَكانِي أَصْنَعُ بِهِ ما شِئْتُ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلى يَدَيْهِ نَجَوْا وَنَجا، وَإِنْ تَرَكُوهُ غَرِقَ وَغَرِقُوا؛ خُذوا عَلى أَيْدِي سُفَهائِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَهْلَكُوا»[1].

وقد قلت سابقاً: إنه متى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان سبباً للهلاك وعموم الفساد.

الثالث: أن تصرم السفيه وتهجره حيث خِفْتَ الفتنة من أمره ونهيه، أو علمت أن الموعظة لا تؤثر فيه.

قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩].

وروى الطبراني، والبيهقي في «الشعب» بسند صحيح، عن عمر ابن قيس بن بشير بن عمر، عن أبيه، عن جده بشير بن عمر رضي الله تعالى عنه ـ وكان قد رأى النبي ﷺ ـ قال: أصرم الأحمق[2].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٧٥)، وأصل الحديث عند البخاري (٢٣٦١).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٦٨) مرفوعاً، و(٩٤٦٩) موقوفاً، وقال هذا هو الصحيح موقوف، ففي الإسناد الأول خطأ من ثلاثة أوجه أو =

الرابع: أن لا تحسن له حالاً، ولا تؤتيه لك مالاً، ولا تُسْلِمه قِيادك، ولا تُوليه أمراً لا يقوم به رأيه، ولا يحتمله عقله.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾[النساء: ٥].

روى ابن أبي شيبة، وغيره عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه ـ موقوفاً ـ والحاكم وصححه، والبيهقي عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ يَدْعُونَ اللهَ فَلا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ؛ رَجُلٌ كانَتْ تَحْتَهُ امْرَأَةٌ سَيِّئَةُ الْخُلُقِ فَلَمْ يُطَلِّقْها، وَرَجُلٌ كانَ لَهُ عَلى رَجُلٍ مالٌ فَلَمْ يُشْهِدْ، وَرَجُلٌ آتَى سَفِيهاً مالَهُ وَقَدْ قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾[النساء: ٥]»(١).

وقلت عاقداً له: [من الرجز]

ثَلاثَةٌ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ وَلا	يُجِيبُهُمْ فِي خَبَرٍ مُصَدَّقِ
مُؤْتِي السَّفِيهَ مالَهُ وَمَنْ إذا	عَامَلَ لَمْ يُشْهِدْ وَلَمْ يَسْتَوْثِقِ
وَرَجُلٌ زَوْجَتُهُ مُسِيئَةٌ	أَخْلاقَهَا ثَمَّتَ لَمْ يُطَلِّقِ

= من أربعة أوجه؛ أحدها قول: عمر بن قيس، وإنما هو عمرو بن قيس، والثاني: قول بشير، وإنما هو يسير، والثالث: في رفعه، وإنما هو موقوف، والرابع: في عده بشيراً من الصحابة، بشير ممن أدرك زمانه، وإنما أسلم بعده.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٨١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٤١).

* تَنْبِيهٌ:

روى ابن أبي حاتم عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ النِّساءَ السُّفَهاءُ إلاَّ الَّتِي أَطاعَتْ قَيِّمَها»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[النساء: ٥] قال: هم بَنُوك والنساء[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: الخدم، وهم شياطين الإنس[3].

ووجه تفسيرهم بما ذكر ـ وإن كان الحكم عاماً ـ لوجهين:

أحدهما: أن المرء العاقل لا يؤتي ماله لكل من لقيه، وإنما يسمح بماله لمن يكون أعز عليه من ماله، أو لمن يخصه من ولد أو زوجة أو خادم، فوقع النهي عن إيتاء سفهائكم المال لأنه تعريض له لأن يضيع.

وفسرت السفهاء بمطلق الصبيان والنساء؛ لأن الغالب عليهم

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٨٦٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧٤) بمعناه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣١٤): فيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك، وقد قيل فيه: إنه صالح، وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٨٦٣).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٨٦٣).

السفه، وهو حالهم لأنهم لا يتعبون في تحصيله، فلا يُحسنون إمساكه، وإذا صرفوه والتمسوا غيره وجدوه، فإذا منعوا منه تنبهوا لحالهم، فتنصلوا منه، وتحلَّوا بحِلْية الرشد.

وثاني الوجهين: أنه إذا نهي عن إيتاء المال لأقرب الناس إليه إذا كانوا سفهاء، فالسفهاء غيرهم أولى بالنهي والمنع منه.

وفي الآية تفسير آخر: أن المراد بالآية النهي عن دفع مال اليتيم والمحجور عليه إليه ما لم يرشد.

ونسب المال إلى الأولياء تنزيلاً لليتيم ونحوه منزلة نفسه؛ لأن المؤمنين إخوة كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[النساء: ٢٩]؛ أي: لا يقتل بعضكم بعضاً.

روى ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ﴾[النساء: ٥] قال: هم اليتامى.

﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾[النساء: ٥] قال: أموالهم؛ بمنزلة قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[النساء: ٢٩][1].

الخامس من الأمور: أن ترفق بالسفيه الذي هو تحت ولايتك من ولد، أو امرأة، أو خادم، أو يتيم، ونحوه بالإنفاق عليه بقدر الحاجة، وتحريضه على كسوته ونحوها، وأن يتلطف به في الخطاب والنصيحة، وتعرُّفه وجه منعه من مالك أو من ماله لعله يرشد.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٨٦٣).

قال الله تعالى: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

هذا حيثما تُوسِّم له النجاح والفلاح، وظُنَّ منه الاصطلاح، وأما إذا أيس رشده وخيره، وعلم أن الرفق به في الخطاب، واللين معه في الكلام يزيد في فساده، ولا يميله عن سفهه، فليس له إلا الزجر والهجر.

روى أبو نعيم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَراهُ أَهْلُ البَيْتِ»[١].

وأخرجه الطبراني في «الكبير» من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وزاد: «فَإِنَّهُ أَدَبٌ لَهُمْ»[٢].

وقال لقمان عليه السلام: ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع[٣].

ولا يخفى على العارف الحكيم الأنفع والأصلح في تأديب السفهاء ومعاشرتهم، وفي التأدب مع العلماء ومعاملتهم، كما روى أبو نعيم عن معاوية بن قُرَّة رحمه الله تعالى قال: مكتوب في الحكمة:

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣٢)، وله شواهد من حديث جابر وابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٣١٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٧١). وحسن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٠٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٩٦).

لا تجالس بحلمك السفهاء، ولا تجالس بسفهك العلماء[1].

ويقال في المثل: سفيهاً لم يجد مسافهاً[2].

وربما قيل: سفيهٌ بالرفع؛ يضرب في الإعراض عن الجاهلين، وترك مسافهتهم، فلا ينبغي أن تقابل السفيه بمثل سفهه، ولا تتفقه في جوابه؛ فإن العي هنا أولى من الفهم والفطنة.

روى الدينوري رحمه الله تعالى عن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه قال: لا أعتذر من العي في خصلتين: إذا خاطبت سفيهاً، أو طلبت حاجة لنفسي[3].

وقلت في عقد معناه [من المنسرح]:

العِيُّ فِي خَصْلَتَيْنِ خَيْرٌ ... مِنْ فِطْنَتِي وَاحْتِكَامِ حَدْسِي

مَتَى أُخَاطِبْ سَفِيهَ قَوْمٍ ... أَوْ أَبْتَغِي حاجَةً لِنَفْسِي

* تَتِمَّةٌ:

روى أبو نعيم عن سعيد بن عبد العزيز قال: قال سليمان لابنه عليهما السلام: يا بني! نظرت في العلم فكثر همي، ونظرت في الحكمة فكبر سني، ونظرت فإذا مع الصحة سقم، وإذا مع الشباب

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٠١).

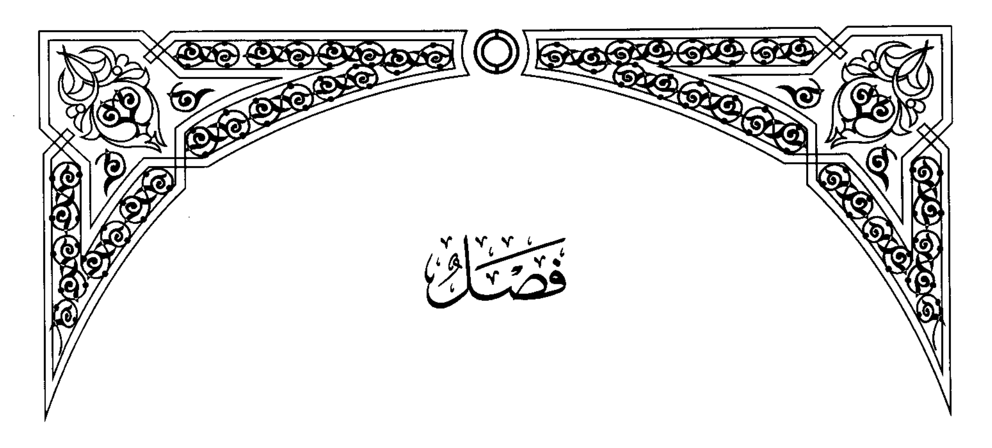
(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (١/ ٥١١).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٩٨).

كبر، وإذا مع الحياة موت، وإذا تربتي وتربة السفيه واحدة، إلا أَنْ أفضله يوم القيامة بعملي[1].

* * *

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٢٦).



فَصْلٌ

من التشبه بالسفهاء التشبه بالسفلة، والدنيء، والخسيس، والنذل، والوبش، والوغد، والرَّذِل، والطَّغَام، واللئيم، والغوغاء، ومرء السوء.

وهذه الأوصاف كلها مذمة لا ينبغي التشبه بمن اتصف بها.

فأما السفلة ـ بكسر الفاء ـ على وزن فرحة، وتنقل كسرة الفاء إلى السين، وهو أفصح: هم أسافل الناس وغوغاؤهم كما في «القاموس»[1].

وقد سفل ـ ككَرُم، وعلِمَ، ونصَرَ ـ سفالاً وسُفولاً ـ بالضم ـ وتسفل، وسفل في خلقه، وعلمه ـ ككرم ـ سفلاً، ويضم، وسفالاً ـ ككتاب ـ وفي الشيء: سفلاً ـ بالضم ـ: نزل من أعلاه إلى أسفله.

وقال في «الصحاح»: السفلة: السقاط من الناس.

يقال: هو من السفلة، ولا تقل: هو سفلة لأنها جمع، والعامة تقول: رجلٌ سفلة من قومٍ سفل.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٣١٢) (مادة: سفل).

قال ابن السِّكِّيت: وبعض العرب تخفف فتقول: فلان من سفلة الناس، فتنقل كسرة الفاء إلى السين. انتهى.

وربما قيل: فلان من السفلة ـ بفتحتين ـ وهو جميع سافل، من السفول.

ويقع في كلام الفقهاء: فلان السفلة على الواحد، وقد حكينا عن «الصحاح» أنه من قول العامة.

قال الفقهاء: السفلة: من تعاطى الأفعال الدنئة ويعتادها، ولا يقع على من يتفق منه نادراً كالكريم والسيد في نقيضه، فلا ينبغي التشبه بمن يرضى لنفسه بسفساف الأخلاق والأعمال، لا في أقواله، ولا في أعماله، ولا في سائر أحواله.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَرِيْمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعالِيَ الأُمُورَ، وَيَكْرَهُ سَفْسافَها». رواه الطبراني، والحاكم وصححه، وأبو نعيم، والبيهقي من حديث سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما[1].

والسَّفْساف: الرديء من كل شيء، والأمر الحقير، ومنه قيل للئيم العطية: مسفسف.

وروى أبو نعيم عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى: أنه سئل عن السفلة من هو؟

---

(١) تقدم تخريجه.

قال: من لا يعرف الطريق إلى الله، ولم يتعرفه[1].

وعنه قال: سئل جعفر بن محمد رحمه الله تعالى عن السفلة؟

قال: من لا يبالي ما قال، ولا ما قيل له[2].

وروى الدينوري عن الحسن بن عيسى قال: سئل ابن المبارك رحمه الله تعالى فقيل له: من الناس؟

قال: العلماء.

قيل: فمن الملوك؟

قال: الزهاد.

قيل له: فمن السفلة؟

قال: الذي يأكل الدنية.

قيل له: فمن الغوغاء؟

قال: خزيمة بن حازم وأصحابه.

قيل له: فمن الدني؟

قال: الذي يذكر غلاء السعر عند الضيف[3].

وروى أبو نعيم عن نصر بن سيار قال: قال سفيان رحمه الله

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٧٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٥٦).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٤).

تعالى: لو لم ينبغ للأشراف أن يزهدوا في الدنيا إلا لأنها تضعهم وترفع السفلة عليهم، كان يحق لهم أن يزهدوا فيها[1].

وعن سلمة بن عفان قال: إن أردت أن تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هي[2].

وأما الدنيء فهو ـ كما في «القاموس» ـ: الخسيس، الخبيث البطن والفرج، الماجن كالدانىء، والدقيق الحقير، والجمع: أدناء ودنآء.

وقد دنأ ـ كمنع، وكرم ـ دنوءة ودناءة.

والدنيئة: النقيصة[3].

وقد سبق قريباً في كلام ابن المبارك: أن الدنيء الذي يذكر غلاء السعر عند الضيف.

وأما الخسيس: فعلة من باب: خس خسة وخساسة، إذا كان في نفسه خسيساً.

وخس نصيبه: جعله خسيساً دنيئاً حقيراً.

قال الفقهاء: الخسيس من باع دينه بدنياه، وأخس الأخساء من باع آخرته بدنيا غيره[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢١)، وعنده: «سلمة بن غفار».

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٥٠) (مادة: دنىء).

(٤) انظر: «روضة الطالبين» للنووي (٨/ ١٨٥).

ويصف هذا في الحديث بأنه شر الناس، فروى الخِلَعي في «فوائده» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ البَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَومَ القِيامَةِ مَنْ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيا غَيْرِهِ»[1].

وروى ابن ماجه عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «شَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَومَ القِيامَةِ عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيا غَيْرِهِ»[2].

وأخرجه أبو يعلى في «مسنده»، ولفظه: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ نَدامَةً يَومَ القِيامَةِ رَجُلٌ باعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيا غَيْرِهِ»[3].

وأما النذل: فهو ـ كما في «القاموس» ـ: الخسيس من الناس، والمحتقر في جميع أحواله، وجمعه: أنذال، ونذول، ونُذُلاً، ونُذَّال.

وقد نذل ـ ككرم ـ نذالة، ونذولة؛ ذاله معجمة[4].

روى أبو نعيم عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال: الدنيا نذلة، وهي إلى كل نذل أميل[5].

---

(١) ورواه الخرائطي في «مساوىء الأخلاق» (١/ ٢٤٤)، وروى نحوه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ١٢٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٦٥).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٩٦٦).

(٣) ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٥٩).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٣٧٢) (مادة: نذل).

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٧٠).

وروى الدينوري في «المجالسة» عن محمد بن سلام الجمحي قال: قال بعض الحكماء: ثلاثة أشياء تميت القلوب: مجالسة الأنذال، ومجالسة الأغنياء، ومجالسة النساء[1].

وأما الوبش ـ بالتحريك ـ فهو كما في «القاموس»: أحد الأوباش الأخلاط والسفلة[2]؛ ولعله أبلغ من النذل.

وأما الوغد فهو الأحمق الضعيف، الرذل الدنيء، ويقال للضعيف جسماً وخادم القوم، وللصبي[3]؛ وليست الثلاثة مرادة هنا.

وأما الرذل، والرذال، والرذيل، والأرذل؛ فالكل بمعنى الدُّون، والخسيس، أو الرديء من كل شيء[4].

والناس مختلفون بعضهم في استرذال بعض، و[. . .][5].

ـ فمنهم من يرى الرذالة بالصنعة والحرفة.

ـ ومنهم من يراها بالجهل و[. . . . .][6] العلم، والثاني صواب، والأول إن كان مع الاتحاد في العلم والدين، أو الفضل فيه

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٩٥).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٧٨٥) (مادة: وبش).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٤١٦) (مادة: وغد).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٢٩٩) (مادة: رذل).

(٥) بياض في «أ» بمقدار كلمتين.

(٦) بياض في «أ» بمقدار كلمة.

فهو خطأ؛ لأن الكرم إنما هو بالتقوى والعمل الصالح، ولذلك أخطأ قوم نوح في قولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾[الشعراء: ١١١].

﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾[هود: ٢٧].

وأرادوا بالأرذلين: الحواكين، كما رواه ابن المنذر عن قتادة، وابن أبي حاتم عن مجاهد[١].

نعم، يكون المتصف بذلك ونحوه دوناً ورذالاً إذا رضي به بدلاً عن العلم والدين، والكمالات والفضائل، وهذا منهي عن التشبه به وعن صحبته كما قيل:

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي[٢]

وفي «رسالة الحسن البصري» رحمه الله تعالى: كل عام ترذلون[٣]؛ أي: تتخلقون بأخلاق الأرذل، وتفشوا الرذالة فيكم، فتغلب على أخلاقكم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٧٨٨)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٣١١).

(٢) عجز بيت لعدي بن زيد، كما في «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٢٠٦). وصدره:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم

(٣) انظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٥١٦).

وأما الطغام ـ بفتح الطاء المهملة، بعدها معجمة ـ فهم كما في «الصحاح»: أوغاد الناس.

وأنشد أبو العباس المبرد [من الوافر]:

إِذا كـانَ اللَّبـيبُ كَـذا جَهُـولاً فَما فَضْلُ اللَّبِيبِ عَلى الطَّغامِ[1]

وهذا المعنى كاف في التنفير عن التشبه عن الطغام، وهو جمع إن كان بمعنى الأوغاد، ومفرد إن كان بمعنى الأحمق كما يفهم من «القاموس».

قال: والطغومية ـ بضمهما ـ: الحمق والبذاءة[2].

وتطغَّم: إذا تجاهل[3].

وأما الغوغاء فقال في «القاموس»: الجراد بعد أن نبت جناحه، وإذا انسلخ من الألوان وصار إلى الحمرة، وشيء شبه البعوض، ولا يعض لضعفه، وبه سمي الغوغاء من الناس.

قال الفقهاء: والغوغاء من يخالط المفسدين، ويخاصم الناس بلا حاجة[4].

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٩٧٥)، (مادة: طغم).

(٢) في «القاموس»: «الدناءة» بدل «البذائة».

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٤٦٣) (مادة: طغم).

(٤) انظر: «أسنى المطالب شرح روض الطالب» للشيخ زكريا الأنصاري (٣/ ٣٢٧).

وأشار ابن عبد ربه في «العقد» إلى أن الغوغاء سواد الناس؛ أي: معظمهم من أصحاب التجارات، والحرف، والصنائع، والبطَّالين.

قال: وذكر عند ابن عباس الغوغاء فقال: ما اجتمعوا قط إلا ضروا، ولا افترقوا إلا نفعوا.

قيل له: قد علمنا ضرر اجتماعهم، فما نفع افتراقهم؟

قال: يذهب الحجام إلى دكانه، والحداد إلى كياره، وكل صانع إلى صناعته.

قال: ونظر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى قوم يتبعون رجلاً أخذ في ريبة، فقال: لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في شر.

قال: وقال حبيب بن أوس الطائي [من الكامل]:

إنْ شِئْتَ أَنْ يَسوَدَّ ظَنُّكَ كُلُّهُ ... فَأَجِلْهِ فِي هَذا السَّوادِ الأَعْظَمِ

وقال دعبل [من البسيط]:

ما أَكْثَرَ النَّاسَ لا بَلْ ما أَقَلَّهُمُ ... وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدا

إِنِّي لأُطْبِقُ عَيْنِي ثُمَّ أَفْتَحُها ... عَلى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لا أَرَى أَحَدا[1]

وسيأتي في التشبه بالبهائم والحيوانات لذلك مزيد بيان.

---

(١) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ١٤١).

وأما اللئيم: فالدنيء الأصل، الشحيح النفس؛ قاله في «الصحاح»[1].

وقال صاحب «القاموس»: اللؤم - بالضم -: ضد الكرم.

لؤم - ككرم - لؤماً - بالضم - فهو لئيم[2].

وذكر له الجوهري ثلاثة مصادر: اللؤم، واللأمة؛ بضم الهمزة، ولآمة؛ على وزن سحابة.

ويقال: يا ملأمان، خلاف قولك: يا مكرمان[3].

والملأم، والملآم - كمفتح، ومفتاح - الذي يقوم بعذر اللئام[4].

واللئيم في الحقيقة هو المتخلق بقبائح الأخلاق، وسفساف الأعمال ولو كان له حسب ونسب.

وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بالكرم والغرة، والمنافق بضد ذلك، فقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيْمٌ، وَالْمُنافِقُ خَبٌّ لَئِيمٌ». رواه أبو داود، والترمذي، والحاكم وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[5].

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ٢٠٢٥) (مادة: لأم).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٤٩٢) (مادة: لأم).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ٢٠٢٥) (مادة: لأم).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٤٩٢) (مادة: لأم).

(٥) تقدم تخريجه.

ولا مناقضة بينه وبين قوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ». أخرجه القضاعي عن أنس رضي الله عنه[1]؛ لأن فطنته في أمر آخرته، وغرته في أمر دنياه، وإنما خلق المؤمن الكرم، وقد يكون بعض الأخلاق كرماً من وجه ولؤماً من وجه، كما أن صرف المال في وجوه البر كرم، وفي وجوه الفجور لؤم، والحياء المانع من المعصية والمكروه كرم، والمانع من الطاعة، والحق كالعلم لؤم، وهكذا.

وقد روى البخاري في «تاريخه» عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ، فَطِنٌ، حَذِرٌ، وَقَّافٌ، مُتَثَبِّتٌ، لا يَعْجَلُ، عالِمٌ، وَرِعٌ، وَالْمُنافِقُ هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ، حطَّةٌ، لا يَقِفُ عِنْدَ شُبْهَةٍ وَلا عِنْدَ مُحَرَّمٍ»[2].

ولا يخرج المؤمن من الكرم ما يقع منه مما يخالف الكرم على وجه الزلة، ثم يندم عليه، ولا ما يقع على وجه الضرورة كالانتقام من عدوه الباغي عليه، والانتصار من الظالم خشية تجرِّي غيره، أو حسماً لمادة الظالم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[الشورى: ٤١].

وقد قيل: [من الطويل]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وَمَـــنْ لَــمْ يَــذُدْ عَــنْ حَوْضِــهِ بِـسِلاحِهِ
يُهَـــدَّمْ وَمَـــنْ لا يَظْلِـــمِ النَّـــاسَ يُظْلَـــمِ[(١)]

وقال البحتري [من الكامل]:

مَتَـــى أَحْوَجْـــتَ ذا كَـــرَمٍ تَخَطَّـــى
إِلَيْـــكَ بِـــبَعْضِ أَفْعَـــالِ اللِّئَـــامِ[(٢)]

وكما لا ينبغي التشبه باللئيم لا ينبغي مصاحبته، ولا وداده، ولا مجاورته خشية سريان خلقه إليك، فلا ينصفك وإن أنصفته، ولا يكتم لك سراً، ولا يحمد لك أمراً، ينم عليك مساوئك، ويتأول محاسنك، إن عاتبته لم يعتبك، بل استطال وأساء المقال، وإن تلطَّفت به تمرد وقسا، وإن احتجت إليه لم يواسك، بل رجعت منه بالخيبة والأسى.

روى أبو نعيم عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام[(٣)].

وعن محمد بن علي الباقر رحمه الله تعالى قال: سلاح اللئام قبح الكلام[(٤)].

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته، كما في «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي (ص: ٩٤).

(٢) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ١٧٢).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٩٠).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٨٣).

وروى الدينوري عن علي رضي الله تعالى عنه قال: الكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا ألطف[1].

وعن ابن أبي الدنيا قال: أنشدنا محمد بن الحسن لدكين الراجز [من الطويل]:

إذا الْمَـرْءُ لَـمْ يَـدْنَسْ مِـنَ اللُّـؤْمِ عِرْضُـهُ
فَكُـلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيـهِ جَمِيـلُ
فَـإِنْ هُـوَ لَـمْ يَنْـزِعْ مِـنَ اللُّـؤْمِ نَفْـسَهُ
فَلَـيْسَ إِلَـى حُـسْنِ الثَّنـاءِ سَبِـيلُ[2]

ولبعض القدماء [من الكامل]:

إِنَّ الوَفـاءَ عَلَـى الكَـرِيمِ فَرِيـضَةٌ
وَاللُّـؤْمَ مَقْـرُونٌ بِـذِي الإِخْـلافِ
وَتَـرى الكَـرِيمَ لِمَـنْ يُعاشِـرُ مُنْـصِفاً
وَتَـرى اللَّئِـيمَ مُجانِـبَ الإِنْـصافِ[3]

وله [من مجزوء الرمل]:

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٨٧).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٥٧).

(٣) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٣١٣).

وَلْـيَكُنْ سِـرُّكَ فِـي الأَسْـ ـرارِ سِـرّاً لا يُـرامُ
إنَّمـا يَنْطِـقُ بِالـسُّو ءِ وَيُفْـشِيهِ اللِّئـامُ

ولبعض المحدثين [من الخفيف]:

حِـينَ يَحْتـاجُ اللَّئِـيمُ فَقَـدْ مَـدَّ نَحْـوَ الْمُخْزِيـاتِ يَـدا
وَإذا احْتـاجَ الكَـرِيمُ سَـما وَاتَّقَـى غَـبَّ الْحَـدِيثِ غَـدا

وأما المرء السوء: فهو من ساءه سوءاً إذا فعل به ما يكره، ولعله مخصوص بمكروه يتأذى منه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾[الروم: ١٠]، أو السوء، أو النار.

ونقيضه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦].

ومنه قولهم: فلان رَجُلُ سَوْءٍ، ورجل السَّوء؛ بالفتح والإضافة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة: ١٩٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾[الإسراء: ٧]؛ أي: فعليها.

والأمر بالشيء نهي عن ضده، ومدحه ذم لضده، ولقد مدح الإحسان حتى إلى المسيء، وذمت الإساءة ولا سيما إلى من أحسن.

وقال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَنالَ عَبْدٌ صَرِيحَ الإِيْمانِ حَتَّى يَصِلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَيَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيَغْفِرَ لِمَنْ شَتَمَهُ، وَيُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَساءَ إِلَيْهِ». رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1].

وروى ابن منيع، وغيره عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْخَبَرُ الصَّالِحُ يَجِيْءُ بِهِ العَبْدُ الصَّالِحُ، وَالْخَبَرُ السُّوءُ يَجِيْءُ بِهِ الرَّجُلُ السُّوءُ»[2].

والعبد السوء مذموم بكل حال.

قال بعض العلماء: السلطان السوء يحيف البريء، ويصنع الرديء، والبلد السوء تجمع السفل وتورث العلل، والولد السوء يشين السلف ويهدم الشرف، والجار السوء يفشي السر ويهتك الستر، ولهذا استعاذ النبي ﷺ من جار السوء، وكان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جارِ السُّوءِ فِي دارِ الْمُقامَةِ؛ فَإِنَّ جارَ البادِيَةِ يَتَحَوَّلُ». صححه الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[3].

وروى الطبراني في «الكبير» عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثٌ مِنَ العَواقِرِ: إِمامٌ إِنْ أَحْسَنْتَ لَمْ يَشْكُرْ، وَإِنْ أَسَأْتَ لَمْ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ٢٣)، وكذا الديلمي في «مسند الفردوس» (٧٦٥٤).

(٢) انظر: «المطالب العالية» لابن حجر (١٢/ ٦٥٨).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٥١)، وكذا النسائي (٥٥٠٢).

يَغْفِرْ، وَجارٌ إِنْ رَأى خَيْراً دَفَنَهُ، وَإِنْ رَأى شَرّاً أَشاعَهُ، وَامْرَأَةٌ إِنْ حَضَرْتَ آذَتْكَ، وَإِنْ غِبْتَ عَنْها خانَتْكَ»[1].

وكان بعض السلف يقول: اللهم لا تجعل لي أهل سوء فأكون رجل سوء[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الربيع بن أنس رحمه الله تعالى قال: مكتوب في الحكمة: من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مدخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم[3].

وروى أبو عبدالله الحسين المروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك عن عبدالله بن عبيدة، وغيره قالوا: قال لقمان لابنه: يا بني! من لا يملك لسانه يندم، ومن يكثر المِراء يشتم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يصحب الصالح يغنم، ومن طلب عزاً بغير عز يجد الذل جزاء بغير ظلم[4].

واعلم أنك إذا تلبست بالسوء ثم راجعت دينك، وندمت على الإساءة، وتحليت بحلية الإنصاف، ذهبت عنك وَصْمة السوء فضلاً

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٣١٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٦٨): فيه محمد بن عصام بن يزيد، ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله وثقوا.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧١) عن ابن أبي مليكة عن داود النبي عليه السلام.

(٣) ورواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٢٧٨).

(٤) رواه المروزي في «زوائد الزهد لابن المبارك» (١/ ٣٧٣).

من الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود: ١١٤].

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ١١٠].

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أحمد بن غانم الأنطاكي رحمه الله تعالى يقول: هذه غنيمة باردة، أصلحْ فيما بقي يغفر لك ما مضى. رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة»[١].

وروى الإمام أحمد، والشيخان، وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِما عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَساءَ فِي الإِسْلامِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ»[٢].

وروى ابن ماجه، والبيهقي في «الشعب» عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا، وَإِذا أَساؤُوا اسْتَغْفَرُوا»[٣].

❑ ❑ ❑

(١) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ٢٧٨)، وكذا السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٢٠)، وعندهما: «أحمد بن عاصم».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٩)، والبخاري (٦٥٢٣)، ومسلم (١٢٠).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٨٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٩٢)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٢٩).



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

تابع

(١٣)

باب

النهي عن التشبه بأهل الجاهلية والمشركين

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

(١٤)

بَابُ
ٱلنَّهيِ عَنِ ٱلتَّشَبُّهِ بِٱلْمُنَافِقِيْنَ

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

النَّوعُ الثَّالِثُ مِنَ القِسْمِ الثَّانِي مِنَ الكِتَابِ
فِي النَّهْيِ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالفَسَقَةِ

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

